التغير الدلالي في الكلمات العربية: دراسة تاريخية

(Al-Taghayyur al-Dalālī fī al-Kalimāt al-'Arabiyyah: Dirāsah Tārīkhiyyah)

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

محمد رافع. أم

تحت إشراف

الدكتور عبيد الرحمن طيب

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيودلهي، ١١٠٠٦٧، الهند

٢٠١٥م

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

DECLARATION

27 July 2015

I declare that the dissertation entitled **"Semantic Change in Arabic Words: A Diachronic Study"** submitted by me is in the partial fulfilment of the requirements of the award of the degree of Master of Philosophy of this university. This dissertation is my original research work and has not been submitted for any other degree of this university or of any other universities/ institutions.

MUHAMMAD RAFI M
(Research Scholar)

CERTIFICATE

We recommend that this dissertation be placed before the examiners for evaluation.

Dr. UBAIDUR RAHMAN TAYYEB
(Supervisor)
Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

Prof. MUJEEBUR RAHMAN
(Chairperson)
Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
School of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الإهداء

إلى أمّي نبضة قلبي.....

وإلى أبي نور عيني.....

وإلى زوجتي عبير وَرْدتي.....

وإلى أخواتي أزهار بستاني....

مِن حَبّة القلب يمتلأ محبّةً واحترامًا

كلمة شكر

الحمد لله حقّ حمده، شكرا على نوله، والصلاة والسلام على محمّد خير خلقه، وخاتم رسله، وعلى الطيبين من آله وصحبه وبعد...

فالآن لا يسعني إلاّ أن أتقدّم بموفور الشكر، وعظيم الامتنان للذين أولوْني فضلهم ورعايتهم، طيلة مشواري مع هذا البحث، من الأساتذة والعلماء والزملاء والأصدقاء. وأخصّ بالتنويه منهم مشرفي على هذا البحث الأستاذ الدكتور عبيد الرحمن، أستاذ بمركز الدراسات العربية والإفريقية جامعة جوهرلال نهرو، نيودلهي، الذي كنتُ آخذ من وقته القسط الكبير ليشرف على مراجعة ما كنت أدوّنه، والذي كان لتوجيهاته السديدة، وإرشاداته، مع ما استمرّ منه من التشجيعات، الأثر البالغ في إخراج هذا البحث على هذه الصورة، فله مني خالص الشكر والتقدير والامتنان، وجزاه الله عنّي خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أقدّم عميق شكري، وعظيم تقديري إلى الأستاذ الزنجباري عبد العزيز لودهي، أستاذ اللغات الإفريقية والآسيوية بجامعة أوبسالا، السويد، الذي أفادني بمعين علمه، كما أنه لم يبخل عليّ بنصائحه وملاحظاته القيّمة، خلال زيارته جامعتنا. كما أقدّم شكري وتقديري لجميع أساتذة مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جوهرلال نهرو، وجامعة دار الهدى الإسلامية، بولاية كيرلا، الذين أفاضوا عليّ عيون العلوم المختلفة، وأوقدوا لي مشاعل الفنون المتنوعة.

وأبلغ الشكر الجزيل والعرفان بالجميل إلى جامعة جوهرلال نهرو، ومكتبتها المركزية، والطلبة الباحثين فيها، هيّأ لي مجموعها بيئة عليمة وجوّا أكاديميا، استفدت منها كل الاستفادة. وكذلك إني مَدين جدّا لبرنامج المكتبة الشاملة برعاية مكتب الدعوة وتوعية الجاليات بحي الروضة، لولاه لما سهُل عليّ الحصول على بعض المراجع الرئيسية والرجوع إلى المعاجم القديمة والحديثة. فالشكر موصول لجميع الأيادي العاملة وراء هذا البرنامج المفيد، جزاهم الله عنّي خير الجزاء.

ويحسن بي الاعتراف الجميل بفضل كل من ساعدني بالنصح والتوجيه، ومدّ إليّ يد العون، ولو بكلمة علمية استنرتُ بها. للجميع منّي جزيل الشكر والامتنان، ولله الحمد أولا وأخيرا وصلى الله على نبيه الكريم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

محمد رافع ممبادن

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ١

الباب الأوّل: مدخل عامّ إلى علم الدلالة ٧

الفصل الأول: علم الدلالة: مجاله وموضوعه ٨

ما هو المعنى؟ ١١

نظريات دراسة المعنى ١٤

الفصل الثاني: علم الدلالة: نشأته وتطوره ٢٢

علاقة اللفظ بالمعنى ٢٢

البحوث الدلالية عند العرب ٢٤

البحوث الدلالية عند الغرب ٢٧

الفصل الثالث: التعريف بالتغيّر الدلالي ٣١

التغير الدلالي والمجاز ٣٥

التغير الدلالي والاشتقاق ٣٦

خصائص التغير الدلالي ٣٨

اللغة والمجتمع ٣٩

مناهج البحث لدراسة التغير الدلالي ٤٣

الباب الثاني: التغير الدلالي: عوامله ومظاهره ومراحله ٤٥

الفصل الأول: عوامل التغير الدلالي ٤٦

الأول: انتقال اللغة من السلف إلى الخلف ٤٩

الثاني: العوامل الاجتماعية ٥٣

الثالث: العوامل اللغوية ٦٢

الرابع: العوامل النفسية ٦٣

الخامس: اختلاف طبقات الناس وفنون العلوم ٦٧

الفصل الثاني: مظاهر التغير الدلالي ٧٠

الموضوع **الصفحة**

المظهر الأول: تعميم الدلالة (Semantic Widening) ٧٢
المظهر الثاني: تخصيص الدلالة (Semantic Narrowing) ٧٥
المظهر الثالث: نقل الدلالة (Semantic Transfer) ٧٨
الفصل الثالث: مراحل التغير الدلالي في تاريخ اللغة العربية ٨٥
مرحلة العربية الفصحى القديمة (Classical Arabic) ٨٧
مرحلة العربية المولّدة (Neo Classical Arabic) ٩٢
مرحلة العربية الفصحى الحديثة (Modern Standard Arabic) ٩٥
الباب الثالث: النماذج التطبيقيّة على مختلف مظاهر التغيّر الدلالي ٩٩
الفصل الأول: نماذج تعميم الدلالة ١٠١
الفصل الثاني: نماذج تخصيص الدلالة ١١٨
الفصل الثالث: نماذج نقل الدلالة ١٣٤
نماذج رقي الدلالة ١٥٦
نماذج انحطاط الدلالة ١٦٠
الخاتمة ١٦٥
المصادر والمراجع ١٧٠

المقدمة

"إن فرقة صغيرة من السكّان الأصليين في أستراليا الوسطى، قد اضطرّوا إلى تغيير كلمتهم للدلالة على الماء تسع مرّات خلال خمس سنين، وذلك في كلّ مرة لأجل موت الشخص الذي سمّوا الماء على اسمه في حياته".[1]

وهذه حالة في غاية القصوى من أحوال التغير الدلالي، وإن كان من الصعب عندنا تصوّر التغيرات اللغوية بمثل هذه السرعة. والجانب الآخر لظاهرة التغير الدلالي هو التطور البطيء الخفيف الذي يستغرق مدّة طويلة من الزمن لاكتمالها والشعور بها. وبين هذين الجانبين يُعيَّن موقعُ ظاهرة التغير الدلالي في اللغة، مع أن كلّ لغة تميل إلى التغير، سواء خلال الزمان أو عبر المكان، وتنمو كما ينمو كل تركيب نام حي. ولكن سرعة الحركة والتغير فقط هي التي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى، ومنطقة لغوية إلى أخرى، ومن مجال إلى آخر من مجالات اللغة.

"إن التغير الدلالي هو التغير المعتاد للدلالة الأصلية لكلمة ما، بين جماعة كبيرة من الناطقين بها، يحدث عندما يستعملون تلك الكلمة للدلالة على معنى لم تكن تدلّ عليه من قبل، أو للتعبير عن فهم جديد لإحدى دلالاتها الأصلية"[2]وتحتلّ هذه الظاهرة مكانة رفيعة في الدراسات اللغوية العربية وغيرها، مع أن دراستها تُعدّ المحور الرئيسي لعلم الدلالة الحديث الذي تركّزت جهود الباحثين فيه على جوانب التغيرات المتعاقبة التي تحدّد المعنى. وهذه الدراسة تحاول أن تنظر إلى هذه الظاهرة في اللغة العربية خاصة، من خلال عواملها ومظاهرها والمراحل التاريخية التي شهدت فيها اللغة العربية تغيرا دلاليا جمّا، مع عرض كثير من النماذج لمختلف المظاهر، متعرّفا على أيسر السبل لتوضيح هذه الظاهرة.

والتغير الدلالي، كما بيّن الدكتور علي عبد الواحد الوافي، ثلاثة أنواع: الأوّل هو تغيّر يلحق القواعد المتصلة بوظائف الكلمات وتركيب الجمل وتكوين العبارة، كما في العامية إذ تجردت من علامات الإعراب، والثاني هو تغير يلحق الأساليب كما حدث للغة الكتابة العربية في عصرنا الحديث، حيث تميزت أساليبها

---

(1) Keller, R. (1994). On language change The invisible hand in language. (B. Nerlich, Trans.). p.2

(2) Stern, G. (1931). Meaning and Change of Meaning.p.163

عن أساليب الكتابة القديمة تحت تأثير الترجمة والاحتكاك بالآداب الأجنبية. والثالث هو تغيّر يلحق المعنى نفسه،[٣] وهذا الثالث هو الذي تناولته بالدراسة في هذا البحث. والمعنى نفسُه ذو أنواع مختلفة، والذي نحن بصدد دراسة التغير فيه هو المعنى المعجمي منها، ليس المعنى النحوي (كما في: رغب في/عن) أو المعنى الصرفي (كما في: كذب وكذّب). أما المعنى المعجمي فهو "عبارة عن المعنى الذي للفظ في المعاجم اللغوية أو أثناء التخاطب، وقد بينتها قواميس اللغة حسب ما ارتضته الجماعة والمصطلحات المستعملة في الحياة اليومية بعد اكتسابها عن طريق السماع والقراءة والاطلاع على آثار السابقين شعرا ونثرا"[٤].

والألفاظ الكثيرة العربية، كغيرها من اللغات، قد تعرّضت للتغيرات المختلفة في معناها المعجمي عبر الزمن خلال مراحل مختلفة. وهذا لأن كلّ لغة في تطوّر متتابع مع المجتمع الذي يتخذونها وسيلة اتصال فيما بينهم، وكل تطور وتغير في المجتمع، كل ما هو سياسي وديني وحضاري وتكنولوجي، يتردد صداه في اللغة إلى درجات مختلفة. ويُلاحظ بأن العوامل التي تسبب التغيرات اللغوية، الدلالية منها وغيرها، تختلف باختلاف العصور والبيئات. والتغير الدلالي –كما هو شأن جميع التغيرات – يحدث تدريجيا في أغلب الأحوال، ولا يكون إلا في أحقاب. فالفهم التام عن التغير الدلالي في أي لغة إنما يتيسّر بالدراسة التاريخية عن الألفاظ. وهذا البحث محاولة في هذا الصدد. وقد عبّر بعض الباحثين عن ظاهرة التغير الدلالي بمصطلح "التطوّر الدلالي"، وكلاهما يماثلان. واخترت "التغير" لخلوّ التعبير بها عن ملمح الرقي والسموّ، كما هو شائع اليوم في التعبير بالتطوّر.

وقد اعتمدت في هذا البحث على جملة من المراجع والدراسات في التطور اللغوي، إضافة إلى المصادر اللغوية القديمة الأساسية مثل: المزهر للسيوطي، الصاحبي في فقه اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، كلاهما لابن فارس، الخصائص لابن جني، أدب الكاتب لابن قتيبة، جمهرة اللغة لابن دريد، تهذيب اللغة للأزهري، النهاية لابن الأثير، المخصص لابن سيده، مع غيرها من المعاجم القديمة مثل: العين للخليل بن أحمد، والصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس لمرتضى الزبيدي، وشمس العلوم لنشوان الحميري وغيرها.

---

[٣] علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة. ص ٣١٣، ٣١٤

[٤] محمد باخير الحاج عبد الله، عوامل التغير الدلالي في اللغة العربية بين القديم والحديث. ص ١٩٣

وأهمّ المراجع الحديثة التي اعتمدت عليها: علم اللغة للدكتور علي عبد الوحد الوافي، دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس، دور الكلمة في اللغة لستيفن أولمان، علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر، علم الدلالة العربي في التراث العربي للدكتور هادي نهر، علم الدلالة العربي للدكتور فايز الداية، علم الدلالة في المعجم العربي لعبد القادر سلامي، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه للدكتور رمضان عبد التواب. ولأجل توضيح المعاني الجديدة للكلمات اعتمدت على كثير من المعاجم الحديثة مثل: معجم الوسيط، المورد، المنجد، معجم الصواب اللغوي، معجم اللغة العربية المعاصرة، تكملة المعاجم العربية.

أما البحوث السابقة التي تتصل بهذا البحث فهي، حسبما وقفت عليه، كالتالي. فالأول منها: "التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن" لعودة خليل أبو عودة. وهو في الأصل رسالة ماجستير ثمّ صدرت من مكتبة المنار، الأردن. واستفدتُ من هذا الكتاب فكرة بحثي الذي لديكم. وهو، كما يشير إليه نفسُ عنوانه، بحث في التغير الدلالي في كلمات الشعر الجاهلي حدثت بنزول القرآن. والثاني من البحوث المتصلة بهذا، هو كتاب صغير الحجم لجرجي زيدان بعنوان "اللغة العربية كائن حي". وهو يبيّن فيه حيوية اللغة العربية مع بيان قابلية اللغة للتغيرات في كل عصر. ويأتي بكثير من الألفاظ الجديدة والمولّدة والعجمية التي دخلت إلى اللغة العربية مع سرد كثير من المصطلحات المختصة في مختلف العصور مع بيان التغيرات الدلالية في كثير من تلك الألفاظ.

ومنها رسالة ماجستير قدّمها زينة القرفة في جامعة فرحات عباس، الجزائر. وعنوانها "التطور الدلالي لألفاظ أركان الإسلام في القرآن الكريم". وهذه الرسالة تنظر إلى التغيرات في ألفاظ أركان الإسلام في معناها الوضعي في العصر الجاهلي، بسبب نزول القرآن. وكذلك رسالة ماجستير بعنوان "التطور الدلالي في مقاييس اللغة لابن فارس" قدّمها عمار قلالة في جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر. وهي تتقصي مظاهر التطور الدلالي في "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، مع عرض كثير من أقواله في دلالات ألفاظ مختارة.

ويسعى الباحث في هذه الدراسة إلى اكتشاف عوامل التغير الدلالي ومظاهره ومراحله، مع عرض نماذج عديدة تطبيقية للمظاهر المهمة للتغير الدلالي. والاهتمام بظاهرة التغير الدلالي مطلقا ليس أمرا جديدا، ولكن الذي يتميّز به هذه الدراسة هو أنها تنظر إلى عواملها مع بيان مدى تأثير كل واحد من

أنواعها في مختلف المراحل للغة العربية. وتُبيّن المراحل التي شهدت الألفاظ العربية فيها التغيّرَ في دلالاتها بمقدار كبير. وتتقصّي هذه الدراسة البيئاتِ الاجتماعية والسياسية والدينية والعلمية التي سادت في كل مرحلة من مراحل اللغة العربية، طلبا لما لها من التأثيرات في التغير اللغوي الذي نحن بصدد البحث عنه. كذلك تتميّز بأنها تستقصي المظاهر المهمة للتغير الدلالي مع بيان نماذج تطبيقية لكلّ واحد منها. وحاول الباحث عندما أورد النماذج على استيعاب الألفاظ من جميع العصور وكذلك من جميع الأنواع للتغير الدلالي. وقد حلّل جميع تلك الألفاظ، وبيّن معانيها الأصلية والجديدة، وكيفية تطوّرها، والطريق الذي استخدمها أهل اللغة في تصحيح الاستعمالات الجديدة.

وانطلاقا من أهمية دراسة التغير الدلالي، ولعدم وجود أي دراسة عنها من هذه الناحية ـ حسب قراءة الباحث واطّلاعه ـ فقد رغب الباحث في هذه الدراسة بقصد الإسهام في إثراء المكتبة العربية، وبرجاء أن تكون منطلقا يقف به المراجع والباحث على علم الدلالة العربي ممّا يقوي الرغبة بعلم الدلالة وتطبيقاته في اللغة العربية. ويعتقد الباحث أن مثل هذه الدراسة قد توفّر للمهتمّين بالترجمة من العربية واليها عونا للتعامل مع القضايا والمشكلات التي يواجهها المترجمون في عمليتهم. ويأمُل أنها تزوّد من يريد قراءة الكتب العربية الكلاسيكية إطارا للتعامل معها والتفهّم منها، لئلا يسيء فهمها بالقياس مع العربية الحديثة.

أما المنهج المهمّ الذي سرت عليه في هذا البحث فهو منهج تاريخي (Diachronic) الذي يرافق دراسة التغير الدلالي في الكلمات العربية عبر العصور، وهذا إضافة إلى المنهج الوصفي (Synchronic) الذي يتتبع هذه التغيرات في مدّة محددة من الزمن، لأنّ جودة الدراسة التاريخية ودقتها يعتمد على دقة الدراسة الوصفية وإتقانها في أي لغة من اللغات. ويفرض علينا المنهج التاريخي أن نبدأ دراستنا من أبعد نقطة يبلغها علمنا، منحدرا منها إلى الحاضر اللغوي الذي نحن فيه، مرورا بكل مرحلة تاريخية شهدت خلالها اللغة العربية من مظاهر التغير المتنوّعة.

قد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أقسّمه إلى ثلاثة أبواب إلى جانب المقدمة والخاتمة. يكرس الباب الأول لوضع مقدمة موجزة لعلم الدلالة وتعريف عام للتغير الدلالي، بينما يناقش الثاني عوامل هذه الظاهرة اللغوية مع ما ينتج عنها من مظاهر مع تسليط الضوء على المراحل المهمّة. وتكون المهمّة في الباب الثالث

سرد كثير من النماذج للألفاظ المتغيرة دلالتها وتحليل معانيها الأصلية والمتطورة. وتفصيل كل باب منها كما يلي:

أما الباب الأول فهو المدخل العام إلى علم الدلالة، ينقسم إلى ثلاثة فصول، الأوّل منها يبحث عن مجال علم الدلالة وموضوعه، وخاصة عن المعنى وحقيقته والنظريات المتعلقة به. والفصل الثاني ينظر إلى نشأة هذا الفرع من علم اللغة وكيف كان تطوّره، وما هي الدراسات الدلالية المهمة في التاريخ، من خلال المزاوجة بين آراء علماء اللغة العرب القدامى واللغويين المحدثين في نطاق الدراسات الدلالية أو ما يتعلق بالمعنى المعجمي. ويتمركز الفصل الثالث على ظاهرة التغير الدلالي والتعريف الموجز عنه مع بيان خصائصه وتأثيره بالمجتمع. ويختتم الباب بالذكر عن مناهج البحث التي تطبّق في دراسة التغير الدلالي.

ويتناول الباب الثاني البحث عن عوامل التغير الدلالي ومظاهره ومراحله. وهو يشتمل على ثلاثة فصول. يكرّس الأول منها للاستقصاء عن عوامل التغير الدلالي المختلفة، وحاول الباحث فيها على إيراد ما هو الأهمّ منها، باعتبار درجة تأثيرها في جلب التغيّرات الدلالية في مختلف العصور. ثمّ بعد ذلك سينظر الفصل الثاني إلى مظاهره المختلفة، وسيبيّن فيها ما هي الأنواع الرئيسية منها التي تصدق على جميع لغات البشر. والفصل الثالث والأخير يركّز على المراحل التي مرّت بها اللغة العربية وشهدت فيها تغيرا كبيرا في دلالات ألفاظها. ويغطي هذا الفصل ثلاث مراحل اللغة العربية: مرحلة العربية الفصحى القديمة التي يتمثلها العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، ومرحلة العربية المولّدة في العصر العباسي وما بعدها من عصور التدهور، ومرحلة العربية الفصحى الحديثة التي نتعامل معها اليوم.

وفي الباب الثالث يتناول الباحث نماذج مختارة من ألفاظ اللغة العربية لمعرفة كيفية حدوث التغير الدلالي عبر التاريخ بشكل علمي، على نهج تطبيقي. ويهتم في كل فصل من فصول هذا الباب بتحليل الألفاظ المختلفة من مختلف العصور والمراحل، مع بيان معانيها القديمة والجديدة، والأسباب والعوامل التي أدت إلى التغير، والسبيل الذي انتهجها أهل اللغة لتصحيح التغيرات، وتكييفها بقواعد اللغة العربية وضوابطها. وكذلك يحاول معرفة كيفية حدوث التغير الدلالي في الكلمات العربية، عبر هذه المراحل ومظاهره المختلفة بشكل تام. أما الفصل الأوّل فيشتمل على نماذج تخصيص الدلالة من مظاهر التغير

الدلالي، بينما يتضمّن الفصل الثاني على نماذج تخصيص الدلالة، ويليه الفصل الثالث الذي يضمّ أمثلة نقل الدلالة ونماذج قسميْه من رقي الدلالة وانحطاطها.

وخاتمة البحث تشتمل على أهمّ النتائج التي انتهى إليها كل باب من أبواب هذا البحث، كما تلخص ما توصل إليه الباحث من خلال مشواره مع هذا البحث من نتائج.

الباب الأوّل:

مدخل عامّ إلى علم الدلالة

الفصل الأوّل: علم الدلالة مجاله وموضوعه

الفصل الثاني: علم الدلالة نشأته وتطوّره

الفصل الثالث: التعريف بالتغيّر الدلالي

الفصل الأول:

علم الدلالة: مجاله وموضوعه

علم الدلالة هو أحدث الفروع المستقلّة في الدراسات اللسانية، ويُعرّف بالوجه العام بأنه علم يدرس المعنى. كما يقول أف. آر. بالمر: "علم الدلالة هي اللفظة التقنية المستعملة للإشارة إلى دراسة المعنى".[٥] وموضوع الدراسة في علم الدلالة أصعب للفهم منه في فروع اللسانيات الأخرى. وهذا بسبب أن هذا الفرع يدور حول المعنى، في حين أن المعنى فكرة خفية غير واضحة. ولا عجب فيها وإن كنّا نستعمل كلمة "المعنى" في حياتنا اليومية حينا بعد آخر بشكل غير رسمي، لأن الكلام العادي عن شيء ربما يكون سهلا ميسَّرا، حينما يُعدُّ من الصعب البيانُ عنه بانتظام وشكل منهجي، وهذا كما يقول الناس بوفرة وسلاسة عن الريح والمطر والرعد، مع أنه ليس بإمكانهم التوصيف العلمي لهذه الظواهر الطبيعية. وأما علم الأصوات فيُبحث فيها الأصوات اللغوية ينتجها الإنسان والتي هي ظاهرة حسية. وهذه الأصوات يمكن البحث والاستقصاء عنها بمنهج علمي، وعن الأعضاء المشتركة في إخراج الأصوات. وكذلك نجد في علم النحو والصرف موضوعات حسيّة معيّنة تُدرس وتُبحث عنها، حينما يبحث علم الصرف عن الأجزاء المختلفة للكلمة المفردة، وكيفية ترتيبها، وعلم النحو عن كيفية ترتيب المفردات لتشكيل العبارات المفيدة. ففي كل هذه الفروع اللغوية يمكننا ملاحظة موضوع دراستها بشكل مباشر ورصدها بطريق حسي، بخلاف المعنى الذي هو موضوع دراسة علم الدلالة. وهو مراوغ إلى حد كبير، ومتهرّب من فهمها بكل وضوح.

وقد جرت دراسات عديدة عن هذا المعنى وحقيقته من قبل العلماء الدلاليين في المراحل المختلفة للدراسات اللغوية، وبذلوا جهودا جبارة في بيان فكرة المعنى على قدر الإمكان، حتى يكون الباحث في علم الدلالة على بصيرة عن موضوع دراسته. وسأبيّن بالتفصيل فيما بعدُ حقيقة المعنى والنظريات المتعلقة به.

---

[٥] علم الدلالة، تعريب مجيد الماشطة ـ ص ٣

يُعرف هذا الفرع الذي يهتمّ بالمعنى من علم اللغة بأسماء مختلفة في اللغة العربية. والاصطلاح الأكثر شيوعا عند علماء اللغة العربية هو "علم الدلالة"،[٦] وكذلك يستخدم اصطلاحان: "علم المعنى"[٧] و"علم السيمانتيك". وهذا الثاني يرجع إلى الكلمة الفرنسية sémantique أو الكلمة الإنجليزية semantics.[٨]وأصل الكلمة الفرنسية مصطلح وضعه اللغويّ الفرنسي مايكل بريال سنة ١٨٩٧ وورد في كتابه "مقالات في علم الدلالة" (Essai de sémantique) والكلمة تعود إلى الكلمة اليونانية sema التي تعني "علامة".[٩]

أما كلمة "الدلالة" في اللغة فله معان عديدة. يقول ابن منظور: "والدليل: ما يستدل به. والدليل: الدال. وقد دله على الطريق يدله دَلالة ودِلالة ودُلولة، والفتح أعلى".[١٠] و"قال ابن دريد: الدلالة، بالفتح: حرفة الدلاّل".[١١] ويقول الراغب الأصفهاني: الدّلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال تعالى: {مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ} (سبأ/١٤). أصل الدّلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدّالّ: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمّى الدّالّ والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره.[١٢] وفي معجم الوسيط: دل عليه وإليه دلالة أرشد. ويقال دله على الطريق ونحوه سدده

---

[٦] ومصدر الدلالة يثلّث (أي يقرأ بفتح الدال أو كسرها أو ضمها) واقتصر ابن سيده على الكسر، وذكر الصاغاني الكسر والفتح، قال: والفتح أعلى ـ انظر تاج العروس، مادة دلل، ج ٢٨، ص ٤٩٧

[٧] ولتكن على حذر من استعمال اصطلاح "علم المعاني" بدلا عن "علم المعنى" كما يفعلها البعض، لأن علم المعاني فرع من علم البلاغة العربية.

[٨] أحمد مختار عمر، علم الدلالة ـ ص ١١

[9] Online Etymology Dictionary retrieved from: http://www.etymonline.com/

[١٠] لسان العرب، مادة دلل، ج١١، ص ٢٤٨، ٢٤٩

[١١] الزبيدي، تاج العروس، مادة دلل، ج ٢٨ ص ٤٩٨

[١٢] المفردات في غريب القرآن ـ ص ٣١٦، ٣١٧

إليه.[١٣]ونستقصي مما سبق من المصادر اللغوية أن الدلالة بالمعنى العام تعني الإرشاد والهداية في أمر ما أو إليه سواء كان ذلك باللغة أو بغيرها.

والدلالة في الاصطلاح وفقا للزبيدي، هو "كون اللفظ متى أُطْلِقَ أو أُحِسَّ فُهِم منه معناه للعلم بوضعه"،[١٤] أو هو "ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه".[١٥] وهذا اصطلاح قديم. وأما في الاصطلاح الجديد عند اللغويين هو وجوه أداء الألفاظ للمعاني والتعبير عنها. وهو الذي لأجله نشأ علم خاص باسم "علم الدلالة" الذي تفرّع عن اللسانيات الحديثة بوصفه علما مختصا للدراسات عن المعنى وحقيقتها وعلاقتها بالألفاظ وكيفية أداء الألفاظ للمعاني المختلفة وما يعتريها من تطور عبر الأزمنة وما يتحكم فيها من عوامل لغوية وغير لغوية.

فما هو علم الدلالة عند العلماء؟ وكيف بينوا هذا الاصطلاح الجديد في دراساتهم وكتبهم المشهورة؟ وقد قدم اللغويون أجوبة مختلفة لهذ السؤال المطروح لديهم في بداية دراساتهم وبحوثهم في هذا المجال العلمي. آتي ببعض منها فيما يلي:

هارفرد وهيسلي (Heasley & Hurford):"The study of the meaning in language"[١٦]

يعني علم الدلالة هي دراسة عن المعنى في اللغة.

جون لاينز(Lyons): علم الدلالة هو دراسة المعنى.[١٧]

سعيد(Saeed): "The study of meaning communicated through language" [١٨]

ومفهومها أن علم الدلالة هي دراسة المعنى المنقول بواسطة اللغة.

كريدلر (Kreidler): "Linguistic semantics is the study of how languages organize and express meanings"[١٩]

---

[١٣] معجم الوسيط ـ ص ٢٩٤

[١٤] تاج العروس ـ ج ٢٨، ص ٤٩٨. وانظر أيضا تعريفات الجرجاني ـ ص ١٠٤

[١٥] معجم الوسيط ـ ص ٢٩٤

[16] Hurford, J. R., Heasley, B., & Smith, M. B. (2007). Semantics: A Coursebook.p:1

[١٧] علم الدلالة، تعريب مجيد الماشطة ـ ص ٩

[18] Saeed, J. I. (2003). Semantics. p: 3

[19] Kreidler, C. W. (1998). Introducing English Semantics.p:3

والمراد منه: علم الدلالة اللغوي علم يدرس فيها كيف تُنظّم اللغاتُ المعاني وتُعبّر عنها.

على ضوء آراء اللغويين المذكورة أعلاه يمكننا أن نقول بأن العلماء يتفقون على أن الاهتمام في علم الدلالة يتركز على المعنى، خاصة في اللغة، وإن لم يكن هناك موافقة تامة بينهم من ناحية الوسيلة لفهمه والوصول إليه. وما يجدر بالذكر هنا أننا في علم الدلالة ندرس المعنى ليس على العموم، بل بخصوص اللغة. لأن وسائل إبلاغ المعاني إلى الآخرين لا ينحصر في اللغة. بل يتم ذلك بالإشارات والعلامات والرموز غير اللغوية، وإن كانت اللغة أوضح الوسائل. وفي هذا العصر نجد كثيرا من العلامات المستخدمة للإشارة والتوجيه كما في إشارات السير. والدراسات عن المعنى بصفة عامة يتعلق بها علم الرموز(Semiotics).[٢٠] يبحث هذا العلم عن معاني الرموز وكيف تدل الرموز على معاني مختلفة. ويُعدّ علمُ اللغة أحد فروعه، لأن اللغة إحدى أدوات الاتصال.

فمن الضروري على الباحث في علم الدلالة أن يتبحّر في معرفة المعنى ويتوغّل في الدراسات التي يهتمّ بالمعنى وماهيتها وما يتعلق بها من نظريات.

ما هو المعنى؟

مما لا ينكره أحد أن المعنى هو قلب اللغة، وهو الذي تقوم اللغة لأجله، ولولاه لما سمّيت الأصوات والتراكيب لغةً بالمعنى الحقيقي. والمعنى هو الذي يعتبر بالأهمية الأولى من استخدام الكلمات أو الأصوات المتسلسلة، لأن الأصوات أو الحروف المتوالية بدون المعنى لا تفيد إلا الضوضاء أو الفوضى العارمة. ولذلك لا تُعتبر أصوات الطيور والحيوانات أمثالا للغة بالمعنى الكامل. لماذا نتكلم؟ وما هو غرض الكتابة؟ الإجابة البسيطة أنها لنقل المعاني في أذهاننا وأفكارنا وإبلاغها إلى الآخرين. وهذه غاية أساسية، لا يكون الكلام أو الكتابة إلا معها، وإن كانت أغراض أخرى مصطحبة لهذه الغاية الأساسية. فالمعنى في جميع اللغات يتمثّل أهمَّ عناصرها ومكوّناتها. فالتركيب اللغوي أو التراكيب التي يستخدمها الإنسان في كلامه، إن لم يفد أي معنى ـ لا فرق فيه سواء كان صدقا أو كذبا ـ فعمله يصبح ضربا من ضروب العبث العقيم، إذ لم يستطع باستخدام اللغة أن يوصل فكرة ذات معنى، لأنه من الضروري أن تحمل الجملة أو الجمل معنى في

[٢٠] ويدعى كذلك بالسيميائيات والسيموطيقا وفي اللغة الإنجليزية Semiology وSignifics.

حدّ ذاته لأنْ يُسمّى جزءا من اللغة. وليس المعنى منحصرا في الجملة أو تركيب الكلمات، بل كل كلمة لغوية سواء كان فعلا أو اسما أو حرفا يتحمل في حد ذاته معنى لا يمكن الإعراب عنه إلا به، وإن كان البعض يعتمد على غيرها من الكلم ليفيد مفهوما تاما.

فحينئذ ما هو مفهوم 'المعنى' بالفعل؟ وما المراد بقولنا 'هذا معنى كلامه' مثلا؟ عندما يُستكشف الجوابُ لمثل هذه الأسئلة نضطرّ إلى بيان حقيقة المعنى. 'ما معنى هذه الكلمة أو العبارة؟'، هذا كثيرا ما نستفهم بها في محاوراتنا ومكالماتنا الغير الرسمية في حياتنا اليومية. وهذا الاستعمال شائع جدّا في كلامنا العادي.

والآن نستقصي قائمة المفردات العربية نتحدث بها عن 'المعنى'، كي نتوصل إلى حقيقة المعنى، وأيضا نستقري ما هي المناسبات التي يستعمل فيها كل من هذه الكلمات.

عندما نبحث عن هذا نجد أن في اللغة العربية كلمات مختلفة تُستخدم للتحدث عمّا يُسمّى في اللغة الإنجليزية 'meaning'. فكلمة 'المعنى' أكثر تلك الكلمات ملاءمةً لهذه الكلمة الإنجليزية. وكل من الكلمات الآتية من 'المراد' و'يدلّ على' و'يُطلق على' و'يُقصد به'[٢١] يأتي في معان متقاربة لدلالة كلمة 'المعنى' الخالية من الملامح النحوية. ففي معظم هذه الكلمات نرى ملمحا دلاليا مشتركا بينها، وهي مفهوم 'الإرادة' التي تتمثّل عملا ذهنيّا. فأصل كلمة 'المعنى' هو 'عني'. وفي المعجم الوسيط: عنى بالقول كذا عنيا وعناية أراده وقصده.[٢٢] أما كلمة المراد مأخوذ من 'رود'. يقول مرتضى الزبيدي: والإرادة: المشيئة، وأراد الشيء: شاءه.[٢٣]فأما 'القصد' يشتمل على الاعتزام والتوجه نحو الشيء.[٢٤]

وإذا أنعمنا النظر في التفاصيل السالفة الذكر وجدنا في كل كلمة منها دلالةً مشتركة أساسية واضحة، وهي الإرادة والمشيئة والاعتزام، يدلّ جميع هذه الألفاظ على عملية ذهنية. بناء على هذا يمكننا

---

[٢١] هذه الكمات قد كُتبت هنا في أشكال مورفولوجية مختلفة لأننا نجدها كثيرا تستخدم للتحدث عن الدلالات اللغوية في الأشكال المختلفة المذكورة أعلاه.

[٢٢]المعجم الوسيط، ص ٦٣٣

[٢٣]تاج العروس، مادة 'رود' ج ٨ ، ص ١٢٢

[٢٤] المرجع السابق، ج ٩، ص ٣٦

القول بأن المعنى شيء يتعلق بذهن المتكلم أو المخاطِب. وسوف تتّضح هذه الفكرة من بيان حقيقة المعنى فيما يلي بيانا شافيا.

تحليل المعنى وفهمه فهما تاما يتطلّب، كما يقول نيك ريمر، أن ندخل في اعتبارنا عناصر ثلاثة، وهي اللغة وذهن الإنسان والعالَم الخارجي.[٢٥] وقد بيّن تشارلز أوجدن وأيفور ريتشاردز هذه العلاقة للمعنى مع هؤلاء العوامل الثلاثة في كتابهما المشهور "معنى المعنى" باستخدام رسم بياني يُعرف الآن بـ"المثلّث الدلالي" (Semiotic triangle).[٢٦] وفي هذا الكتاب يقدّمان صورة واضحة لحقيقة المعنى. والكلمة أو الوحدة اللغوية لا تحمل في حدّ ذاتها أي معنى، وإنما تفيد شيئا عندما يستعملها الشخص في الكلام أو الكتابة أو أيّة وسيلة أخرى للاتصال، أو بسبب أنها وضعت على إزاء معنى معيّن، على أيدي أصحاب لغة مخصوصة. لأنك ترى كلمة 'الببغاء' ليس بينها وبين الطائر المعروف له منقار قصير ضخم معقوف يتميّز بالألوان الزاهية أيّما علاقة أو ارتباط إلّا عندما يستعملها ناطق عربي للدلالة على هذا الطائر المذكور، وهذا بسبب وضع تلك الكلمة في لغته العربية بإزاء هذا الطائر. وإلاّ هل هناك أي علاقة تربط 'كلمة' الببغاء بالطائر الببغاء؟ ولْنَفترضْ أن كلمة 'شجلد' هي الكلمة الموضوعة في العربية بإزاء الطائر المذكور ليس غير. فهل يأتي إلى قلبك تصور هذا الطائر بسماع كلمة 'الببغاء'؟ لا شكّ في أنها لا يأتي بها. وكذلك إن كان هناك أي علاقة مباشرة بين الكلمات والمعاني إلا بما ذُكر، لاتّحدت اللغاتُ في جميع أنحاء المعمورة.

فالمعنى متعلق بذهن المتكلّم وبالأشياء في العالم تعلقا مباشرا، وليس بين المعنى واللغة الاّ علاقة غير مباشرة. ونفس الإنسان هو الذي ينتج اللغة كما أنه أيضا يختار المدلولات وفقا لما يخطُر ببال المتكلّم.

---

(25) Riemer, N. (2010). Introducing semantics. p:13

(26) Odgen, C. K., & Richards, I. A. (1946). The Meaning of Meaning: A Study of the Influence of Language upon Thought and of the Science of Symbolism.

نظريات دراسة المعنى

قد اختلف العلماء اللغويون في جواب 'ما هو المعنى؟' وقد ذهبوا إلى آراء متعددة في تعريف المعنى و بيان ماهيته. وقدّموا لها نظريات مهمة كالنظرية الإشارية والنظرية التصورية والنظرية السلوكية والنظرية السياقية وغيرها، وقد اهتم اللغويون أجمعهم بدراسة المعنى حيث إنها محور معظم الدراسات اللغوية، وتباينت النظريات والاتجاهات المتناولة له من حيث تنوع مدخل كل منها، والوسائل المستخدمة في التحليل، وأُبيّن فيما يلي بعضا من تلك النظريات.

النظرية الإشارية (Referential/ Denotational Theory)

هي من أقدم النظريات التي حاولت بيان ماهية المعنى، والقائلون بها يرون أن معنى الكلمة هو في الكلمات البسيطة ما تشير إليه الكلمة في الخارج. وقد اعتمد أصحاب هذه النظرية على النتائج التي توصل إليها دي سوسور في أبحاثه عن الإشارة اللغوية.

إن الذينِ أعطوا لهذه النظرية أساسا رئيسيا هما الإنجليزيان تشارلز أوجدن وأيفور ريتشاردز واللذان قدّما، كما مرّ آنفا، 'المثلّث الدلالي' المشهور. ويُرسم هذا المثلّث في شكل تكون 'الفكرة' أو 'المحتوى الذهني' (Thought or Psychology) في أعلاه و' الشيء الخارجي' أو 'الصفة المشار إليه' (Referent) يحلّ في جهة اليمين حينما تقوم 'العلامة' أو 'الكلمة' (Symbol or Language)في جهة الشمال

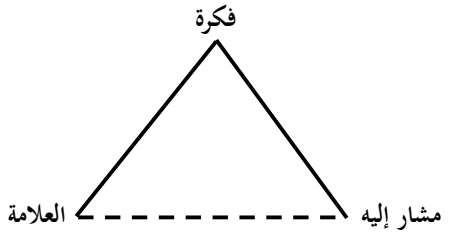

المثلث الدلالي الذي قدّمه أوجدن وريتشادز

للمثلث. ولكن نظريّتهما ليست إشارية بَحْتة ولا تصويرية بحتة، ولكنهما بيّنا الدلالة من حيث إنها محصَّلةُ علاقةٍ بين عناصر المعنى الثلاث: العلامة والفكرة والمشار إليه. وانطلقت الدراسات من بعدهما لتتناول أحد أركان هذا المثلث بالتحليل، ومن ثم ظهرت عدة اتجاهات لاحقة ومكمِّلة لهذه النظرية الإشارية.

وقد انتقد بهذه النظرية بعض من علماء النظريات الأخرى، ومنها أن هناك بعض من الكلمات ليس لها مشار إليه في الخارج كالأدوات نحو: إن، لعلّ، وكالكلمات التي لها دلالات عقلية فقط كالصدق والشجاعة والتكبر وغيرها. وانتُقِدت أيضا بأنّه يُفْرَق بين المعنى والمشار إليه، فقد يكون معنيان، والمشار إليه واحد، كما قد يشار إلى الشخص الواحد بالكلمات: الأب والأخ والعمّ والصديق. فالمشار إليه في الخارج بهذه الكلمات واحد ولكن معانيها مختلفة.

النظرية التصويرية (Ideational Theory)

تتميز هذه النظرية بأنّ طبيعة المعنى لدى أصحابها هي الصورة الذهنية التي تستدعيها الكلمة عند السامع أو التي يفكر فيها المتكلم. عندما ركّزت النظرية الإشارية الاهتمامَ على الإشارة، فالنظرية التصويرية ترتكز على التصور الذي يمثّله المعنى الموجود في الذهن. إن الاسم عند أنصارها، كما يقول جوم بوكز، لا يدل على الشيء، بل على فكرته في الذهن. والذي يعود إليه الفضل في وضع هذه النظرية وبذر جذورها الأولي هو الفيلسوف جون لوك (John Locke)[٢٧] الذي سمّاها 'النظرية العقلية' وبيّن فيها بأن استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار. والأفكار التي تمثلها تُعدّ مغزاها المباشر الخاص.[٢٨] وهذه النظرية يعرف بمصطلح "النظرية الفكرية" عند بعض الباحثين لان الكلمة تشير إلى الفكرة التي تمثل المعنى. والكلمات في الأصل لا تمثل شيئا بل الذي يعطيها معنى هي الأفكار التي في ذهن مستعملها، فعبارة "أنا سعيد" ليس لها معنى عند الببغاء لأنه ليس عندها أفكار لهذه الكلمات.[٢٩]

ولم تُحصن هذه أيضا من الانتقادات، فالمعارضون يقولون بأن الصور الذهنية للشيء الواحد متعددة ومختلفة، فمثلا كلمة البيت قد يختلف تصوّره من شخص إلى آخر. فالمعنى على هذه النظرية غير واضح. وهذا واحد مما يؤخذ على هذه النظرية كما أنها انتقدت بأن هناك ألفاظ لها صور ذهنية مبهمة، ويختلف الناس فيها اختلافا كبيرا، خاصة تلك التي تسمّي أشياء وهمية كالعنقاء والغول. ومما عيبّها أصحابُ

---

[٢٧] جون لوك، فيلسوف تجريبي إنجليزي (١٦٣٢-١٧٠٤)

[٢٨] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٥٧

[٢٩] سالم الخماش، المعجم وعلم الدلالة ص ٤٤

النظرية السلوكية أن المعنى ما دام هو الفكرة فكيف يتأتى للمتكلم أن يخاطب السامع ويوصِل اليه المعنى لأن الفكرة من المِلك الخاص به.

النظرية السلوكية (Behavioral Theory)

إن هذه النظرية قد أوْلَت اهتماما خاصّا بوسائل التجريب والملاحظة والمشاهدة العلمية في الدراسة عن المعنى، مسايرةً للتقدّم الجديد في العلوم الحديثة. وتركّزت على "الممكن ملاحظته علانية"، وهو السلوك، وبها تبعد وتخالف عن النظرية التصويرية المذكورة أعلاه، التي تهتمّ بالفكرة والتصورات الذهنية. وفي بداية الأمر، كانت تأثيرات السلوكية عميقة في حقل علم النفس الأمريكي، ولذلك نجد تأثيرات ذلك الفرع من العلم وبَصَماتها في علم الدلالة عندما طبّق أهل اللغة السلوكية في اللسانيات. ومن أهم أساسيات السلوكية بصفة عامة، النزوع إلى الشك في كل المصطلحات العقلية والتركيز على الأحداث الممكن ملاحظتها وتسجيلها بالحس، كما تتجه إلى تقليل دور الغرائز والمواهب الفطرية وتكثير دور التعلم والبيئة في تشكيل سلوك الأشخاص. وكذلك تعرف باتجاهها الميكانيكي الذي يرى كل شيء في العالم يجري بالأحكام الفيزيائية.

والعالم المشهور بالنظرية السلوكية في علم الدلالة هو بلوم فيلد (Bloomfield)[٣٠] الذي عرّف معنى الصيغة اللغوية بأنها " الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع"[٣١] فعن طريق صيغة لغوية يحثّ المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف، هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة اللغوية.[٣٢] فإنه قد أخذ بأساس المثير والاستجابة (Stimulus -Response) كمبدأ لدراسة المعنى، وجعل الكلام بديلا من استجابة عضوية لمثير معيّن.

وعلى الرغم من أن رأي بلومفيلد (Bloomfield) قد لاقي انتباها بالغا في علم الدلالة، قد سبق إلى هذه النظرية غيره مثل واطسون (Watson) وفايس (Weiss) واستفاد هو من آرائهما. وكان بلوم فيلد

---

[٣٠] لغوي أمريكي (١٨٨٧-١٩٤٩) ورائد اللغويات البنيوية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثينات والأربعينات

[31] Bloomfield, L. (1933). Language. p 139

[٣٢] علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ص ٦١

من أنصار المذهب العقلاني أو التصويري، في آماده المبكرة من حياته، وإنما في سنة ١٩٢٦ أعلن بتخليه عنه واعتماده على السلوكية.

وقد تطورت هذه النظرية فيما بعدُ على يد الفيلسوف الأمريكي شارل موريس (Charles Morris) ولكن اتجاهه السلوكي يتميز بأنه أخرج الاستجابة (Response) من معنى الصيغة اللغوية، بل اكتفى بمجرد الميل والرغبة لأن المثير ربما يستدعي استجابات غير واحدة. وهذا يشير إلى اشتراك دلالات متعددة في صيغة لغوية واحدة.

وتُنتقد النظرية السلوكية عند بلوم فيلد، بما أنه قد تكون المؤثرات خفية أو غير ظاهرة، وليس بإمكانيتنا معرفة المؤثرات لكل حدث كلامي. وكذلك لا تتحد المؤثرات وراء صيغة لغوية، كما تتعدد الاستجابات للتعبير الواحد. وليست الاستجابة للكلمة كالاستجابة للشيء نفسه، لأن مجرّد كلمة 'البرتقال' لا تستدعي الأكل، بخلاف ما إذا رأينا نفس البرتقال.

النظرية السياقية (Contextual Theory)

زعيم هذه النظرية هو اللغوي البريطاني جون روبرت فيرث(Firth)الذي أبدى شديد الاهتمام للجانب الاجتماعي للغة. وهو مشهور بآرائه عن طبيعة المعنى المعتمد على السياق. ولكثير من تلاميذه خدمات جليلة مؤيدة لهذه النظرية مثل: مايكل هاليداي (Michael Halliday) وتي يف ميتشل (T.F Mitchel) وغيرهما. وتحديد دلالة الكلمة عندهم معتمد على تعيين مجموعة السياقات الواردة فيها، لأن الكلمة عندهم ليس لها معنى خارج السياق. فمعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية "استعمالها في اللغة" أو "الطريقة التي تستعمل بها".[٣٣] والسياق عندهم ليس منحصرا على البيئة اللغوية بل يشتمل على الظروف الغير اللغوية أيضا. فدراسة المعنى على هذا تتطلب تحليلا للسياقات اللغوية وغير اللغوية. فالسياق بيئة تحيط بالكلام أو الخطاب سواء كانت لغوية أو غير لغوية.

أما السياق وِفقًا لـ كى أمّر (K Ammer) فأربعة أنواع: السياق اللغوي والسياق العاطفي وسياق الموقف والسياق الثقافي أو الاجتماعي. كل من هذه السياقات والمناسبات للخطاب يلعب دورا مهمّا في

---

[٣٣] أحمد مختار عمر، علم الدلالة ـ ص ٦٨

تعيين معنى الكلمات التي وردت فيها. فالسياق اللغوي يشتمل على عناصر مثل التركيب الصوتي والتركيب الصرفي والتركيب النحوي والنظام المعجمي والمصاحبة والأسلوب، لكل منها أثر في تمييز معنى الوحدة اللغوية الواحدة. والسياق العاطفي يفيد بدرجات الشدة والركاكة ومراحل القوة والضعف في المعاني. أما سياق الموقف فيشتمل على طبيعة المخاطبين والأشياء المتحدث عنها والأفعال المصاحِبة للخطاب وزمنه، كما أن السياق الثقافي أو الاجتماعي يدلّ على الإطار الاجتماعي أو الثقافي الذي يُنتمى إليه الكلام.

وقد دُعمت هذه النظرية من قِبَل علماءٍ خارجَ اللسانيات، كما جاء التأييد لها من الفيلسوف لودفيج فيتغنشتاين (Ludwig Wittgenstein) في كتابه المنشور عام ١٩٥٣م بعد وفاته، والذي يقول فيها إنّ معنى الكلمة هو استعمالها في اللغة. وكذلك كثير من علماء النفس قد أتوا بآراء مؤيدة لهذه النظرية السياقية أو القرينية. علاوةً على ذلك كله، كان فيرث قد تأثر في تقديم هذه النظرية في علم الدلالة من آراء عالم الأنثروبولوجيا البولندي بي مالينووسكي (B. Malinowski). فنصل إلى أنّ لهذه النظرية جذور في العلوم المختلفة غير اللسانيات.

النظرية التحليلية (Componential Analysis Theory)

تهتمّ هذه النظرية بتحليل الكلمات بعد تقسيمها إلى مكوّنات وعناصر، وتنظر إلى معنى الكلمة على أنه مؤلف من ملامح ووحدات دلالية صغرى. وإذا اختلف واحد من هذه الملامح أو العناصر حدث هناك معنى جديد. واتخذت هذه النظرية من المحدد النحوي، والمحدد الدلالي، والصفة المميزة أساساً ثلاثياً للتحليل التكويني للكلمات. على سبيل المثال كلمة "أعزب" مكوّنة من الملامح الدلالية التالية: اسم، إنسان، ذكر، بالغ، غير متزوج. ومن هذه الملامح يمكننا الوصول إلى معنى الكلمة. وهذه المكونات ينقسم، كما ذكر آنفا، إلى ثلاثة أنواع:

الأول المحدد النحوي (Syntactic Marker) وهو الذي يحدد قسم الكلام الذي ينتمى إليه اللفظ من الاسم والفعل والصفة وغيرها. وفي هذا المثال يتمثل المكوّن الأول (اسم) المحدد النحوي. وهذا المكوّن ليس من الأساسي عند بعض علماء النظرية التحليلية. والثاني المحدد الدلالي (Semantic Marker)، وهو الذي يعمّ بين الكلمات التي تنتمى إلى حقول معجمية أخرى. وفي المثال المتقدم تتمثل

المكوّنات الثلاثة اللاحقة (إنسان، ذكر، بالغ) هذا المحدد الدلالي. وهذه المكونات في المثال المذكور نجدها في معنى كثير من الكلمات غير كلمة 'أعزب' كالرجل والشيخ والكهل وغيرها. فالمحدد الدلالي عنصر عام من عناصر المعنى ولا يتميز المعنى بدون ما بعدها من المميّز (Minimal Distinctive Feature)، وهو المكوّن الثالث، الذي هو العنصر الخاص بالمعنى المعيّن ولا يوجد إلاّ تحت الكلمة المذكورة ما عدا المترادفات. وهو يفيد التمييز الدلالي بإبراز العلاقات الحادثة بين الوحدات المميَّزة. فالمميّز في مثالنا المذكور هو المكوّن الأخير في سلسلة المكوّنات، يعني غير متزوج. فهذه الصفة هي التي تفيد المعنى تماما وتميّزه.

ومن أعلام هذه النظرية جيرالد كاتز (Jerrold Katz) وجيري فودور(Jerry Fodor) وقد قدما نظريتهما التحليلية في مقال نشر عام ١٩٦٣م باسم The structure of semantic theory. ومن مصادر هذه النظرية مناهج علماء الكيمياء، من تعريف الجزئيات الكيميائية ببيان التركيب الكيميائي.

نظرية الحقول الدلالية (Semantic Field Theory)

تتعلق هذه النظرية بتجميع المفردات في حقول أو مجالات دلالية، مع بيان السمات المميزة لهذه المجموعات. لكي نفهم معنى كلمة –وفقا لهذه النظرية – يجب علينا أن نفهم أيضا مجموعة الكلمات المتصلة بها دلاليا. وهذه المجموعة من الكلمات هي التي تشاركها في الحقل الدلالي العام. والحقل الدلالي،[٣٤] كما يقول أحمد مختار عمر: "هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها"[٣٥] ومثال ذلك أسماء الطيور، وكل ذلك يقع تحت المصطلح العام "الطائر" ويشتمل الكلمات كالحمامة والببغاء والصقر والعصفور والغراب وغيرها. وعلى حدّ قول أصحاب هذه النظرية لا يكون هناك وحدة معجمية لا ينتمي إلى أي حقل دلالي كما لا تكون منتسبة إلى أكثر من حقل دلالي.

ويعود الفضل في طرح هذه النظرية وتطويرها في شكل متكامل إلى اللغوي يوست تراير (Jost Trier)،[٣٦] وذلك في الثلاثينات، وإن كان فيمن قبله علماء ربمّا رجع إلى آراءهم واستند على أقوالهم،

---

[٣٤] ويدعى كذلك بالحقل المعجمي أو الدائرة الدلالي وغيرهما

[٣٥] علم الدلالة، ص ٧٩

[٣٦] عالم لغوي ألماني (١٨٩٤-١٩٧٠)

مثل فليهلم فون هومبولت (Wilhelm von Humboldt) ويوهان جوتفريد هردر (Johann Gottfried Herder). وبعد ذلك قام كثير من اللغويين بدراسات تكميلية ومباحث إضافية لهذه النظرية.

وقد عرّف ليونس (Lyons) معنى الكلمة بأنه "محصلة علاقتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل المعجمي" ويرى أولمان (Ullmann) أن معنى الكلمة "مكانها في نظام من العلاقات التي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللغوية". وهذه العلاقات لا تتجاوز عما يلي، وهي: الترادف والاشتمال والتضاد والتنافر وعلاقة الجزء بالكل.

نظريات المعنى عند الأصوليين

إذا قمنا بدراسة كتب الأصوليين من العرب القدامى وجدنا فيها كثيرا من المباحث اللغوية، وخاصة ما يتعلق بالدلالة. ومن أهمّها ما نجد في كتبهم من نظريات المعنى. بعضهم ينتمي إلى فرقة النظرية الإشارية وبعضهم إلى فرقة النظرية التصويرية وبعضهم يقف بين بين. وذلك كما يقول بعض الأصوليين إن المعنى موضوع للمعنى الخارجي، يقول جمال الدين الشيرازي: اللفظ موضوع للوجود الخارجي، ولا ينافي كونه للوجود الخارجي وجود استحضار للصور الذهنية.[٣٧]

وفرّق بعض العلماء مثل تاج الدين السبكي[٣٨] فيها، عندما قال في جمع الجوامع: "واللفظ الدال على معنى ذهني خارجي، أي له وجود في الذهن بالإدراك ووجود في الخارج بالتحقق كالإنسان بخلاف المعدوم فلا وجود له في الخارج كبحر زئبق، موضوع للمعنى الخارجي لا الذهني"[٣٩] قد اختصر الإمام تاج الدين السبكي نظريته الإشارية على الألفاظ التي لها معنى في الذهن والخارج، ونجا به من انتقادات كثيرة وُجّهت إلى النظرية الإشارية. ومن أعلام هذه النظرية من العلماء العرب القدامى النصير الطوسي والعلامة الشيرازي والسعد التفتازاني وجلال الدين الدّوّاني وغيرهم. وقد ذهب جميعهم إلى أن الكلمة موضوعة بإزاء

---

[٣٧] د. سالم الخماش، المعجم وعلم الدلالة، ص ٤٣

[٣٨] فقيه شافعي أصولي مؤرخ مصري (١٣٢٧-١٣٧٠م)

[٣٩] شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ج ١، ص ٣٤٧، ٣٤٨

الأمور الخارجية، لأنها الملتفت إليها بالذات وهو من ضروريات الموضوع له، بخلاف الصور الذهنية، فإنها مرآة لمشاهدتها.[٤٠]

والطائفة الأخرى من العلماء تذهب إلى أن اللفظ موضوع للمعنى الذهني لا الخارجي، وفي مقدمة أصحاب هذه النظرية الإمام فخر الدين الرازي[٤١] ويحتجّ لها بأنّا إذا رأينا جسما من بعيد وظننّاه صخرة سمّيناه بهذا الاسم، فإذا دنونا منه وعرفنا أنه حيوان لكن ظننّاه طيرا سمّيناه به. فإذا ازداد القرب وعرفنا أنه إنسان سمّيناه به فاختلف الاسم لاختلاف المعنى الذهني وذلك يدل على أن الوضع له.[٤٢] ومن الفضلاء المحققين الذين ذهبوا إلى هذه النظرية الشيخ ابن سينا والفارابي والقطب الرازي وغيرهم.

وذهب بعض الأفاضل إلى أنها موضوعة للمعاني من حيث هي هي، يعني من غير التقييد بالذهني أو الخارجي، لما أن مناط التعليم والتعلم المحتاج إليهما في التمدن إنما هو المعاني مطلقا لا الخصوصيات الذهنية أو الخارجية، فإنها ملغاة، وقد ذهب إليها تقي الدين السبكي، وأيّده مير زاهد الهندي في حاشية الجلال الدّوّاني على التهذيب.

---

[٤٠] حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ج ١، ص ٣٤٩

[٤١] كان عالما في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول ولد في الري بطبرستان (١١٥٠ –١٢١٠م)

[٤٢] شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ج ١، ص ٣٤٩

الفصل الثاني:

علم الدلالة: نشأته وتطوره

إن دراسة المعنى في اللغة بدأت منذ أن حصل للإنسان وعي لغوي.[1] قد ساهم الهنود فيها من أول الآماد المبكرة. ولخدمات علماء اليونان كأفلاطون وأرسطو تأثير بالغ على الدراسات الدلالية الحديثة، كما قدم الرومان نصيبهم المنقطع النظير في هذه الدراسات اللسانية. هكذا تواصلت هذه الدراسات اللغوية، خاصة فيما يتعلق باللفظ والمعنى، عبر المراحل التاريخية المختلفة على أيدي العلماء العباقرة من الهنود والرومان واليونان واللاتين والعرب وعلماء عصر الوسيط وعلماء عصر النهضة الأوربية. وعلى مر الأزمنة تشعبت الدراسة اللغوية إلى فروع متنوعة يُدرس كل منها مستغنى عن غيرها من العلوم اللسانية الأخرى.

والبحث عن تاريخ البحوث الدلالية يوجّهنا إلى مشكلة دامت النقاش والمناظرة فيها فترة طويلة في التاريخ. وهي مسألة الصلة بين اللفظ والمعنى، وكانت تلك البحوث في صميم الجهود الدلالية عند الفلاسفة العباقرة اليونانيين كسقراط وأفلاطون وأرسطو. وأيضا قد استولت هذه المشكلة على المناقشات العلمية عند العرب، حتى نجد بعض تأثيراتها في البحوث اللغوية الحديثة.

علاقة اللفظ بالمعنى

قد استرعت المشكلة التقليدية من الربط بين اللفظ والمعنى انتباه العلماء من العصر القديم إلى العصر الحديث، وجرى فيها أبحاث كثيرة عند اليونان والعرب القدامى والمحدثين الغرب، ومحور جميع هذه الأبحاث هو هل تلك العلاقة توقيفية طبيعية كالصلة بين النار والاحتراق، أم أنها اصطلاحية عرفية. وكان لدعم كل من الطائفتين علماء نوابغ زمانهم من اللغويين والفلاسفة وغيرهم في المراحل المختلفة. وهذا الجدل والنقاش قديم إلى زمن سقراط وأفلاطون، وحديث وحارّ جدّا حتى في المباحث العصرية.

---

[1] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ـ ص ١٩

وهذا النقاش يبدأ من الهنود، ولم تتفق آراءهم حول الصلة بينهما، بل تعددت. فالبعض منهم رفض فكرة التباين بين اللفظ والمعنى، وادّعوا كلاهما واحد، لأن الإنسان لا يفكّر عن شيء إلاّ مُقْرِنًا باللفظ الموضوع له. والبعض ذهب إلى أن العلاقة بينهما قديمة وفطرية، والبعض الآخر يميل إلى العلاقة الضرورية، كالتي بين النار والدخان. ويعارضهم بعضٌ على أنها مجرد علاقة حادثة، لكنها وفقا لمشيئة الإله.

وقد قسّمت هذه المشكلة اليونانيين إلى طائفتيْنِ، طائفة يزعمها سقراط، وطائفة يترأسها أرسطو. وكان سقراط يميل إلى العلاقة الطبيعية الذاتية، ويبين أن هذه العلاقة الطبيعية كانت واضحة في بدء نشأة اللغة، ثم تطورت الألفاظ واتسع نطاقها، فكان من الصعب بيان هذه العلاقة. وكان أفلاطون راويا لهذه الآراء لأستاذه، والذي كان يقف إلى جنبه في هذه المسألة. وقد ناقش هذه المسألة في محاوراته مع كراتيليوس (Cratylus). والطائفة الأخرى من الفلاسفة اليونانيين بزعامة أرسطو، تدعو إلى عرفية العلاقة. وليس بين الألفاظ والمعاني، وفقا لهم، إلا علاقة اعتباطية اكتسبها بسبب الوضع بإزائه، ليس غير. وقد قدّم أرسطو رأيه هذا في مقالاته تحت عنوان "الخطابة والشعر".

وكذلك العرب أيضا فئتان. كان عبّاد الصَّيْمَرِيُّ في زعامة من يدّعي طبيعيّة العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها. ومن أنصار هذه النظرية محمد بن يزيد المبرّد وأبو الحسن الآمِدِيّ. وليس معظم العرب على هذا الرأي، بل نرى كثيرا منهم يستنبطون في كتبهم الارتباط بين الألفاظ ومدلولاتها ربطا وثيقا يكاد يشبه الصلة الطبيعية. كما عقد ابن جني في كتابه الخصائص فصولا طويلة لهذا الغرض.[٢] وكذلك نجد محاولات الربط بين اللفظ ومدلولاته في كتاب الاشتقاق لابن دريد، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس وغيرهما. وكما يقول إبراهيم أنيس، لعل هذه الفكرة من ربط الكلمة والمعنى طبيعيا ربما تدخّل إليهم من منهج خليل في كتاب العين، من أنه حينما يشرح معنى كلمة يذكر معها تقلّباتها، لكن لم يتعرّض لربط بين دلالات تلك الصور كما فعلها هؤلاء.[٣]

---

[٢] الخصائص ـ ج ٢، ص ١١٥-١٦٩

[٣] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ـ ص ٦٧

بيّن جيسبرسن (Jespersen)[٤] آراء العلماء المحدثين في علاقة اللفظ والمعنى في كتابه الممتاز عن اللغة.[٥] فمنهم هومبولت (Humboldt) الذي يذهب إلى المناسبة الطبيعية بينهما. وجيسبرسن نفسه من أنصار العلاقة الطبيعية، لكنه أنذر من المغالاة فيها. أتى فيها ببعض الأمثلة لهذه العلاقة الطبيعية، كالألفاظ التي تُعدّ بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة، وأمثلة ذلك كثيرة، ومنها ما في اللغة العربية: حفيف الريح، وخرير المياه، وصهيل الخيل، ونقيق الضفدع، وهذه الألفاظ يدعى "Onomatopoeia" في اصطلاح اللغويين المحدثين. ومن أمثلتها الكلماتُ التي تعبّر عن الحالات النفسية كالغضب أو الكره، ربما يجد بين تلك الألفاظ والمعاني نوعا من الصلة.

وكان فردنان دي سوسور (Ferdinand de Saussure) من أشهر المعارضين لدعوى العلاقة الطبيعية بين الألفاظ والدلالات. إذ يعتبرها اعتباطية لا يخضع لأي قاعدة مطّردة. والذي يفقُد في علاج هذه المشكلة في جميع هذه المناقشات، كما يقول إبراهيم أنيس، هو وجوب التفرقة بين الصلة الطبيعية الذاتية والصلة المكتسبة. وهذه الصلة المكتسبة ملحوظة بين كثير من الألفاظ ودلالاتها، ولكن لم تنشأ مع تلك الألفاظ بل اكتسبتها بمرور الأيام وكثرة الاستعمال وفي الظروف الخاصة التي تحيط بها في تاريخها.[٦]

البحوث الدلالية عند العرب

والبحث اللغوي عند العرب كان ذا أهمية مرموقة، حيث أن العرب كانوا يعدّون علوم اللغة من المفاتيح الضرورية للتوغل في العلوم الإسلامية والتعمق فيها كالفقه والتفسير والحديث. فاشتد اهتمامهم بالبحوث اللغوية والدراسات اللسانية أكثر من غيرها. ولنفس هذا السبب يعرف العلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة في العربية في دائرة علماء الدين بـ"الآلات"، لما أنها تُدرس وتُبحث عنها لأجل فتح أبواب العلوم الإسلامية الرئيسية لديهم، فالعلوم اللغوية آلة تستخدم في عملية البحث والتبحر في العلوم الإسلامية كالفقه والتفسير والحديث. وكان في ضمن تلك البحوث اللغوية كثير من الموضوعات التي تُعدّ

---

[٤] أوتو جيسبرسن (١٨٦٠-١٩٤٣) لغوي دنماركي متخصص في نحو اللغة الإنجليزية

[5] Jespersen, O. (1922). Language: Its Nature, Development and Origin. p:396-411

[٦] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ـ ص ٧١

من صميم علم الدلالة في اللسانيات الحديثة. فعندما نرصد البحوث الدلالية في التراث العربي نجد "ارتباط علم الدلالة اللغوية بعلم أصول الفقه أقوى من ارتباطه بأي علم آخر من العلوم.... فالتناول الدلالي في التراث المعرفي العربي كان ضمن اهتمامات لغوية أخرى، امتزج البحث فيه بضروب معارف مختلفة من غير أن يحمل عنوانا مميزا، له استقلال في موضوعاته ومعاييره الخاصة".[٧] فالتراث المعرفي العربي ـ لا ريب ـ زاخر بكثير من البحوث والدراسات والكتابات اللغوية عامة والدلالية خاصة، لكنّ كثيرا منها داخلَ خدمات علمية غير لغوية في حدّ ذاته.

وكان البحث الدلالي ممّا جذب انتباه اللغويين العرب، ويمكن أن يُعدّ كثيرٌ من الأعمال اللغوية ممّا يأتي تحت مجال علم الدلالة الحديث، مثل الكتب عن غريب القرآن والمجاز فيه وعن لحن العامة ومثل المعاجم اللغوية الموضوعية وغيرها. وأبين فيما يلي بعضا من أعمال العرب في البحث الدلالي.

ومن الأعمال المبكرة لدى العرب هو من قبل الجاحظ، خاصة في كتابه الرائع "البيان والتبيين". يعني فيه الجاحظ بالبيان الدلالة على المعنى، وبالتبيين الإيضاح. وقد بيّن فيه عن المعنى وجميع أصناف الدلالات من اللغة وغيرها. وأدوات البيان، عنده "خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمّى نصبة".[٨] وقد ذهب فردنان دي سوسور إلى القول بأن فقه اللغة يجب أن يكون فرعا من علم أوسع يشتمل على مختلف أنواع الدلالات، سماه الجاحظ علم البيان حينما يقول: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع".[٩] ويعتبر الجاحظ رائدا لمن جاء بعده أمثال ابن فارس وابن جني والسيوطي وغيرهم.

وكذلك "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس يتمثّل عملا دلاليا قيما. ربط فيها المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها. ويقول في مقدمته: "إن للغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولا تتفرع منها فروع".[١٠] وحاول أن يأتي بكلمة متكوِّنة من حرفين أو أكثر تحت قياس وأصل من المعنى، ويزعم أن جميع المشتقات

---

[٧] منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ـ ص ١٠ وما بعدها

[٨] البيان والتبيين ـ ج ١، ص ٨٢

[٩] المرجع السابق ـ ج ١، ص ٨٢

[١٠] معجم مقاييس اللغة ـ ج١، ص٣

من تلك المادة تحتوي على ذلك المعنى العام. ولابن فارس كتاب آخر مشهور سمّاه "الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها" يتحدث فيها بالتفصيل عن اللغة العربية ونشأتها وتطورها وعن المعاني والأسماء وكيف تقع على المسميات.

أما ابن جني في كتابه "الخصائص" فقد ربط التقاليب الممكنة من مادة واحدة بمعنى واحد. وسماه "الاشتقاق الأكبر" فهو "أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنًى واحدًا، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه".[١١] كما يقول مثلا "ومن ذلك تراكيب "ق س و"، "ق و س"، "و ق س"، "و س ق"، "س و ق"، وأهمل "س ق و"، وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع".[١٢]

وكتاب أبي القاسم الزمخشري باسم "أساس البلاغة" يستحقّ الذكر في هذا الصدد. فرّق فيها بين المعنى الحقيقي والمجازي مع بيانها بالشواهد والدلائل. وللسيوطي كتاب في جزأين سمّاه "المزهر في علوم اللغة وأنواعها"، فيه خمسون نوعا[١٣] من البحوث اللغوية، الأنواع الثلاثة عشر منها راجعة إلى اللغة من حيث المعنى، من البحوث عن الاشتقاق والمشترك والمترادف والخاص والعام وغيرها ممّا يُدرس تحت نطاق علم الدلالة.

وكما ذكرنا من قبلُ، أن الأصوليين لهم أعمال جليلة في الدراسات الدلالية العربية. وكان اهتمامهم بها لأهميتها لاستنتاج الأحكام الشرعية من النصوص الدينية. ولذلك عالجوا مواضيع كثيرة مثل علاقة اللفظ والمعنى والحقيقة والمجاز والخاص والعام والمقيد والمطلق. وقد قسموا الدلالة اللغوية إلى دلالة المنطوق ودلالة المفهوم، ودلالة المنطوق أيضا ينقسم إلى ثلاثة أنواع وهي دلالات المطابقة والتضمن والالتزام، بينما ينقسم دلالة المفهوم إلى مفهومي الموافقة والمخالفة.[١٤] وكذلك نجد كثيرا من اهتمامات الفلاسفة والبلاغيين بالبحوث الدلالية في أعمالهم، كالفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي والسكاكي وعبد القاهر الجرجاني المشهور بنظرية النظم.

---

[١١] الخصائص - ج ٢، ص ١٣٦

[١٢] المرجع السابق - ج ٢، ص ١٣٨

[١٣] قد سمّى السيوطي كل فصل من الكتاب بـ"النوع"

[١٤] جمع الجوامع، تاج الدين السبكي - الكتاب الأول

البحوث الدلالية عند الغرب

في القرن التاسع عشر الميلادي صرف بعض العلماء اللغويين من الغرب انتباههم إلى الدراسة عن جوهر الكلمات ومضامينها ومعانيها، أكثر من شكل الحروف وبنيتها، وجلبوا عناية اللغويين إلى هذه الناحية اللغوية المهمّة، مما أدّى اللغويين إلى تشكيل فرع جديد مستقل لمجرد دراسة المعنى في داخل الدراسات اللسانية التقليدية هو عدم مبالاة العلماء والباحثين اللغويين إلى ذلك الحين بعلم الدلالة باهتمامٍ يستوجبه هذا الجانب اللغوي. وكان علم اللغة يهتمّ بوصف الجوانب الصورية للكلمات ولا ينظر إلى تحليل معنى الكلمات ومضامينها، والذي أصبح من صميم اهتمامات علم الدلالة الحديث. وربما كانت طبيعة "المعنى" وفطرته أسفرت عن عدم اهتمامهم نحو البحوث الدلالية في التراكيب اللغوية، لأن مفهوم المعنى غامض وغير واضح، حتى أنه من الصعب جدا أن يرسم الاستنتاجات النهائية ويستخلص الأحكام الشاملة حول المعنى الذي يُدلّ عليه بالكلمات. وكان أمام اللغويين القدامى عوائق كثيرة لم يستطيعوا من أن يحيطوا بجميع جوانب اللغة خاصة فيما يتعلق بالمعنى. ولم يخوضوا في استكشاف حالة المعنى المتغير باستمرار والذي يواكب سير الزمن. فكان طلوع علم الدلالة سدّا لهذه الثغرة الهائلة في علم اللغة التقليدي.

ففي سنة ١٨٩٧ وضع ميشال بريال (Michel Breal) مصطلحا جديدا لهذا الفرع من اللسانيات الذي يختصّ بوصف وتحليل ما يسمّى "المعنى الحرفي" للتراكيب اللغوية. وكان ذلك في كتابه "مقالات في علم الدلالة" الصادرة في اللغة الفرنسية سنة ١٨٩٧ وترجم إلى الإنجليزية بعد ثلاثة أعوام على يد هنري كست (Henry Cust) وطبع من لندن.[١٥] وكان هذا نقطة تحوّل للدراسات الدلاليّة في العصر الحديث. وجميع الدراسات تتعلق بالمعنى وحواشيها في العصور القديمة والوسطى لم تنتسب إلى علم اللغة مباشرة، بل إلى علمي المنطق والفلسفة، وهما اللذان قد خلّفا آثارا عظيمة على البحوث الدلالية من بين العلوم الأخرى. واستمرّ بعده البحوث في هذا الفرع من اللسانيات بمقدار كبير، من العلماء اللغويين الكبار مثل أوجدن وريتشاردس وبلوم فيلد ولاينز وغيرهم .

ليس ميشال بريال هو الذي استهلّ بدراسة المعنى بوصفه فرعا مستقلا عن علم اللغة، بل ظهرت أول ما ظهرت في العشرينات من ذلك القرن، لما ألقى اللغوي الألماني كريستين كارل ريسيغ (Christian

---

[١٥] عنوان الترجمة الإنجليزية Semantics: Studies in the Science of Meaning

(Karl Reisig محاضراته في جامعة هالى (University of Halle)، قدّم فيها موضوع دراسة علم جديد يهتمّ بالمعنى سمّاه Semasiology. وقد عرّف هذا الفرع بأنه علم تاريخي يبحث عن قواعد يتحكّم في تطور المعاني.[١٦]لكن فضل بريال يعود إلى صياغة مصطلح جديد باسم "السيمانتيك" لهذا الفرع المهتمّ بدراسة المعنى، واشتهر به فيما بعدُ. ولم تكن هذه الدراسة تُعرف بهذا الاسم إلا بعد أن وضعها بريال بعد بضعة من العقود اللاحقة. لم يقترح التسمية فقط، بل رسم منهجا جديدا واضحا لدراسة المعنى. وبعد أن جعل علم الدلالة فرعا مستقلا من علوم اللغة حدّد اللغويون ضمنه موضوعاته ومعاييره وقواعده ومناهجه وأدواته.

إن تاريخ البحوث الدلالية في العصر الحديث يمكننا أن نوجز بأنه قد اجتاز خمسة مراحل مهمة من ناحية التيارات النظرية. وهي وفقا لديرك غيراتس (Dirk Geeraerts): الدلاليات التاريخية قبل البنيوية، والدلاليات البنيوية، والدلاليات التوليدية، والدلاليات المنطقية، والدلاليات الإدراكية.[١٧]

فمرحلة الدلاليات التاريخية قبل البنيوية (Pre-structuralist diachronic semantics)، يمثّلها مايكل بريال وأمثاله من هيرمان بول ودار مستتر وكريستوفر نيروب وألبرت كاموي وغيرهم. وكانت الفترة بين ١٨٧٠-١٩٣٠ في سيطرة هؤلاء الدلالين من حيث الناحية النظرية. والأسس المنهجية التي اتّبعها أنصار ما قبل البنيوية متميزة بأن اتجاه البحوث الدلالية كان دياكرونيا (تاريخيا)، وبأن التطور الدلالي كان منحصرا في معاني المفردات وبأن أصل المعنى وقصده وغايته، أمر يقوم على العقل الإنساني.

وكان عقد ١٩٢١-١٩٣١ ذا شأن عظيم للبحوث الدلالية، حيث برز فيها ثلاثة كتب مهمّة جدا في علم الدلالة. الأول منها "معنى المعنى" (١٩٢٣) الذي ألفه الإنجليزيان أوجدن وريتشاردس. والثاني "المعنى وتغير المعنى" (١٩٣١) ألفه كستاف سترن (Gustaf Stern). والأخير كتاب في اللغة الألمانية[١٨] ليوست تراير الذي صُدر في سنة ١٩٣١م.

---

[16] Ullmann, S. (1963). Semantic Universals. In J. H. Greenberg (Ed.), Universals of Language (pp. 172-207). p 172

[17] Geeraerts, D. (1998). Hundred years of lexical semantics. Atas do 1º Encontro Internacional de lingüística Cognitiva, 123-154.

[١٨] عنوان ترجمته الإنجليزية The German Vocabulary in the Semantic Domain of Understanding يتحلّل فيها عن المفردات الألمانية ويقدم نظرية المجال الدلالي.

إن دي سوسور هو من وضع أصول اتجاه اللسانيات البنيوية. ولقد انطلق من مبدأ سوسور علماء الدلالة أيضا حتى وضعوا فيها اتجاها جديدا. والعادة أن يُنسب ابتداء الدلاليات البنيوية (Structuralist Semantics) إلى يوست ترایر (Jost Trier) وذلك بسبب آراءه في الكتاب الصادر سنة ١٩٣١م، والذي يُعتبر أوّل عمل مفصّل في الدلاليات البنيوية، وإن سبقه ليو وايسكربر (Leo Weisgerber) بتقديم إطار نظري لهذا التيار البنيوي في عام ١٩٢٧م. وكان وايسبركر، بدون أدنى شك، متأثرا من أعمال دي سوسور. وكان من أهمّ ميزات الدلاليات البنيوية، كما يشير هذا الاسم نفسه، وجوب اهتمام دراسة المعنى بالبنيات الدلالية وبالعلاقات بين الكلمات في تكوين معنى الجملة. ويجب عندهم أن تكون دراسة المعنى مستقلة بطريق لغوي خالص. وحلّ فيها مفهوم المعنى المحدَث في الآنية الزمنية للكلام (synchronic)، محلّ مفهوم المعنى المتطوّر في الزمانية التعاقبية (diachronic)، الذي عليه أنصار المرحلة الأولى. وقد بيّنتْ ثلاث علاقات بنيوية بين الكلمات. الأولى منها التشابه الدلالي (semantic similarity) الذي هو أساس نظرية الحقول الدلالية قدّمها ترایر. والثاني العلاقات الدلاليات المعجمية (lexical relations) كالتضاد (antonymy) والترادف (synonymy)والاندراج (hyponymy)، قد فصّل كلاّ منها لاينز بشكل واضح في كتاب "Structural Semantics" الصادر سنة ١٩٦٣م. والثالث العلاقات التركيبية التلاؤمية[١٩] (Syntagmatic relations) مثل الارتباط بين نبح ـ كلب، أو صهل ـ حصان. وهذا هو موضوع كتاب والتر بورزك (Walter Porzig) الذي نشره في اللغة الألمانية سنة ١٩٣٤.ولكن البنيوية الأمريكية كانت مختلفة من هذا، لأن المعنى عندهم ليس من اهتمامات البحوث اللغوية. وقد جعلها بلوم فيلد (Bloomfield) خارج مجال علم اللغة في كتابه المشهور "اللغة"(١٩٣٣)، قائلا إنّه لا يمكن تحديد المعنى بالاستناد إلى العالم الواقعي.

بدءًا من الستينات ظهر في علم الدلالة نزعة جديدة، باسم الدلاليات التوليدية (Generativist model of lexical semantics). ويمكن أن تسمّى أيضا بالبنيوية الجديدة. وأول محاولة لإدخال المعنى

---

[١٩] وسمّي كذلك بالعلاقة السياقية، أنظر اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسّان عمر ـ ص١٨٩. وقد عالج العالم البريطاني فيرث (Firth) هذه العلاقة بين المفردات المعجمية ضمن ما أطلق عليه "بالاقتران اللفظي" أو " التصاحب اللفظي"(Collocation).

في إطار النحو التوليدي (Generative Grammar) الذي قدمها تشومسكي (Chomsky)، جاءت على يد كاتز و فودور (Katz & Fodor) في مقالة عن بنية النظرية الدلالية، حيث حلّ فيها عدة إشكالات نظرية لإدخال المعنى في إطار النحو التوليدي. ففي سنة ١٩٦٣ وضع كاتز وفودور مبادئها، ثم طوّرها كاتز فقط في السبعينات. وبالإضافة إلى آراء تشومسكي قد تأثر أيضا من الفلسفة الذهنية عن اللغة. وجمع العلاقات الدلالية الثلاثة التي تُمثّل أساس المنهج البنيوي. ففي الواقع، هذا التيار الذي قدّمه كاتز مجموع ثلاث نظريات أخرى. وأدّى بعض آراء كاتز بنفسه إلى اتجاه آخر في علم الدلالة يعرف بالدلالية المنطقية (Logical Semantics). وهذا الانتقال في اتجاه علم الدلالة كان في الحقيقة تحوّل الاهتمام من دلالة المفردات إلى دلالة الجمل. ومن الأعمال المهمة فيه وينريك (١٩٦٦) (weinreich) ولوس (١٩٧٢) (lewis).

وأحدث التطورات في علم الدلالة هو الميل نحو الدلاليات الإدراكية (cognitive semantics). وعلى أساسها وضعت مدرسة اللسانيات الإدراكية بزعامة جورج لاكوف (George Lakoff) ورونالد لانقاكر (Ronald Langacker). ونهج الدلالية الإدراكية يلاحظ في شكلين. الأول النظرية النموذجية طوّرها روش (Rosch) في اللسانيات النفسية. والآخر هو الأساس الاستعاري للمعني والذي اهتمّ به لاكوف و جونسون (١٩٨٠) في كتابهما المؤثر "الاستعارات التي نحيا بها".[٢٠]

[٢٠] والعنوان الأصلي في الإنكليزية Metaphors we live by

الفصل الثالث:

التعريف بالتغيّر الدلالي

إن التغير الدلالي عبارة عن التطور التدريجي يحدث في الدلالة القديمة للألفاظ، عندما يستعملها الناس في معنى جديد وسياق متباين لما استمرّ عليه فترةً محدّدةً، فينتشر استعمال ذلك اللفظ في المعنى الجديد ويشيع، حتى يغلب على المعنى القديم ويُتخلّى عنه في بعض الأحيان. وهذا التغير يظهر في صورة تعميم المعنى أو تخصيصه أو رقيه أو انحطاطه أو غير ذلك. ويقول عبد الكريم محمد حسن جبل في تعريف التغير الدلالي "وهو التغير التدريجي الذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزمن، وتبدل الحياة الإنسانية، فينقلها من طور إلى طور آخر".[١]

ونستطيع تفسير هذا التغير في ضوء النظر إلى اللغة وحياتها في المجتمع على أنها"كائن حي تحيا في ألسنة المتكلمين بها، وتتطور وتتغيّر بفعل الزمن كما يتطور كل كائن حي"،[٢] وهي ظاهرة اجتماعية تخضع لكل ما يعتري الظواهرَ الاجتماعية الأخرى. وهي بالأحرى، ليس لها حياة إلّا في المجتمع، لأنها تحيا في إطار المجتمع وتثوي في نطاق القوم الذي يتخاطب بها كوسيلة للتعبير وتبادل الأفكار. هذا ما يشير إليه الدكتور عبد السلام المسدي "إن اللغة مؤسسة اجتماعية تحكمها نواميس مفروضة على الأفراد، تتناقلها الأجيال بضرب من الحتمية التاريخية، إذ كل ما في اللغة ـ راهنا ـ إنما هو منقول عن أشكال سابقة هي الأخرى منحدرة من أنماط أكثر بدائية، هكذا إلى الأصل الأوحد أو الأصول الأولية المتعددة".[٣]

يقول ابن جنى في حدّ اللغة "فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".[٤] فالأغراض تختلف باختلاف الأمم وتعاقُب الأزمنة، وهي تتجدد وتتنوّع بمرور الدهر، بل في كل يوم على الأحرى، وضروراتُ الناس وحوائجُهم في هذا الزمان، لا تتّحدُ معها قبل نحو قرن أو بعدها. فالحاجة إلى التعبير عن المعاني الجديدة، ربما تكلّف الناس إلى تكوين بعض الألفاظ أو اقتراضها من لغات أخرى أو ضمّ معنى جديد في

---

[١] في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباريّ للمفضليّات ـ ص ٣٣

[٢] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ـ ص ٥

[٣] اللسانيات وأسسها المعرفية ـ ص ١٠٤

[٤] الخصائص ـ ص ٣٤/١

ضمن لفظ قديم. ثم بعض الأفكار العتيقة والأشياء القديمة يمكن ألّا يخطر أصلا ببال أفراد المجتمع الحاضر، على ما هو شأن هذا العالم النامي المتطوّر في كافة الجوانب. وهذا يؤدّي تارة إلى موت الألفاظ الدالة على تلك المعاني المهجورة، أو إلى انقراض المعنى القديم من اللفظ مع بقاء اللفظ حيّا متداولا، ويُستعاض منها بالمعاني الجديدة المستحدثة تارةً أخرى. فاللغة في انحلال وتولد دائمين دوام وجودها. وهذا التجدد ضروري لبقاء اللغة ودوامها، كما في شأن الأجسام الحية.

وهذا التغير ظاهرة تستمرّ عليها الناس طيلة حياتهم، إذ يبدؤون بها من الطفولة نفسها، ويظلّون عليها حتى بعد بلوغهم وفي كبرهم. والأطفال يتشرّبون اللغة من الآباء والكبار في محيطهم أي الهيئة الاجتماعية التي تحيط به، وفي هذه العملية الانتقالية اللغوية يلجأ الطفل إلى "المجاز الضروري"[٥] للتعبير عن الأشياء الجديدة أو الأفكار المبدَعة له، إذا لم يجد لها ألفاظا في مستودع معلوماته اللغوية المكتسبة حتى الآن. ومثال المجاز الضروري كما يقول الطفل "عين الإبرة" يدلّ به على "الثقب في رأس الإبرة"، والضرورة فيها أن الطفل لمّا يريد التعبير عن هذا الثقب فيه عندما يشاهده لا يستطيع أن يختار لفظا يلائمه من خزانة ألفاظه لعدم وجوده أصلاً، فيستعين بلفظ مألوف له من تجاربه السابقة في اللغة، ويربط بين هذا اللفظ القديم والمعنى الجديد ربطا دلاليا لأدنى مشابهة أو مناسبة أو علاقة بينهما، فيولد هناك مجاز دعت الضرورة اليه.

والكبير البالغ أيضا لا يخلو من نحو هذه الابتكارات اللغوية، إذ يعمد اليها حين يرى أشياء مستحدثة جدّا، ولم يعرف ما تُدعى به هذه الأشياء. كما يقول رجل عندما يرى الطائرة لأول مرّة "لها جناح طويل"، فقد انتقل هنا بكلمة "الجناح" من مجالها المألوف إلى دلالة أخرى جديدة. فالتغير الدلالي في معظم الأحيان "إنّما يستند إلى قانون الحاجة، والحاجة تولّد الوسيلة وتولّد العضو المنجِز لها، ولمّا كانت اللغة صيرورة حية على درب الزمان لزم أن تكون لها نوافذ مفتوحة على مضاعفات الوجود والحضارة بما أن "مشرّع" اللغة لا يتسنّى له في لحظة من لحظات وجودها أن يغلق سجلّ حاجات الإنسان منها".[٦]

---

[٥] هكذا يسمّيه إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ـ ص ١٣٠

[٦] اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام مسدي ـ ص ٩٨

وليس جميع التغيرات تنتج عن حاجة وضرورة، حيث لا يعمل بعضٌ منها على سدّ النقص الموجود في الثروة اللفظية، وإنما يضيف أمثلة جديدة إلى المترادفات الموجودة بالفعل. ومنها ما هو مسبّب عن مجرد الرغبة في التغيير والفرار عن الاستعمال المبتذَل، لأجل ما واجهه المبتكرون من ملل وضجر من الاستعمال المتكرّر. ثم يظلّ الناس يستعملها حتى يبادر المعنى الجديد إلى أذهانهم ويصبح دلالةً رئيسية يدلّ عليها الكلمة. فلغات العالم كلها تستسلم للتغير في صورة أو أخرى. وهي "في الواقع دائمة التغير. ففي كل مرة يتعلم الأطفال الكلام، تختلف اللغة التي يثبتون عليها عن لغة محيطهم. وهذه الاختلافات على صغرها في كل مرة تتجّمع بتعاقب الأجيال. ومن جهة أخرى تستعير اللغات عن غيرها، وتلك العاريات تتجّمع هي الأخرى. وثمة تغييرات أخرى تنتج عن مجرد استخدام اللغة".[٧] وهذه التغيرات يحدث في كل عنصر من عناصر اللغة الثلاثة: الصوت، والصيغة، والدلالة.

وبعد تحليل العناصر المختلفة للغة يستطيع لنا أن نقول بأن التغير اللغوي كثيرا ما يطرأ على العنصر الدلالي وأن أكثر العناصر قابلية للتغير في اللغات الإنسانية هي دلالات المفردات، والصوت والصرف الذي يتمثّل الصيغة إذا استقرّا ذات مرّة لا تمسّهما تغيرات تُذكر، وإن كان هناك احتمال طفيف. وذلك لأن "المفردات على العكس من الصوتيات عند الفرد، لا تستقرّ على حال، فكل متعلم يكوّن مفرداته من أول حياته إلى آخرها بمداومته على الاستعارة ممن يحيطون به، فالإنسان يزيد وأيضا ينقص من مفرداته، ويغير الكلمات في حركة دائمة من الدخول والخروج".[٨] فالتغير الدلالي يعتري جميع اللغات الإنسانية إلى حدّ كبير، ويختلف مقدار التغير بحسب اللغات. ويتّضح لك هذا من مطالعة تاريخية لألفاظ اللغتين العربية والإنجليزية، فإنّ ثانيهما كانت أخضع للتغيرات من الأولى، لأن الإنجليزية إذا نظرت من خلال أدبها، مبتدأً من أشعار جيفري تشوسير (Chaucer Geoffrey)، ومضيْتَ من مسرحيات ويليام شكسبير، واطلعت الأعمال الحديثة فيها، لَكِدْتَ أن تزعُم بأن كلّ واحد منها لغات مختلفة، ولا عجبَ فيها لأن مدى اختلاف مفرداتها وأسلوبها وبنيتها النحوية واسع جدّا، بحيث يبدو للقارئ العادي كأنها لغات متنوعة

---

[٧] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب ـ ص ٢١٠

[٨] فندريس، اللغة ـ ص ٢٤٦

ببعض من المشابهات. حتى إن المتكلّم الفطري الإنجليزي الحديث يتعسّر عليه فهم أشعار تشوسير إلا بالمراجعة إلى المعاجم التاريخية.

وكذلك اللغة العربية قد انقادت لظاهرة التغير، لكن بدرجة أقل من اللغة الإنجليزية، وذلك بمحاولات اللغويين العرب بوضع قواعد واضحة يتحكّم على اللغة العربية، وضبط نواميس صارمة يحدّد صوتها وبنيتها، قبل أربعة عشر قرنا، بعدما وضع أبو الأسود الدولي مبادئ علم النحو العربية لأول مرّة. وكان للقرآن أثر واضح في ضبط قواعدها، كما يظهر هذا من السبب المباشر المشهور في التاريخ الذي أدّى علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى حثّ أبي الأسود وتحريضه على هذا الأمر المهمّ. ورغم هذه المحاولات الجبّارة لا يمكن للغة العربية تجنّب التغيرات وتفادي التحولات دلالية كانت أو غير دلالية، لأنها ظاهرة كونية لا فرار منها لأي لغة، مهما انضبطت قوانينها وانسجمت أحكامها. وبعض من أصحاب اللغة العربية يفتخر بأنها لم تتغير بعد نزول القرآن الكريم. وهذا ليس بصحيح على الإطلاق، مع أنها قد حافظت إلى حد كبير على مستوياتها ومعياريتها أكثر من غيرها من لغات العالم. ومهما كان الأمر "نحن في حاجة إلى أن نتقبل أن اللغة العربية "الفصحى" في حياتها الطويلة الخصبة، مع محافظتها البالغة بوجه عام، قد طرأت عليها تغيرات في هذا الجانب أو ذاك، وأيا كان كنه هذه التغيرات، فهي في نظر العلم "تغيرات" يجب أن تدرس دراسة موضوعية".[٩]

ومظاهر هذا التغير الدلالي كثير، قد عكف عليها بعض علماء العصر الحديث في بحوثهم ودراساتهم، وصنفوها إلى أقسام مختلفة من تعميم الدلالة وتخصيصها ونقلها ورقيها وانحطاطها. وقد زاد بعض العلماء أقساما أُخر إلى هذا. ويجري في أيامنا المعاصرة مناقشات عديدة بين العلماء من الغرب والعرب عن هذه الظاهرة اللغوية وملامحها وقسَماتها، مثل البحث هل هو واقعة ذات اتّجاه مطّرد، أم هو يحدث على نحو مشتّت من غير اتجاه معيّن، أو أنه يُعتبر كانحطاط يعتري اللغة، أم كارتقاء يلحقها. وسأبيّن جميع هذه المسائل المختلفة والمظاهر المتنوّعة للتغير الدلالي، مع سرد أسباب أثارتْه، مع تركيز خاص على اللغة العربية، بمزيد من التفصيل في الباب الثاني من الأطروحة.

---

[٩] محمود السعران، علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي ـ ص ٣٩

التغير الدلالي والمجاز

إن معرفة التغير الدلالي خاصة في اللغة العربية يعتمد على الإلمام بالحقيقة والمجاز، لأن الانتقال من المعنى الحقيقيّ إلى ما هو مجازيّ من أهمّ مظاهر التغير الدلالي بل أكثرها، وعلاوة على هذا، إن معظم الدراسات اللغوية لدى العرب القدماء تتناول موضوع تغير الدلالة في عداد البحث عن الحقيقة والمجاز. ويتضح لنا هذا من تعريفهم للحقيقة والمجاز. يقول الشريف الجرجاني: الحقيقة اسم أريد به ما وضع له، والمجاز اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما.[١٠] فالمعنى الحقيقي هو المعنى الذي وضع اللفظ بإزائه أوّلا، والمعنى المجازيّ هو المعنى الجديد الذي لحق اللفظَ فيما بعدُ. وإذا تتبعنا الكتب اللغوية خاصة ما هو معجمي منها، التي قام بتأليفها العرب القدماء، وجدنا فيها ذكر الحقيقة والمجاز بين صفحة وأخرى، كما جاء في أساس البلاغة "أرّث نارَك أوقدها. ومن المجاز: أرّث بين القوم: أفسد، وأوقد نار الفتنة".[١١] وهذا يشير إلى أن أصل المعنى أو المعنى الموضوع لكلمة "أرّث" هو "أوقد النار" ولكن عُمّم هذا المعنى ممّا هو حسيّ إلى معنى ذهنيّ وهو "أوقد الفساد والفتنة". وقد وقع ههنا التغير الدلالي بطريق الانتقال من الحقيقة إلى المجاز. فبالجملة، إنّ مِن داخل مؤلفات اللغويين العرب القدماء وأعمالهم مثل هذا، يُستخلص المعلوماتُ والمعطيات لدراسة التغير الدلالي في العربية ويُبدأ منها البحث عن تلك الألفاظ المتغيرة. فبدون الفهم التام عن الحقيقة والمجاز لا يتسنىّ البحث عن التغير الدلالي العربي.

وقد قسّم العلماء كلاًّ من الحقيقة والمجاز إلى لغوي وشرعي وعرفي عام وعرفي خاص. وبعض من العلماء يذهبون إلى أن الكلام كلّه حقيقة حينما البعض الآخر يرى أنه مجاز بأجمعه. ولكن الذي ساد بين الجمهور هو رأي يحلّ محلّ الاعتدال بين المذهبين ولا يميل إلى واحد منهما، وهو القول بأن الألفاظ تستعمل تارة حقيقيا وأخرى مجازيا. وقد تعامل اللغويون العرب مع مسألة الحقيقة والمجاز من ناحية أنها موضع الحسن والجمال في الخطاب ومظنّة البلاغة والأسلوب في الكتابة، وليس هذا من صميم اهتمام هذا البحث عن التغير الدلالي لأني أعالج الحقيقة والمجاز على أنه أحد مظاهر التغير الدلالي في جميع اللغات الإنسانية.

---

[١٠] التعريفات ـ ص ٨٩ و٢٠٢

[١١] الزمخشري ـ ص ٢٤/١

وفي بعض الأحوال يصير المعنى المجازي كالمعنى الحقيقي، ويكتسب درجة الحقيقة لكثرة استعمال الكلمة وشيوعه في المعنى المجازي، حتى يسرع ذلك إلى أذهان الناس عند استماعها. فالحقيقة في الواقع استعمال أَلِفَه الناس والمجاز ما انحرف عنه. فهذا الانحراف يحدث في كل عصر وجيل، مع ما يجلبه من التغير الدلالي. فالمعنى الذي يألفه معظم الناس من كلمة فهو الحقيقة العامة في ذلك الجيل، لا ضرورة أن يكون هو المعنى الموضوع له أوّلا. وإن كان هناك اختلاف كبير في فهم كل فرد لمعنى تلك الكلمة، يتفق معظمهم على واحد من المعاني. والمجاز العام هو معنى يوجد باستعمال الكلمة بإزائه نوعٌ من الطرافة والغرابة. فالانتقال من الحقيقة العامة إلى المجاز العام يسبّب للتغير الدلالي في كل عصر ومصر. وهذا المجاز ليس الذي يستخدمه الأدباء والشعراء في أعمالهم الأدبية. وهو يتميّز بالطرافة ويعجب به جمهور من الناس، وهو الذي ينحرف إليه الأديب والشاعر عمدا وقصدا، يلتمس بها الحسن والجمال والبلاغة في كلامه. وهذا المجاز أيضا يفقد طرافته وحسنه بالشيوع والتداول حتى ينتقل إلى مرتبة الحقيقة. فكل لفظ في حركة دائمة، "فالمجاز القديم مصيره إلى الحقيقة، والحقيقة القديمة قد يكون مصيرها إلى الزوال والاندثار، وتبقى الألفاظ إذا قدر لها البقاء وتنتقل من مجال إلى آخر جيلا بعد جيل، ذلك هو التطور الدلالي".[١٢]

التغير الدلالي والاشتقاق

الاشتقاق، كما في المزهر، "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنًى ومادةً أصليةً وهيئةَ تركيب لها، ليدلّ بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب وحَذِرٌ من حَذِرَ"،[١٣] وهذا هو الاشتقاق المحتجّ به في اللغة ويُعرف بـ "الاشتقاق الأصغر". وهناك اشتقاق ابتكره ابن جني وأبو عليّ الفارسي ويُعرف بـ "الاشتقاق الأكبر"، وهو الحفظ على المادة دون الهيئة مع اشتراك جميع تقاليب تلك المادة في المعنى المعيّن. فيجعل التقاليب الستة لمادة السين والميم واللام من "س م ل " "س ل م " "م س ل " "م ل س " "ل م س " "ل س م " بالمعنى الجامع لها المشتمل عليها، وهو الإصحاب

---

[١٢] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ص ١٣١ وما بعدها

[١٣] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ ص ٢٧٥.

والملاينة".[١٤] وهذا الاشتقاق ليس لها علاقة خاصة بالتطور الدلالي. وأما ما يهتمّ بنا في هذا البحث فهو الاشتقاق الأصغر.

والاشتقاق في اللغة العربية باب مفتوح لاستقبال التغيرات والتحوّلات في ألفاظها. وهو سبيل لتكيّف التطورات بحيث لا تخرج عن إطار القواعد والضوابط للعربية الفصحى. وبهذا يمكن الإتيان بالألفاظ الجديدة من مادة مألوفة بقياس أوزان العربية المعروفة، حتى يتأطر بالمعيارية بدون انحراف عن المستويات المقبولة. يقول فايز الداية: "إن الاشتقاق أداة تطورية دائمة للعربية، وهي تقتضي منا أن نحسن حركتها في العربية الفصحى أوّلا، ومن ثمّ نتمكّن من استعمالها، وإنها تعطينا طبقات متعددة من الدلالات المميزة إلا أنها غير منفصلة، ولا تحجب الواحدة منها الأخريات عن المنبع الأول".[١٥] وذلك أن كثيرا من الألفاظ العربية غير مستعمل في الحالات الاشتقاقية كلها، المقبولة حسب القوانين الفصحى. والحقيقةُ أنه لم يأت إلينا من العربية إلاّ قليل، تؤيد ما ذُكر. فيمكن أن يزداد عدد الصيغ باستكمال الصور الأخرى الممكنة من الأصول التي وصلت إلينا. وقد اتسع مجال الاشتقاق، وكان في الأصل مختصّا بالمصدر، أي تؤخذ الصيغ المختلفة من صيغة المصدر فقط، بل تجاوز الآن إلى الأسماء المختلفة، حتى يُكوّن الفعلُ من الاسم كما في أوْرَقَ من الوَرَق،[١٦] تأبّط من الإبْط، شتّى من الشتاء،[١٧] نعق من النعيق، ثنّى من اثنان، وغيرها من الكلمات المشتقة من غير المصادر. وبهذا تتولّد المعاني الجديدة من مادة أصلية قديمة.

وقد مرّ الذكر بأن كثيرا من الأوزان لم تزل غير مستخدمة من كثير من الأصول العربية. فباستخدام تلك الأوزان المهجورة، في معنى جديد يشترك مع الصيغ الأخرى من تلك المادة، في أصل المعنى، يكون التغير الدلالي قد حدث. وإذا فتّشنا المعاجم العربية القديمة وجدنا كثيرا من الأوزان غير مدوّنة فيها، ولكنها تستخدم في نفس العربية الفصحى الحديثة. ومن أمثلتها وزن "انفعل" من مادة "ج م ع" أي صيغة "انجمع"، لم يرد ذكر هذه الصيغة في الصحاح للجوهري ولسان العرب لابن منظور في مادة "جمع"، ولكنها

---

[١٤] ابن جني، الخصائص ـ ص ١٣٩/٢

[١٥] فايز الداية، علم الدلالة العربي ـ ص ٢٣٧ وما بعدها

[١٦] يقال أورق الشجر إذا خرج أو ظهر وَرَقُه

[١٧] يقال شتّى الرَّجلُ بالمكان: أقام به شتاءً

استعملت في الأندلس الإسلامية، كما يقول المقري: "انجمعت عن كل النفوس".[١٨] ومما لا نعثر عليها في المعاجم القديمة صيغة "احترم" مع أن " محترَم" بصيغة اسم المفعول وارد في كتب الحديث. وكل صيغة من "الاحترام" و"احترمَ" مستخدم في اللغة العربية الفصحى. ففي الجملة، إن هذا الاشتقاق قدرة كامنة في العربية يدلّ على قابلية تكيّفها للتغيرات والتطورات الدلالي الحديثة.

خصائص التغير الدلالي

قد أصبحت اليومَ خصوصيةُ التنوّع التام للتغير الدلالي ما يجعل الأمر صعبا لدى العلماء والباحثين الدلاليين، لأن أغلب أحوال التغير الدلالي، حسبما يُظهره البحوث والدراسات حتى الآن، مشوّش وضبابيّ، لا ينسجم مع قاعدة ولا يخضع لحكم، كما هي متناقضة في ذاتها ومتقلّبة في مزاجها، حتى لا يستطيع لأحد التنبؤ بها سلفا وترقّبها قبل وقوعها. وإذا أمعنّا النظر في تاريخ اللغة باعتبار ما مرّ بها من التغيرات في أثناء تطوّرها ونموّها، وارتقائها، رأيناها تسير في تطوّرها سيرا خفيفا بطيئا لا يشعر به أحد إلا بعد انقضاء فترة طويلة من الزمن. وإذا لاحظنا نتائج التغير الدلالي وجدنا أنها فردية ومختلفة في كل عصر ومجتمع، ولا عجبَ فيها لما نعلمه من تنوّع الحضارات وتباين الثقافات الإنسانية وما يُصاحبه من تفنّن ابتكاراتهم.

لا يمكن لأحد استبعاد نوعٍ معيّن من التغير الدلالي كما يتأتّى له ذلك في حالة التغير الصوتي، لأن في التغير الصوتي قيود وشروط فيزيولوجية. فصوت الواو، يمكن أن يقال، لا يتغير أبدا إلى صوت القاف. ومثل هذه التنبؤات لا ينجح في حالة التغير الدلالي. ولكن قد قام بعض العلماء مثل تراوجوت (Traugott) في الآونة الأخيرة، بتقديم بعض الميول نحو اتجاهية التغير الدلالي، وقالوا إن التغير الدلالي يتبع هذه الاتجاهات، التي استخلصوها من استقراء كثير من التغيرات. ولكن هذه القواعد التي تتحكّم على التغير الدلالي إنّما تنكشف باعتبار العناصر الثقافية التي تقوم خارج نطاق اللغة. ولا يمكن استنباط مثل هذه القواعد من داخل اللغة فقط، من غير استناد على الأمور الخارجية.

---

[١٨] محمود فهمي الحجازي، علم اللغة العربية ـ ص ٣٠٣

وقد لاحظ علماء اللغة أن التغير الدلالي يحدث تدريجيا في أغلب الأحوال، كما هو شأن ظاهرة التغير في سائر المجالات، لغويّا كان أو غيرها. ويسير ببطء وتدرج فلا يحدث فجأة وبمرة في يوم وليلة ولكن يمر بخطوات ومراحل، وهي ظاهرة تتولّد من خلال تعاقب الأزمنة ومرور الأجيال. وفي بعض الأحيان يشرع أول أمارات التغير في جيل ولا يكتمل العملية إلاّ في الجيل التالي. وهكذا يحدث جميع التغيرات الدلالية شيئا فشيئا في كل لغة من اللغات. وهذا هو صلب المقولة"There are no leaps in nature" (لا يوجد في الطبيعة طفرات).[١٩] وكذلك إن التغير الدلالي تلقائي أي يحدث بطريق عفوي طبيعي فطري وعلى نحو لاشعوري دون قصد أو تعمد. وهذه التلقائية جعلت التغير الدلالي ظاهرة كونية توجد في كل لغة تستعملها جماعة من الناس. والأسباب والظواهر تختلف باختلاف الثقافات والحضارات والجغرافيات، وكل ما لها دخل في تشكيل حياة المجتمع.

والتغير الدلالي كما تقول جان آيتشسن (Jean Aitchison)[٢٠] له ثلاث مراحل. الأول هو أن يبتكر واحد من متكلمي اللغة بكلمة منها، منحرفا بها إلى معنى غير مألوف. والثاني أن يكون اختياره مقبولا داخل المنظومة اللغوية. والأخير هو شيوع هذا التغير بين الناس وتقليدهم هذا الابتكار الصادر من أحد المتكلمين. فبما أن التغير يبتدأ من الابتكار، هناك إمكانيات غير متناهية لمثل هذا التغير. وكذلك تؤيّد اعتباطية العلاقة بين اللفظ والمعنى هذه الإمكانية. لأن المعنى إنما يقوم تحت كلمة من الكلمات لمجرّد الوضع، ولم تُعتبر فيها أي علاقة طبيعية أو فطرية. فالعلاقة اصطلاحية. فكلّ لفظ صالح لأن يحمل أيّ معنى. فكلّما كثُر فرص التغير، كثر احتمالات وقوعه.

اللغة والمجتمع

إن اللغة ـ لا شك ـ ظاهرة اجتماعية تساير مع المجتمع الذي يتّخذ تلك اللغة وسيلة للاتصال المتبادل فيما بينهم، ولذلك يظهر فيها أخلاق المجتمع وطبيعته كما في غيرها من الظواهر الاجتماعية.

---

(19) Bickerton, D. (1973, September). The Nature of a Creole Continuum. Language, 49(3), 640-669.

(20) Aitchison, J. (2004). Language Change: Progress or Decay?

كما يقول جوزيف فندريس: "إن اللغة نظام اجتماعي تتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه"،[٢١] ولهذا السبب لا نجد اللغة يستخدمها فرد من أفراد الإنسان، إذا كان وحيدا منعزلا عن الناس في جزيرة أو غابة خالية عن غيره من الأناس، وكذلك ينشأ الوليد أبكمَ، ولو كان سويّ الخلقة، إذا عزل عن البيئة الناطقة. ومما يؤكّد أن اللغة رابطة ثقافية واجتماعية، وما تُنفي عنها أن تكون رابطة جنسية أو عرقية، ما لو أننا فصّلنا طفلا حديث الولادة من بيئته، وفوّضناه إلى بيئة أخرى لها لغة غير لغة أبويه، لشبّ متكلما بلغة القوم الذي احتضنه. فاللغة لم تخلق في يوم وليلة، ولم توضع بين عشية وضحاها، لكنها وليدة عملية تاريخية تدريجية، تغيرت وتطورت شأنها عبر السنين المتوالية. "وليست اللغة من صنع فرد أو أفراد وإنما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع يجد أفراده أنفسهم مضطرّين إلى اتخاذ وسيلة للتفاهم والتعبير عما يجول بالنفس وتبادل الأفكار".[٢٢]

لا وجودَ للغةٍ بدون مجتمع، كما لا يوجد مجتمع بدون لغة، فإن كانت اللغة والمجتمع متلازمين هذه الملازمة فيمكننا تأكيد القول، بلا أدنى شك، بأن كلا منهما مؤثرة في الآخر إلى درجة كبيرة. ولما كانت اللغة تتفاعل مع المجتمع، فكل تغير في أي لغة يستطيع أن تُستكشف أسبابها وعواملها من داخل المجتمع الذي يعبّر بوسيلتها عما في نفوسهم، ومن داخل البيئة التي يعيش فيها. والتطور والتغير في المجتمع، كل ما هو سياسي وديني وحضاري وتكنولوجي، يتردد صداه في اللغة إلى درجة مختلفة. ولهذا السبب "تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب".[٢٣] وقد أدرك العلماء في العصر الحديث، علاقة اللغة بالمجتمع الذي تعيش فيه، ومدى تأثرها وتأثيرها عليه، كما عرفوا الصلة القائمة بين اللغة والنفس الإنسانية، وتلونها بألوان الانفعالات والعواطف الوجدانية، لدى بني البشر.

إن حياة اللغة وتطورها لفي احتياج الناس وتطلّبهم إليها، وتبقى ما داموا في حاجة إليها. "ولقد كان القدماء يلجئون إلى توليد الألفاظ الجديدة كلما اضطرّتهم ظروف الحياة المتجددة إليها، والإفصاح

---

[٢١] اللغة (تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص)، المقدمة ـ ص ٢

[٢٢] رمضان عبد التواب ـ لحن العامة والتطور اللغوي: ص ٣٠

[٢٣] علي عبد الواحد الوافي، اللغة والمجتمع ـ ص ١٣

عما يعنّ من أمورها".[٢٤] فالألفاظ والكلمات تُنشأ وتُدرَج في قائمة المفردات واحدا بعد واحد حسبما يحتاجها المجتمع، ليساير التطور الإنساني.

إن الأسماء في اللغة لها علاقة وثيقة بالمجتمع، نظرا لما أنها تستمد معناها من الاستعمال الفعلي في مواقف الحياة، وتكتسب دلالتها من هذا الاستعمال واتفاق الجماعة، فتتأثر اللغة بعقلية المجتمع ونفسيتها وأنماط سلوكها وتفكيرها، وهذا ما جعل دي سوسور[٢٥] يحثّ على بحث العلاقة بين الألفاظ ومعانيها في صلب الحياة الاجتماعية.[٢٦] وهذا ما نرى في اللغة العربية من علاقة وثيقة بين الألفاظ والأسماء أو الأعلام العربية وبين الطبيعة والبيئة التي كانت العرب يعيش فيها. ومن أمثلة علاقة اللغة بالمجتمع قول العرب "فلان حسن الإبالة والإبالة السياسة والقيام على ماله، لأن مال العرب الإبل".[٢٧] فاشتقّ ههنا لفظ للدلالة على تدبير الأموال من "الإبل" لما كان الإبل أهمّ أموال العرب، فتدبير الأموال عندهم تدبير الإبل.

وتتبُّع أعلامِ العرب القدامى ورصد أسماء القبائل والأشخاص لديهم، يكشف الحقيقة الواضحة بأن كثيرا منها كانت متأثرة من الطبيعة الجغرافية التي أحاطت بهم والبيئة الاجتماعية التي كوّنت نظامهم والظروف السلوكية التي سيطرت على أفكارهم وأخلاقهم. وتشير كثرة هذه الأعلام والأسماء إلى شدة هذه العلاقات بين المجتمع والطبيعة واللغة، ومتانة ارتباط بعضهم بعضا. ويمكننا اكتشاف كثير من أسماء الأشخاص والقبائل في التاريخ العربي ذوي دلالات على أسماء الطيور والنبات والسباع والهوام وغيرها من مكوّنات الطبيعة. وقد ذكر هذا ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦ هـ) في كتابه "أدب الكاتب" وأورد كثيرا من الأسماء ذات دلالات طبيعية في أصلها في باب سمّاه "باب أصول أسماء الناس".

---

[٢٤] مجدي إبراهيم محمد إبراهيم ـ بحوث ودراسات في علم اللغة: الصرف والمعاجم والدلالة، ص١٦٥

[٢٥] دي سوسور، دروس في الألسنة العامة ص ٣٧-٣٩، تعريب صالح البرماوي

[٢٦] مجدي إبراهيم محمد إبراهيم ـ بحوث ودراسات في علم اللغة: الصرف والمعاجم والدلالة، ص١٧١

[٢٧] الزمخشري، أساس البلاغة ـ ص ١٨/١

يقول ابن قتيبة: "ثُمامَة" واحدة الثُّمام، وهي شجر ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص، وربما حُشي به خَصَاص البيوت.[٢٨] و "الهَيْثَم" فرخ العُقَاب.[٢٩] و "العَلَسُ" القُرَاد، (اسم دويبة متطفلة) وبه سمي المسَيَّب بن عَلَس الشاعر.[٣٠] وكل هذه الأسماء يدلّ على مدى ارتباط الطبيعة بالمجتمع العربي، من ثمّ بلغتهم العربية أيضا.

وإذا نظرنا إلى هذه الأسماء من ناحية جغرافية خاصة بالعرب، وحلّلناها واضعا نصب أعيننا على طبيعة حياتهم الصحراوية الجافة الغليظة وجدنا آثار هذه الملامح الجغرافية في تسميتهم للأشخاص والقبائل. ونجد في أسماء أبناء العرب كلمات تدلّ على الذئب والثعلب، وما غلظ من الشجر والحجر كالأوس والعلقم والطلحة والكلدة وغيرها، مما يدلّ على الخداع والذكاء والشدة والقسوة. وربما تكون تجربة حياتهم الصحراوية من الدوافع الخفية لمثل هذه التسمية، لأنهم يفهمون منها معنى الشدة والصلابة والصبر والذكاء والمكر مما يستحسن في حياتهم الصحراوية، كما يقول الدكتور مجدي إبراهيم: "إن العرب يسمّون أبناءهم بأسماء الذئب والثعلب وغيرهما لتميزهم بالمكر والخداع والذكاء، وهي صفات تحتاج اليها الطبيعة الصحراوية، كما أن العربي يتأوّل فيها المهارة والقدرة والحشمة".[٣١]

وكانت الحرب أمرا لا مهرب منه لدى العرب في الأيام الجاهلية، وكانوا مشتغلين في الحروب الدامية فيما بين القبائل سنوات متوالية لأسباب تافهة جدا، حتى كأن الحرب واحدة من مؤسسات أساسية لنظامهم الاجتماعي. وهذا ما ينعكس في تسميتهم أولادهم بأسماء السباع والهوام وخاصة بأسماء الأسد الذي هو مترادف الشجاعة والذي يُستعمل مجازا للرجل الشجاع. وكان الدافع النفسي وراء هذه التسمية ترهيب أعدائهم وتخويف مخالفيهم من القبائل المعادية. ومن بعض هذه الأسماء كما يقول ابن قتيبة: "عَنْبَسٌ" الأسد، وهو فَنْعَل من العُبوس وبه سمي الرجل.... و "ذُؤالة": الذئب، وبه سمي الرجل.... و "ثَعْلبة" أنثى الثعالب. و"أُسَامة" و"هيصم" و"هَرْثَمة" و"هرماس" و"الضيغم" كل منها يدلّ على الأسد.[٣٢]

---

[٢٨] أدب الكاتب، ص ٦٧

[٢٩] المرجع السابق، ص ٧٠

[٣٠] المرجع السابق، ص ٧٢

[٣١] بحوث ودراسات في علم اللغة: الصرف والمعاجم والدلالة، ص ١٨١

[٣٢] أدب الكاتب، ص ٧٠، ٧١

مناهج البحث لدراسة التغير الدلالي

قد تعددت مناهج البحث اللغوي عند اللغويين المعاصرين، ومعظم دراساتهم قد تركزت على ثلاثة مناهج: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج المقارن. ولكل من هذه المناهج أنصار يدعون إليه ويدّعون لتفضيله على غيره. ولكنه مع ذلك أن لكل منهج ميزة لا تتوفر لدى غيره، وغرض لا يوفى إلا به. فاختيار المنهج للدراسة يتوقف على موضوع البحث وطريقة معالجته.

والبحث عن التغير الدلالي في أي لغة يتبع منهجين مهمّين من المناهج اللغوية المذكورة، يرجع الفضل في التمييز بينهما إلى اللغوي السويسري فردنان دي سوسور، هما المنهج التاريخي(Diachronic) والمنهج الوصفي(Synchronic)[٣٣]. فالمنهج التاريخي أو التطوري تعامل مع ظاهرة التغير من مرحلة إلى مرحلة أخرى عبر الزمن. ويقصد بها البحث في الظواهر بحسب التطور الزمني المتعاقب. فيقوم الباحث ببيان المراحل التي مرت بها اللغة المعينة، والعمليات المرتبطة بها، ويبحث عن أسباب ومظاهر التغيرات على مدار العصور المختلفة. لأن كل لغة من لغات العالم تتعرض للتطورات العديدة والتغيرات المتنوعة في سيرها عبر الزمن لكي تواكب ركب الزمن. وهذا التغير في اللغة متأثر بأسباب مختلفة حسبما تختلف مراحل اللغة ومناطقها، وله كذلك مظاهر يمكننا إحصاء معظم هذه التغيرات تحتها. فالمنهج التاريخي أنسب المناهج بدراسة التغير الدلالي في أي لغة، وأكثرها قبولا لبيان ظاهرة التغير سواء في اللغة أم في غيرها من الظواهر الاجتماعية، حيث أن التغير في أي صورة من الصور واقعة تدريجية تسير ببطء وتوان مع مر الدهور وكر الأزمنة.

أما المنهج التزامني أو الوصفي (Synchronic) فيقصد به دراسة مختلف الظواهر اللغوية في مدة محددة من الزمن. التغيرات ربما تقع في وقت واحد، لكن فيما بين متكلمي اللغة المختلفة. فالباحث بهذا المنهج عن التغير في اللغة يتتبع هذه التغيرات في مرحلة واحدة. أما ميدان الدراسة للمنهج الوصفي فيدور حول بيان ملامح تلك اللغة التي يقوم الباحث بدراستها في فترة محدّدة من الزمن، لا تتجاوز إلى غيرها. الباحث يريد ان يصل إلى الحالة الفعلية للظاهرة اللغوية التي هو بصددها. وهو يصف جميع ميزاتها وملامحها

---

[٣٣] ويعرفان أيضا في العربية بمصطلحات أخرى: المنهج التطوري والمنهج التزامني (أنظر فايز الداية، علم الدلالة العربي)، أو النظرة الديناميكية والنظرة الاستاتيكية (أنظر تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة)

في تلك الفترة وصفا تفصيليا ويبين اللغة كما هي، كما يدرس عن اللغة العربية في العصر الإسلامي فحسب، لا يتجاوزها إلى العصر الجاهلي أو العصر الحديث. وممّا يُحوجنا إلى دراسة اللغة على المنهج الوصفي ما يقول أنصاره، نحن لا نستطيع أن ندرس لغة من لغات العالم دفعة واحدة، لأنها لم تكن على حالة واحدة ثابتة خلال تاريخها، تنتقل من عصر إلى عصر بدون تغير ولا تطوّر. بل إنها تتقلب بين حالات مختلفة حسبما تمرّ العصور. فاللغة عندهم لا بدّ أن تبحث عنها في كل عصر على حدة.

بيد أن المنهج التاريخي لا يُستغنى عن المنهج الوصفي، لأن الباحث على المنهج التاريخي يعتمد إلى حد كبير على مُعطَيات وثمرات البحث الوصفي. فهو يحلّل هذه المعلومات في المراحل المختلفة ويرصد مواضع التغير على مدار هذه المراحل، فيصل إلى نتائج جديدة ويكشف الأسباب والمظاهر للتطورات والتغيرات التي مرت بها اللغة عبر الزمن منذ نشأتها حتى عصرها الحاضر. فالمنهج التاريخي فان كان يتباين المنهج الوصفي نظريّا، لا يكتمل إلا به عمليّا.

ولغتنا العربية، التي أتعامل معها بالبحث ههنا، لما تُبحث التغيرات الدلالية في كلماتها من الناحية التاريخية، لابدّ من دراسة عصورها المختلفة دراسة وصفية، أي على الباحث ان يدرس عن خصائص اللغة في كل عصر على حدة. ثمّ يحلّل حالات اللغة في مختلف العصور ويقارن كلا منها مع ما قبلها وما بعدها، فيبرز له التغيرات والتطورات التي وقعت في اللغة عبر الزمن. لأن العربية الفصحى الحديثة متميزة عن عربية العصر الجاهلي مثلا، وكلتاهما متميزتان من عربية العصر العباسي وهكذا. فكل عصر من هذه العصور حلقة في سلسلة التطور التاريخي للغة العربية، وهذه الحلقات تمثّل، كما يقول دي سوسور "حالةً لغويةً" من حالات اللغة. فالدراسة التاريخية للغة هي اقتفاء أثر التطورات والتغيرات في لغة واحدة باعتبارها "حالات لغوية" متتابعة.[٣٤]

والمنهج الذي سرتُ عليه في هذا البحث فهو منهج تاريخي تتبع فيه ظاهرة التغير الدلالي في الكلمات العربية عبر الزمن؛ من المرحلة الجاهلية إلى المرحلة المعاصرة من مراحل تطور اللغة العربية الفصحى، ولكن الدراسة على المنهج التاريخي، كما ذكرنا، لا يمكن استغناءها من المنهج الوصفي. وجوْدةُ الدراسة التاريخية ودقّتها تعتمد على دقة الدراسة الوصفية وإتقانها في أي لغة من اللغات.

---

[٣٤] أنظر محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي

الباب الثاني:

التغير الدلالي: عوامله ومظاهره ومراحله

الفصل الأوّل: عوامل التغيّر الدلالي

الفصل الثاني: مظاهر التغيّر الدلالي

الفصل الثالث: مراحل التغيّر الدلالي في تاريخ اللغة العربية

الفصل الأول:

عوامل التغير الدلالي

قبل الدخول إلى التفصيلات يجدر بنا أن نحاول إعطاء فكرة وجيزة عن هذا المفهوم؛ فالعوامل هي الأسباب المؤثّرة الظاهرة، وعندما نقول عوامل التغير الدلالي فإننا نقصد المؤثرات التي تؤدي إلى تطوّر دلالات الألفاظ وتغيّر مدلولاتها عبر التاريخ. ومن بين وظائف اللغوي أن يدرس العوامل التي تؤدّى إلى تطور اللغة، حتى يمكن له أن يعكس صورةَ اللغة المستقبلة من خلال حاضرها. لكن هذه وظيفة صعبة جدا، لأننا نعرف أن اللغة كائن حي تنمو وتتطوّر مع الظواهر الاجتماعية والتاريخية والنفسية كنتيجة حتمية لتطور المجتمع الإنساني. فكل تغير يصيب المجتمع، سواء كان ذا طبيعة دينية أو سياسية أو ثقافية أو تكنولوجية أو غير ذلك، يظهر آثارها أيضا في اللغة. فشأن اللغة الاجتماعي يلعب دورا بارز في خلق التغيرات فيها، كما توجد أسباب لغوية تدعو إلى تغير مدلولات الألفاظ. وكل من يحاول دراسة عوامل التغيّر اللغوي يجب أن يدرك بأن اللغة ظاهرة اجتماعية ونفسية، فمن المحتمل أن يعمل في تغييرها كل من العوامل الاجتماعية والعوامل النفسية، مع العوامل من داخل اللغة نفسها، متداخلاً كلّ منها بشكل معقّد، بحيث يتعذر في غالب الأحوال رسمُ خطّ التفصيل بينها.

"التغير الدلالي يمكن أن يتسبّب عن عوامل كثيرة، لا يحصى تعدادها. ويوجد عادةً بعضُ مظاهر هذا التغيّر، ينفلت من الأسباب التي نعيّنُها، ولا يُذعنُ لواحد منها، وإن قسّمناها بالدقّة والضبط"،[1] وهذا البيان للغوي الهنغاري ستيفن أولمان (Stephen Ullmann) يشير إلى فكرة عامة لدى أكثر علماء الدلالة بأن التغير الدلالي موضوع يصعب ويتعذّر المعالجة بها. وأسبابه كثيرة، لم يكتشف اللغويون حتى الآن قوانين عامة ثابتة يربط تماما جميع التغيرات في لغات العالم. ولكنهم قد بيّنوا بعضا من العوامل تلعب وراء التغير اللغوي بقدر طاقتهم.

ومما يغني عن البيان بأن التغير الدلالي تؤدّي إليه عوامل مختلفة، بعض منها من داخل اللغة، بينما يأتي معظمها من خارجها وهذا الثاني يضمّ العوامل الاجتماعية والثقافية والعلمية والنفسية وغيرها. ولكن

---

[1] Ullmann, S. (1962). Semantics: an introduction to the science of meaning. p. 197

"لم يحاول واحد من العلماء أن يضع قاعدة شاملة لكل العوامل الداعية إلى التغير في المعنى، ولكنهم حاولوا أن يوضحوا عوامل تغير الأمثلة، حين تخطر في دراساتهم".[٢] ويرى بعض العلماء بأنه ينبغي أن يكون هناك السبب الوحيد الجذري وراء كل حالة من حالات التغير اللغوي. والبعض الآخر من اللغويين ذهبوا إلى تعدّد الأسباب والعوامل مع قولهم بأنه من الصعب أن يقطع بالذي كان حاسما في كل حالة معيّنة من حالات التغير.

طبقا لجين آيتشسن (Aitchison) إن عوامل التغير اللغوي مزدوج الطبقات؛ تتمثل الأسباب الاجتماعية عُلياهما، بينما الأسباب العميقة التي تقع في داخل نفس اللغة سُفلاهما. وليست الأسباب الاجتماعية عندها أسبابا حقيقية، بل تعمل كمجرّد مسرّع ومعجّل للتغير الذي جلبته الأسباب الأساسية في داخل اللغة نفسها.[٣] وتُشبِّه التغيرَ اللغوي بحادث السيارة؛ يمكن أن يكون له عدد لا يحصى من الأسباب. ويندر وقوع اصطدام مَرْكبةٍ بمجرّد سبب واحد، كقصور فاجئ لعجلة القيادة أو غلبة النوم على السائق أو غيرها. وكثيرا ما يعمل فيه مجموعة من العوامل، يساهم كل منها في الكارثة على العموم. والتغيّر اللغوي أيضا يتّبع هذه القاعدة، فيمكن أن يكون وراء كل تغير أنواع مختلفة من الأسباب، أكثر من سبب وحيد، يعمل مجموعُها في جلب التغيّرات.

ويدّعي غوستاف ستيرن (Gustaf Stern) أن بعضا من التغيرات الدلالية يتسبّب عن العوامل الخارجية غير اللغوية، بينما ينجم معظمها عن العوامل اللغوية النفسية. حيث إنه سرد سبعة من أصناف التغير الدلالي، واحد منها مسبّب عن العوامل الخارجية، والستة الآخر عن العوامل اللغوية النفسية.[٤] غير أن هرمان بول (Hermann Paul) يزعم أن التغير في المعنى يلحق اللغة عن طريق الكلام. لكن اللغوي الفرنسي أنتوان مييه (Antoine Meillet) قدّم في العقد الأول من القرن التاسع عشر خطة أخرى، وحصر فيها عوامل التطور الدلالي على ثلاث مجموعات رئيسية، وهي: العوامل اللغوية والعوامل التاريخية والعوامل تتعلق بالطبقية الاجتماعية (social stratification). وهذه النظرية اقتبس منها كثير من العلماء والباحثين

---

[٢] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ـ ص ٢٤١

[3] Aitchison, J. (2004). Language Change: Progress or Decay?, p.153

[4] Stern, G. (1931). Meaning and Change of Meaning, p. 170

بعده. واقتفى اللغوي الهنغاري ستيفن أولمان أيضا خطاه، في بيان الأسباب التي تكمن خلفها تغيرات المعنى في العادة.[٥] لما كان أنطوان مييه يهمّه العوامل التي تتحكم على بُداءة التغير، قدّم لنا شبيربر (Sperber) تقسيما آخر للعوامل التي تتولّى على نشر هذا التغير.

أما اللغوي المصري عبد الواحد الوافي فإنه قد تناول عوامل التغير الدلالي بشيء من التفصيل. وعدّد الطوائف الثمانية من العوامل الداعية إلى التغير في دلالة الألفاظ، منها ما يتعلق باستخدام الكلمات وبأصواتها وبوضوحها في الذهن، وما يتعلق بالقواعد اللغوية وبانتقال اللغة من جيل إلى آخر أو من لغة إلى أخرى.[٦]

ويستنتج بتحليل ما سبق من الآراء المختلفة لعلماء اللغة عن العوامل التي تدعو إلى التغيرات في معاني الألفاظ، بأن عملية تصنيف هذه العوامل ممّا يصعب القيام به، حيث إن العلماء المتقنين الذاكرين إياها هم أنفسهم مختلفون في تصنيفها وتبويبها اختلافا كبيرا.[٧] ومن المفيد أن نشير في هذا الصدد إلى أن هذه العوامل معقَّدةٌ جدّا، بسبب التداخل الحاصل فيما بينها وتشعّبها وتكاثرها، وأن من العوامل مالها علاقة مباشرة في جلب التغيرات ومنها ما يذلّل السبيل إليه. وعلاوة على ذلك ليس بإمكاننا أن نعتبر كل العوامل المحتملة. على الرغم من كل هذه العوائق حاولت في هذا الفصل بقدر الامكان أن أرتّبها ترتيبا ملائما، وأقسّمها تقسيما يمكن إحرازه، بالاستناد على أعمال اللغويين خلال السنوات الماضية المذكورين أعلاه، واضعا نصب عيني على اللغة العربية وألفاظها والبيئات المختلفة التي نشأت في ربوعها. وأذكر منها أشهرها وأكثرها تأثيرا واحدا بعد واحد ممّا يغلب على الظن أنها سبّبت التغيرات الدلالية في العصور المنصرمة بخصوص اللغة العربية.

---

[٥] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة . ص ١٥٤، ينظر أيضا Aitchison, J. (2004), p. 122 and Ullmann, S. (1957). The Principles of Semantics, p. 192

[٦] عبد الواحد الوافي، علم اللغة . ص ٣١٩ وما بعدها

[٧] عمار قلالة، التطور الدلالي في "مقاييس اللغة" لابن فارس ـ ص ٣٢، وينظر التذييل هناك للمصادر التي تصنف عوامل تطور الدلالي تصنيفا مختلفا.

الأول: انتقال اللغة من السلف إلى الخلف

إن اللغة الحيّة تنتقل من السلف إلى الخلف على فترات عديدة تتخلّلها تغيرات وانحرافات دائمات. وذلك لأن الأجيال الجديدة حين اكتسابها للغتها القومية تتعرض لاحتمالات سوء الفهم وتغيير القواعد والقوانين والعدول عنها. "فالألسنة البشرية لا تتوقف عن التغير إلاّ إذا انقطعت عن الاستعمال فعدّت ألسنة ميتة تدرس كحقائق تاريخية "أثرية"، شأن عديد اللغات التي نعرفها اليوم بالدراسة المختصة لا بالممارسة".[٨] فمفردات اللغة تستقبل دلالات جديدة من جيل آخر، لأنها خلقت ليتداولها الناس وليتبادلوا بها أفكارهم في حياتهم. وليس شأن الألفاظ في اللغة شأن الوثائق التاريخية، تخزن في المتاحف، حتى تبقى على حالها كما هي، جيلا بعد جيل. والتبادل لأفكار الناس إنما يتمّ عن طريق الأذهان والنفوس، التي تتباين بين كل فرد من أفراد المجتمع الواحد أو المنطقة الواحدة. وتتشكّل وتتكيف الدلالة تبعا لها.[٩] فالانتقال من فترة إلى أخرى يتعيّن أحد العوامل المهمة التي تدعو إلى التغير الدلالي، بل من العلماء بزعامة هرزوج (Herzog) من يرجع إلى هذا العامل وحده جميع التغيرات الدلالية.[١٠] ويعمل عناصر متنوّعة في استتمام عملية التغير من خلال نقل اللغة من السلف إلى الخلف. من أهمها كثرة الاستخدام والخطأ سوء الفهم.

أ. كثرة الاستخدام

إن معنى المفردات اللغوية يميل إلى الحالات التي يكثر فيها استخدامها وتوظيفها. وكلّما ازداد استعمالها زاد تعرُّض معناها للتغيّر والانحراف عمّا كان عليه في الأصل، لأن الذهن في كل مرّة يُدرِك ما لم يدركه في المرّة السابقة من توظيف الكلمة الواحدة. ومع تطاول الزمن يكثر استخدام الكلمة في الدلالة الجديدة وينتشر ذلك بين المتكلمين، حتى يسرع إلى أذهانهم المعنى الجديد إثر سماعهم للكلمة. فيحدث ههنا ما يسمّى بالتأقلم، فيتعوّد الناس مع الدلالة الجديدة ويألفونها. وبعد ذلك "من الممكن أن تغني

---

[٨] عبد السلام مسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية ـ ص ٣٩

[٩] زينة قرفة، التطور الدلالي لألفاظ أركان الإسلام في القرآن الكريم . ص ٣٨

[١٠] على عبد الواحد الوافي، علم اللغة ـ ص ٣٢٣

المفردات إلى اللحظة التي يظل المعنيان القديم والحديث مستعملين فيها جنبا إلى جنب"،[١١] ومن الممكن أيضا بعد فترة من الزمن أن تغلب الدلالة الجديدة على القديمة بسبب كثرة التوظيف.

فالاستعمال اللغوي يجعل العام خاصا والخاص عاما، كما يحيل المجاز إلى الحقيقة مع تطاول العصور والدهور. أما كثرة استخدام العام في بعض ما يدلّ عليه تزيل مع تقادم العهد عموم معناه وتقصُرُه على الدلالة على البعض الخاص. ومن أمثلتها ما يسمّى بالألفاظ الإسلامية كالصلاة والحج والمؤمن وغيرها. وقد تخصّصت دلالة هذه الألفاظ بعدما كانت عامّة، بحيث لا يُذكِّرُ سماعُها إلا معناها الجديد. وعلى العكس من ذلك، يمكن أن تدعو كثرة استعمال اللفظ الخاص في معنى عام بالتوسع والتجوز إلى إزالة الخاصية من مدلوله المعجمي واكتساب معنى عام جديد مع مرور الأجيال المتعاقبة. وأمثلة ذلك في اللغة العربية كثيرة، منها الوِرد والقافلة والنُّجعة. فالوِرد في الأصل إتيان الماء، ثم صار إتيان كل شيء وردا، لكثرة استخدامه في هذا المعنى العام.[١٢] وأصل القافلة الرفقة الراجعة من السفر، ثم اتسعت دلالتها حتى استعملت في جماعة المسافرين ذاهبة كانت أو راجعة.[١٣] وأصل النُّجعة طلب الغيث ثم كثر استعماله في معنى عام، فصار كلّ طلب انتجاعا.[١٤]

ومن الناحية الأخرى، يؤدّي استعمال الكلمة في المعنى المجازي وانتشارها فيه إلى أن يستحيل المعنى المجازي إلى المعنى الحقيقي. وفي بعض الأحيان، ربّما يفرط الناس في توظيف الكلمة في الحالات المجازية ويسبّب ذلك إلى انقراض المعنى الحقيقي وحلول المعنى المجازي محلّه. ويمكن أيضا أن يُستعمل المعنيان الحقيقي والمجازي جنبا إلى جنب. "وهذا يجعل الأمر صعبا جدا في أن يجزم هل المعنى مجازيٌّ حديث العهد باستخدامه أو انه مجازي ألف الناس به بكثرة الدوران، أم أنه معنى صار إلى الحقيقة واندثر مجازيته".[١٥] ومن أمثلة هذا النوع في العربية كلمات الوغى والمجد والغفر. وقد انتقل معنى الوغى من اختلاط الأصوات

---

[١١] ماريو باي، أسس علم اللغة، تعريب أحمد مختار عمر. ص ١٥٧

[١٢] جمهرة اللغة، ج ٣ ص ١٢٥٦

[١٣] أدب الكاتب، ص٢٤

[١٤] السيوطي، المزهر . ص ٣٣٣/١

[15] Aitchison, J. (2004), p. 127

في الحرب إلى نفس الحرب.[١٦] وارتحل معنى الغفر من الستر إلى الصفح عن الذنوب.[١٧] والمجد هو الامتلاء بالكرم انتقالا من المعنى الأصلي له من امتلاء بطن الدابة من العلف،[١٨] وأصبح اليوم هذا المعنى الحقيقي له مهجورا.

ومن المفيد في هذا الصدد التنبيهُ إلى ثلاثة أنواع من المجاز التي بيّنها بعض من اللغويين، وهي المجاز الحي، والمجاز الميت، والمجاز النائم. فالمجاز الحي (living) الذي يظلّ في عتبة الوعي، ويقدح الإعجاب في قلوب السامع، ويرجع إليه في الغالب لأغراض بلاغية، بينما المجاز الميّت (dead)[١٩] لم يعد يعامل معه كالمجاز لفقده المجازية واكتسابه الحقيقية بفضل كثرة التوظيف والاستعمال. فالثالث المجاز النائم (sleeping) فمكانته الوسط بين المذكورين، حيث فُقد استعمالُه بعضا من الغرابة والدهشة في أذهان السامعين، ولكنه لم يصل إلى مرتبة الحقيقة اللغوية.[٢٠] ومن هؤلاء الثلاثة ما يعنى مباشرا بدراسته في علم الدلالة هو المجاز الميت، لأنه قد تعرّض للتغير الدلالي، ونُقل من معنى إلى معنى آخر، مع ضمّ معناه الجديد في المعاجم اللغوية.

ب. الخطأ وسوء الفهم

ونلاحظ سوء الفهم عنصرا آخر من عناصر العامل الأول للتغير الدلالي من انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، لأن سوء الفهم هو الذي يؤدي إلى تغير المدلولات في كثير من الأحيان، حين تناقل اللغة عبر الأجيال. ولا يستطيع لجيل أن يفهم كل المعاني كما فهمه الجيل قبله على نحو مماثل، والسلف أيضا في دائرته، ربما لا يدركون جميع المدلولات الجديدة، بفضل التطور الحثيث في العالم والتغير الدائم في المجتمعات الإنسانية على مرّ العصور. فسوء الفهم يسهم مساهمة وافرة في التغير الدلالي في اللغة العربية، وقد يفهم الفرد المعنى غير المعنى الأصلي، مرتبطا ذلك بسياق الكلام والبيئة، ثمّ يستعمله في كلامه وكتاباته

---

[١٦] على عبد الواحد الوافي، علم اللغة . ص٣٢١

[١٧] عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن . ص ٥٤

[١٨] السيوطي، المزهر . ص ٣٣٥/١

[١٩] وقد سمّاها إبراهيم أنيس بالمجاز المنسيّ، ينظر: في اللهجات العربية . ص١٦٧

[٢٠] أحمد مختار عمر، علم الدلالة . ص٢٤١-٢٤٢

كما فهمه من التجربة. والى هذه الفكرة تشير جين آيتشسن "إن اللغة تتطور عن طريق إساءة الاستخدام بشكل مناسب".[٢١]

ويلعب الأطفال دورا كبيرا في إساءة الفهم وإساءة الاستخدام، حينما يكتسبون الكلمات من لغة أمهم، لأنه "من المعروف أن الأطفال الصغار يميلون إلى تعميم مدلولات الكلمات الأولى التي يتعلمونها، ويستخدمونها في مجال أوسع من المجالات التي يستخدمها فيها البالغون"[٢٢] لأن الطفل يخطئ في فهم جميع الملامح الدلالية للكلمة ويكتفي ببعض منها. وأمثلة ذلك كثير جدا، وتختلف عند كل طفل. ولكن لا يتفق هذه العملية مع مسألة البحث ههنا إلا إذا انتشر الدلالة التي ابتكرها الطفل بين المتكلمين البالغين وأصبحت أحد دلالات "الرسمية" لتلك الكلمة. ومن أمثلتها في اللغة الفرنسية ما يحكي ستيفن أولمان عن أنطوان ميبه، من دلالة كلمة 'saoul' على "السكران"، بعدما كانت تدل في الأصل على "الممتلئ"، ويقول بأنه قد ثبتت هذه الدلالة للكلمة في اللغة عن طريق استخدام الأطفال لها، الذين لا يربطون بتلك الكلمة إلا الدلالة الثانية الجديدة.[٢٣]

ومما يترتب عن سوء الفهم التصحيف، وهو التبادل بين الحروف المتشابهة في الشكل كالجيم والحاء والخاء، أو الشين والسين، أو الباء والتاء والثاء، أو غير ذلك. وهذا أكثر ما يحدث في القراءة، لأن القارئ ربّما يظن الدال مثلا ذالا بمشابهة شكلهما في الكتابة، فيقرأ الكلمة كما يظهر له متبادلا فيها بين مثل هذه الحروف المتشابهة. ثمّ بعد شيوع هذا التصحيف يظلّ الكلمتان الأصلية والمصحّفة تدلّان على معنى واحد، فيتولّد منه حدوث اللفظ المترادف للدلالة الواحدة. "فمن أمثلة ما ورد بمعنى واحد وسببه التصحيف، قولهم رجل صُلب وصَلت،[٢٤] والدبر والدير، والكرت والكرب، ورغات ورغاب، والجلجلة والحلحلة، وجاض وحاص،[٢٥] والنافجة والنافحة".[٢٦]

---

(21) Aitchison, J. (2004), p. 125

(٢٢) أحمد مختار عمر، علم الدلالة. ص ١٣٢

(23) Ullmann, S. (1957), p. 188

(٢٤) رجل صَلت، وأصلتي، ومنصلت: صُلب، ماض في الحوائج، خفيف اللباس: ينظر لسان العرب. ص ٥٤/٢

(٢٥) جاض عن الشيء يجيض جياضا وجيضانا، مثل حاص يحيص، إذا مال عنه: ينظر جمهرة اللغة. ص ١٠٤٢/٢

(٢٦) جرجي زيدان، العربية كائن حي. ص ٣٣

الثاني: العوامل الاجتماعية

تتناول العوامل الاجتماعية كل ما هو مقوّم للحياة الاجتماعية، يتمثّل في حضارات الأمم وثقافاتها وعاداتها وعقائدها وأديانها واتجاهاتها الفكرية وسياستها وبيئتها الجغرافية إلى غير ذلك، ممّا له أثر في تحديد نمط حياة المجتمع وتعيين سلوكه. فكل من هذه المكوّنات للحياة الاجتماعية يعمل في تغيير المفردات من دلالة إلى أخرى بحسب المقام والمناسبات المختلفة، لأن اللغة إنما تشكّلها طبيعة المجتمع وإنما تنبعث عن الحياة الجمعية، وهي شديدة التأثر بالتطورات الاجتماعية الواسعة النطاق. والكلمات قد تكتسب معاني جديدة من عادة أو عقيدة أو ديانة أو غيرها من مكوّنات حياتهم الاجتماعية.[٢٧] مثل قولهم "بنى على أهله أو بأهله" بمعنى تزوّج. وليس في أصل "البناء" شيء من هذه الدلالة، وإنما تسرّبت إليه من عادة كانت عليه العرب من أن يُضرب على الزوجة قبةٌ ليلة الزفاف.[٢٨]

إننا نجد من بين العلماء في العصر الحديث مثل دي سوسور (De Saussure) من يقرّر أن جميع المؤثرات في ظواهر اللغة يرجع إلى مؤثرات اجتماعية.[٢٩] فاللغة مرآة ينعكس فيها ما يسير عليه المتكلمون بها في حياتهم الجمعية. وهي ظاهرة اجتماعية، وهي بوصفها هذا مجال دراسة علم اللسانيات الاجتماعية (Sociolinguistics). وفيها كثير من المسائل اللغوية التي تتعلق بالمجتمع. ومن عناصر هذا العامل ما يأتي:

أ. تغير طبيعة المدلول

وقد يكون السبب لتغير دلالة الكلمات أن نفس الشيء المدلول عليه بالكلمة قد تعرض للتغيرات المتنوعة بفضل التطور الاجتماعي أو التكنولوجي وما إلى ذلك مما يقوّم به حياة المجتمع، ملبّيًا نداء الحاجة في العصور المتتابعة.[٣٠] فتكون الكلمة باقية على حالها عبر التاريخ ولكن الشيء الذي تدلّ عليه يتغير

---

[٢٧] وللمزيد عن العوامل الغير اللغوية ينظر مقالة Cymbalista, P., &Kleparski, G. A. (2007). Towards a cognitive approach to extralinguistic motivation of diachronic semantic change

[٢٨] جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي . ص ٣٤

[٢٩] عبد الواحد الوافي، اللغة والمجتمع . ص ٨

[٣٠] قد عدّ بعض من العلماء كستيفن أولمان هذا تحت عنوان العوامل التاريخية، ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة . ص ١٥٥

ويختلف باختلاف الأزمنة. "فانتقال الألفاظ من عصر إلى آخر يصاحبه تغير في مدلولاتها، نظرا لما يحدث من تغير وتطور في حياة الناس وعاداتهم وتقاليدهم، ومخترعاتهم وما جد عليهم من صناعات جديدة وعلوم وفنون حديثة، ممّا يمس حياة الإنسان من قريب أو بعيد".[٣١] هذا ما يشير إليه بلوم فيلد (Bloomfield) "بأن التحول إلى معنى جديد في الصيغة، لا يظهر إلا حين يستتبع تحولا في العالم العملي، كتحول معنى قبّعة، وسفينة، وجوارب بتغير صور هذه الموضوعات من عصر إلى عصر".[٣٢]

ومثال ذلك، كما أورد ستيفن أولمان، كلمة "سفينة"، لأن "السفن الحالية تختلف عن السفينة التي كان يبحر عليها قراصنة الشمال من عدة وجوه، أي من حيث الحجم والتركيب والشكل والخواص الفنية الخ".[٣٣] وكذلك كلمة "الورق" قد تعرضت للتغيرات العديدة عبر سيرها مع الأيام، منذ أن كانت تدل على الورق المتّخذ من البرديّ (papyrus) في الآماد المبكرة، إلى أن تدلّ في الحال على الورق المتّخذ من لبّ الخشب. وإنما التقدم الفني في اتخاذ "الورق" هو الذي انعكس في اختلاف معانيها القديم والحديث.[٣٤]

ومن أمثلة هذا النوع كلمات القطار والبريد والريشة والسيارة والكتاب والهاتف والدبّابة والخاتم وغيرها. فكلمة "القطار" في الأصل كانت تطلق على عدد من الإبل بعضه خلف بعض على نسق واحد.[٣٥] ثم استعملت لكل سرب من الكائنات الحية يسير الواحد منها وراء الآخر، حتى قيل قطار النمل.[٣٦] وفي العصر الحديث تغير مدلولها الأصلي وفقا للتطور في وسائل المواصلات. حتى أصبحت تدلّ على مجموعة من مركبات السكة الحديدية تجرها قاطرة.[٣٧] وكل من المدلولات القديمة والحديثة يشترك في أصل المعنى من الجري على نسق واحد، لأن كلاّ منها يستخدم في السفر ويجري على نسق واحد كخط طويل. أما كلمة "البريد" فأصل معناها في اللغة العربية الدابة التي تُرتّبُ على مسافات معيّنة لنقل الرسائل

---

(٣١) حاتم صالح الضامن، علم اللغة . ص ٩٣

(٣٢) تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة . ص ٢٥١

(٣٣) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة . ص ١٥٥

(34) Ullmann, S. (1957), p. 183

(٣٥) المعجم الوسيط ـ ص ٧٤٤/٢، وينظر أيضا زين الدين الرازي، مختار الصحاح . ص ٢٥٦

(٣٦) زينة قرفة، التطور الدلالي لألفاظ أركان الإسلام في القرآن الكريم . ص ٤٩

(٣٧) المعجم الوسيط ـ ص ٧٤٤/٢، وينظر أيضا علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة . ص ٣٢٤

وتحمل عليها وكذلك كانت تطلق على الرسول الذي يركبها، والمسافة بين كل منزلين أو السكتين من منازل الطريق.[٣٨] وهي كلمة فارسية أصلها "بريده دم" أي محذوف الذّنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها.[٣٩] ولكن الكلمة قد تغيرت دلالتها في العصر الحديث تبعا للتطور في وسائل المراسلات، وأصبحت تدل على النظام يختصّ بنقل الرسائل والطرود وتوزيعها.[٤٠] كذلك كلمة "الريشة" التي كانت تطلق على آلة الكتابة المتخذة من ريش الطيور، ثمّ انتقل من دلالتها الأصلي حسبما تطور التكنولوجي واتخذ الإنسان آلة جديدة للكتابة من قطعة من مَعدِن مُشكَّلةٍ في صورة خاصة،[٤١] فأصبحت اليوم تدلّ عليه.

ب. الحاجة

إن الرأي الذي ذهب إليه كثير من العلماء هو أن الحاجة هو العنصر الأساسي من العوامل الاجتماعية للتغير الدلالي. ويقولون بأن اللغة تتغير بحسب تغير حاجات الناس ورغباتهم. وقد قدّم مايكل هاليداي (M.A.K Halliday)[٤٢] بهذا الصدد نظرية مشهورة. والذي يعرف بـ "النظرية الوظيفية" (Functional Theory) للتغير اللغوي، يدّعي فيه بأن التغير اللغوي يحدث طبقا لحاجات الناطقين بها.[٤٣] وذلك باستجابة الأمم لمظاهر حياة المجتمع، فتُغيّر دلالة بعض ألفاظها، حتى يمكن لها أن تساير ركب الزمن. وهذه الاستجابة ربما تكون عن طريق إحياء الألفاظ القديمة بخلع المعاني الجديدة عليها، أو بتوليد ألفاظ مستحدثة إما بالنحت أو بالاقتراض من لغات أخرى تتصل بها، أو بخلق ألفاظ جديدة من

---

(٣٨) محمود بن عمرو الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر. ص ٩٢/١، وينظر أيضا المعجم الوسيط. ص ٤٨/١، ومحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم. ص ٨٩، والأزهري، تهذيب اللغة. ص ٧٦/١٤، وآن دوزي، تكملة المعاجم العربية. ص ٢٧٩/١

(٣٩) المبارك بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر. ص ١/ ١١٥، ينظر أيضا الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر. ص ٦٢/١

(٤٠) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة. ص ١/ ١٨٥

(٤١) علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة. ص ٣٢٤

(٤٢) لغوي أسترالي ولد في بريطانيا سنة ١٩٢٥م.

(43) Aitchison, J. (2004), p. 145

الأصول القديمة مثل كلمة "المِدخنة" وكلمة "الدرّاجة".[٤٤] والتغير الدلالي بسبب الحاجة إنما يتمّ في معظم الأحيان، عن قصد وعمد في ألفاظ اللغة. ويقوم به المهرة في اللغة من الشعراء والأدباء، كما قد ينجزها المجامع اللغوية والهيئات العلمية حين تعوز الحاجة إليه،[٤٥] للتعبير عن معان لا يجدون في المفردات المستعلمة ما يعبّر عنها تعبيرا دقيقا.[٤٦]

واستجابة اللغة لضرورة متكلميها إنما يظهر، قال إبراهيم أنيس، في اللجوء إلى وسيلتين؛ إحداهما أن يعمد إلى الكلمات المأثورة التي اندثرت دلالاتها، ويخلع عليها معاني جديدة لم يكن لها أي وجود فيما مضى، لأدنى مناسبة بين دلالاتها القديمة والحديثة. وأخراهما أن يلتجأ إلى ألفاظ اللغات الأجنبية، فيقترض منها ألفاظا حتى يدرجها في مفردات اللغة المقترِضة بعد صبغها صبغة تناسب طبيعتها. وتطبيق الوسيلة الأولى يكثر في أسماء المخترعات، عندما يعوز الناس إلى تسميتها. "فأكثر أصحاب اللغات يطلقون على الآلة المخترعة في حالات كثيرة، اسما من كلامهم المألوف الذي كان مستعملا قبل ظهور هذا الاختراع، وهذا الاسم يكتسب بهذا معنى جديدا لم يكن له".[٤٧] ولدينا في اللغة العربية كثير من أمثلتها ككلمات القنبلة، والمِدفع، واللُّغم، والتسجيل، والجرائد، والصحيفة، والمجلة، والمحافظة، والقسم، والمرور وغيرها آلاف من الألفاظ التي أحياها الناس حياة جديدة وألبسوها معاني حديثة.

فكلمة "القُنبلة" معناها الأصلي كما يروي ثعلب عن ابن الأعرابي: القنبلة: مصيدة يصاد بها النُّهَس (وهو طائر).[٤٨] وتغيرت دلالتها في العصر الحديث بعد أن اخترع الناس آلة جديدة، واحتاجوا إلى تسميتها من جديد. فأحيوا هذه الكلمة المنثورة في معنى جديد، وهو "جسم معدني محشو بالمواد المتفجرة يقذف به باليد أو من المدفع أو من الطائرة أو من الباخرة".[٤٩] أما كلمة "المِدفع" كانت تدلّ في

---

(٤٤) والمدخنة اسم مبتدع يطلق على ما يخرج منه الدخان من أنبوب أو كوة، ولم يوجد هذه الكلمة في كلام العرب. وانما يوجد فيه هي كلمة " الداخنة". فهذه كلمة اشتقت من أصل قديم هو "الدخان"، والدراجة معروفة: ينظر اللسان والانسان مدخل الى معرفة اللغة، حسن ظاظا ص ٩٨.٩٩

(٤٥) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ. ص ١٤٥

(٤٦) علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة. ص ٢٨١

(٤٧) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص ٢٣٤

(٤٨) محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة. ص ٣١١/٩

(٤٩) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة. ص ١٨٦١/٣

الأصل على القوة والشدة، كما في لسان العرب: رجل دِفاع ومِدفع: شديد الدفع. وركن مِدفع: قوي.[٥٠] ولكنها في العصر الراهن آلة حربية في صورة أنبوب صغير من الحديد ينتهي إليه سهم القذافة.[٥١] وإنما يقوم مجامع اللغة العربية والهيئات العلمية بهذه العملية من خلع المعاني الجديدة للألفاظ القديمة لتسدّ حاجة المجتمع في النواحي المختلفة من حياتهم. فهناك كثير من الألفاظ قد تولّدت بسبب الحاجات الحضارية أو السياسية والاقتصادية. فليس كل ذلك إلا وليد الحاجة والضرورة الملحة.

وكثيرا ما تُكلّف الحاجة إلى الاقتراض من اللغات الأجنبية، وأكثر مجالات اللغة اقتراضا هو المفردات اللغوية. والأساليب والقوانين أيضا تستعار من اللغات الأخرى، بالرغم من أن قسطها قليل جدا بالنسبة إلى المفردات. وليس سبب الاقتراض منحصرا على الحاجة، بل منها ما يُقترض إعجابا بالكلمة الأجنبية. وهذا كما استعارت العرب كلمات "السندس" و"الاستبرق" و"الديباج" من الفارسية مع وجود كلمة عربية بتلك الدلالة من غابر العصور، وهي "الحرير".[٥٢] فالحرير لفظ أصيل والباقي دخيل في العربية، يشترك كل منها دلالة واحدة.

والاقتراض الذي تمسّ إليه الحاجة يحدث بسبب الاتصال اللغوي بعضها ببعض، كما اقترضت العرب أسماء أشياء لا توجد في بلادهم حينما يصادفونها من أصحاب اللغات الأخرى. فهم قد اقترضوا ألفاظا كثيرة من الفرس واليونان حينما كانوا في تواصل مستمرّ. والبعض من الألفاظ المقترضة لم يبق على حاله بعد نقله إلى العربية بل استحالوا شكله إلى شكل الألفاظ العربية وصبغوه بصبغة العربية، فخضع للقوانين الصوتية العربية، وتلك الألفاظ المقترضة تعرف في العربية بـ "المعرّبة". والبعض القليل الآخر أبقوه على شكله، مستعملا بلفظه الأجنبي دون خضوع للقوانين الصوتية العربية وهو المسمّى بـ "الدخيل". وأمثلة الاقتراض في اللغة العربية كثيرة، ومنها كلمة "الصراط" أصله الكلمة اللاتينية "strata"، وهو الطريق الواسع المستقيم المعبّد. وكذلك كلمة "الخندق"، وهذه لفظة فارسية معرّبة، أصلها فيها "كَنْدَه" أو "قنده"

---

(٥٠) ابن منظور. ص ٨٧/٨

(٥١) آن دوزي، تكملة المعاجم العربية. ص ٣٧٤/٤

(٥٢) زينة قرفة، التطور الدلالي لألفاظ أركان الإسلام في القرآن الكريم. ص ٤٥

أي: المحفور.[٥٣] وكلمة "الجَوْرب" التي تعني لِفَافَة الرِّجل، مأخوذة من "كَوْربا" السريانية، ومعنى "كَورَبا": قبْر الرِجْل، أو قبر القَدَم؛ لأنّ "كَوْر" معناها: قَبْر، و "با" معناها: قَدَم.[٥٤]

فاقتراض الألفاظ إلى أي لغة ـ لا فرق فيها بين كونها بالحاجة أو الإعجاب ـ إنما هو من لغات لها علاقة واتصال بها، والناطقون بهما في تواصل متبادل. فنجد في كل لغة ألفاظ تسرّبت إليها من اللغات التي اتصلت بها في مختلف العصور. فكلما اشتدّ الاتصال بلغة كثر الاقتراض منها، فنجد في العربية كثيرا من الألفاظ المقترضة الفارسية بشدّة تواصلها معها. "فنرى أن استعارة الألفاظ أو اقتراضها ذات أثر في تطور الدلالات، لأننا لا نكاد نظفر بتلك اللغة التي تعد خاليا من أي عنصر أجنبي، اللهمّ إلاّ بين عدد قليل من لغات القبائل البدائية في العالم".[٥٥] وذلك لعدم اتصال أصحابها بالعالم وراء حدود منطقتهم وسكناهم.

وفي هذا المقام أجد الإشارة إلى مفهوم "موت الألفاظ" أو انقراضها مناسبا لسياق الكلام. فالألفاظ كما يُقترض بعضها من اللغات الأخرى لتسعف حاجات المتكلمين بها نرى بعضا آخر منها يموت ويهجر من مفردات اللغة، وهي الألفاظ التي لم تعد تعوز الحاجة إليها حتى انقرضت من الاستعمال، بفضل التطور في العالم الخارجي. "وفي العربية الفصحى ألفاظ هجرت في الاستعمال لأسباب عديدة فماتت، كالمِرْباع، والنَّشيطة، والفُضُول، والحُلْوَان، والصَّرورة من الأسماء، وجَعْتَبَ، وحَنْجَدَ، وخَنَدَ، وكَهَف، وعَذَطَ، من الأفعال".[٥٦] ومن هذا النوع أسماء البنود المختلفة من الملابس والأسلحة، والمعدات، والعملات، والقوانين، والأحداث الاجتماعية، التي سادت في عصر ثم زالت لزوال تلك المدلولات.[٥٧]

---

[٥٣] يحي بن أحمد عريشي، أثر التوجيه الشرعي في الدلالة اللغوية لبعض المناهي اللفظية. ص ٤٦٣

[٥٤] المرجع السابق. ص ٤٦٠-٤٦١

[٥٥] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ. ص ١٥١

[٥٦] عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، موت الألفاظ في العربية. ص ٣٥٠

[٥٧] المرجع السابق. ص ٣٥٩

ج. تأثير الإسلام

إن الدين والعقيدة والحضارة من مكونات الحياة الاجتماعية، لها تأثير في تغيير دلالات الألفاظ. فالإسلام قد ترك بصماته الواضحة الجلية في اللغة العربية، وأثر فيها تأثيرا بالغا حتى أدّى إلى تغيير دلالات كثير من الألفاظ، وذلك لأن اللغة العربية مرتبطة بدين الإسلام ربطا وثيقا، لا يكاد يوجد في غيرها من الأديان. وتأثير الإسلام فرع عن سبب عام، تحسن تسميته بالتأثير الحضاري، لأن الإسلام واحد من الأديان التي تمثّل الحضارة. ولكنّني وحّدت لها عنوانا على حدة، لأن هذا البحث يدور حول التغير الدلالي في الكلمات العربية، وللإسلام فيه أثر جليّ لا يوجد مثله في غيره من الأديان، فامتازت حضارة الإسلام في خصوص البحث عن الألفاظ العربية. ففي اللغة العربية كثير من الألفاظ تعرّضت دلالاتها للتغير والتطور بقدوم الإسلام كالألفاظ الإسلامية التي تركت معانيها القديمة مثل: الصلاة، والزكاة، والصّوم، والكفر، وما أشبهها.

وقد أطال الدكتور هادي نهر الكلامَ بهذا الخصوص، حيث يقول: "التطور الذي أصاب مجتمع ما قبل الإسلام بعد أن بعث الله في الناس رسولا مبشّرا ونذيرا، قد بانت نتائجه . فيما بانت . على اللغة، وفقد دفعت العقيدة الجديدة المجتمع العربي إلى إبداع لغوي صحب هذه الثورة الدينية، والفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية التي جاء بها الإسلام، فاستجدت كلمٌ، وأميتت كلمات، وتغيرت دلالات كثير من الألفاظ انحسارا أو اتساعا، أو استجدت لها دلالات لم تكن لها من قبل".[٥٨]

ولابن فارس كلام طويل بهذا الصدد، تحت عنوان "باب الأسباب الإسلامية"، في كتابه المعروف " الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها" يقول: كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم. فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت".[٥٩]

---

[٥٨] علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي . ص ٦١٦

[٥٩] ابن فارس، الصاحبي . ص ٤٤

وقد أتى فيه ابن فارس بكثير من الأمثلة لهذا النوع، التي لعب الإسلام دورا في تغيير دلالاتها لأسباب عديدة، ويقول فيه: " فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا. وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر. فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع (النافقاء: إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها). ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: "فسقت الرطبة" إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الإفراط في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه".[٦٠]

د. تأثير اللغات الأخرى

إن اللغة دائمة الاتصال والتأثر بأخواتها من اللغات الأخرى، بسبب انتشار متكلّميها في مختلف أنحاء المعمورة لأسباب متنوعة، من التجارة والزيارة والغزوة وطلب العلوم والمستوطنات الجديدة. وإذا راقبنا لغات الناس بمحاذات حدود المناطق اللغوية، وجدنا تأثير اللغات المجاورة ظاهرا جليا فيها. وهذا أكبر دليل على أن اللغات يتسرّب بعضها إلى بعض بقدر الاتصال والاحتكاك فيما بينها. وكثير من هذه الكلمات قد تجد طريقها إلى اللغة المشتركة وتدخل إليها حتى تصبح متداولة بين جميع متكلّمي اللغة. فاللغات الأجنبية لها أيضا أثر في التغيرات اللغوية بكل ما هو صوتية وصرفية ودلالية، وكلّما طال الاتصال كثر التأثير بها. وبخصوص هذا تتعلّق "نظرية اللغة الغالب" (substratum theory) للتغير اللغوي، حيث يزعم مؤيّدوها بأن أغلب التغيرات في اللغة إنما ينجم عن تسرّب العناصر اللغوية من الألسنة الأجنبية، ويقولون بأن هذا الاحتكاك اللغوي كان عن طريق التجارة والغارات في الأيام الماضية، بينما هو عن طريق التواصل الاجتماعي والنزوح في العصر الحديث.[٦١]

---

[٦٠] ابن فارس، الصاحبي. ص ٤٥

[٦١] ولمزيد المعلومات ينظر: Aitchison, J. (2004), p. 137-141

ومن أمثلة هذا النوع في اللغة العربية كلمة "القماش"، نجد في لسان العرب معناها الأصلي هو "ما على وجه الأرض من فُتات الأشياء، حتى يقال لرذالة الناس: قُماش. والقَمش: الرديء من كل شيء، والجمع قُماش".[٦٢] ولكن دلالتها المعروفة اليوم تحل محل الاحترام والاهتمام لأنها تدلّ على كلّ ما ينسج من الحرير والقطن ونحوهما.[٦٣] وهذا التغير، كما يحكيه إبراهيم أنيس عن بعض الدارسين للألفاظ الدخيلة في العربية، إنما حدث بسبب الاتصال باللغة الفارسية، حيث إن فيها كلمة تتقارب للكلمة العربية في الصوت والشكل. وهي "كماش" التي تدل على نسيج من قطن خشن. ثمّ بعد طول الاتصال انصرفت دلالتها إلى الدلالة الفارسية.[٦٤] وكذلك نجد تأثير اللغة اليونانية في خلع معنى الحصن لكلمة "البُرج"، لأن بلاد العرب لم يكن بيئةً للحصون والأبراج، مع أن اللغة العربية يشتمل على مادة "برج" في خزانة مفرداته. وهي مادة عربية أصيلة ولكن ليس لها أية علاقة بالحصون.[٦٥] فيستنتج من ذلك بأن تأثير اللغة اليونانية أدّى إلى خلع دلالة جديدة لكلمة "البرج" العربية.

ومنها قول العرب "تباشير" للدلالة على أوائل كل شيء، وقد تغيّرت دلالة الكلمة بعد انتقالها من الفارسية، وهي فيها مركّبة من "تبا" يعني "مثل" و"شير" يعنى "لبن"، فالدلالة الأصلية للكلمة هي "أبيض كاللبن". وكان الفرس يدلّون بها على بياض الصبح عند أول شروق الشمس.[٦٦] ولكن العرب وسّعوا مجالها، واستعملوها في أوائل كل شيء، كما يقال تباشير الصباح لمقدّمات ضيائه ويقال أيضا: حفر بئرا فرأى تباشير ماء كثير.

وعملية الاقتراض اللغوي، الذي مرّ ذكرها آنفا، تناسب إيرادها في هذا المقام أيضا حيث إن السبيل إليه إنّما يُذلّل بسبب الاتصال باللغات الأجنبية وتأثيرها. فالاقتراض اللغوي وليد الحاجة كما هو أيضا ينجم عن تأثير اللغات الأجنبية. والى هذا الاقتراض اللغوي في العربية يشير الجاحظ: " ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون البطيخ

---

(٦٢) لسان العرب. ص ٣٣٨/٦

(٦٣) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة. ص ١٨٥٨/٣

(٦٤) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ. ص ١٣٩

(٦٥) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية. ص ١٦٩

(٦٦) جرجي زيدان، العربية كائن حي. ص ٤٢

الخربز، ويسمون السميط الرزدق، ويسمون المصوص المزور، ويسمون الشطرنج الاشترنج، في غير ذلك من الأسماء وكذلك أهل الكوفة، فإنهم يسمون المسحاة بال، وبال بالفارسية".[٦٧]

الثالث: العوامل اللغوية

إن اللغة نفسها قد تشتمل على بعض العناصر تؤثر في تغيرها وتطورها. فالعوامل اللغوية للتغير الدلالي، يراد بها ما يرجع إلى طبيعة اللغة وكلماتها وطبيعة أصواتها وقواعدها وأساليبها. ويشتمل هذا العامل اللغوي على عنصرين: الأول دور الصوت اللغوي والثاني دور القواعد اللغوية. كلّ منهما يجلب التغيرات في دلالة الكلمات.

فالعنصر الأول من العوامل اللغوية نراها حينما يكون صوت بعض الكلمات أو شكلها مماثلة للبعض الآخر، فينجم عنها تغير في دلالة بعض الكلمات منها. ولا ضرورة أن تكون هذه الكلمات كلها من لغة واحدة، لأن بعض الكلمات الأجنبية أيضا لها أثر في هذا التغيير بسبب المشابهة والمماثلة في شكلها وصوتها. وهذا كما تغيّرت كلمة "القماش" من الدلالة على معنى رذيل إلى معنى كريم، وقد مرّ الذكر عنها بالتفصيل آنفا. ففي هذا المثال قد أدّى تقارب صوتين لكلمتين مختلفتين من اللغتين إلى تغير دلالة واحد منها، حتى أصبحت كلتا الكلمتين تدلّ على معنى واحد.

وفي بعض الأحيان ربّما يترتب عن التغير الصوتي تغير في الدلالة أيضا، لأن الثبات في أصوات الكلمة قد يساعد على ثبات معناها، والتغير فيها يسهّل السبيل أحيانا إلى تغيره. ومن أمثلتها دلالة كلمة "التَّغَب" على الجوع، بعد ما كانت تدلّ بالأصالة على الوسخ والدرن.[٦٨] والذي مهّد السبيل إلى هذه الطفرة الدلالية إنما هو التطور الصوتي في كلمة أخرى، وهي "السّغَب" بمعنى الجوع مع التعب.[٦٩] تطورت "السين" فيها إلى "التاء" الذي هو حرف مناظر له في المخرج والهمس، فطرأت عليه بالصُّدفة تمام المماثلة

---

[٦٧] البيان والتبيين. ص ٤٠/١

[٦٨] القاموس المحيط. ٦٢/١، ينظر أيضا المحكم والمحيط الأعظم. ص ٤٧٦/٥

[٦٩] محمد علي السَّراج، اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل. ص ٢١١

لكلمة "التغب" المذكورة.[٧٠] فأصبح "الجوع" من إحدى دلالات كلمة "التغب" بسبب التطور الصوتي وقعت في كلمة "السغب".

أما العنصر الثاني من العوامل اللغوية فحينما تذلّل القواعدُ اللغويةُ نفسُها السبيلَ إلى التغير الدلالي. خذ على سبيل المثال من اللغة العربية كلمة "الولد". أصل دلالتها عموم المولود ذكرا كان أو أنثى. ومن الشواهد له قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} (سورة النساء: ١١). و"فِي أَوْلَادِكُمْ " أي الذُّكور والإناث،[٧١] إجمال فصّله الله تعالى بقوله: "للذكر مثل حظّ الأنثيين". لكن كثيرا ما تستعمل هذه الكلمة في الوقت الحاضر للدلالة على المولود الذكر دون الأنثى. فسبب هذا التخصيص في الدلالة هو تذكير الصيغة الصرفية في اللغة لكلمة "الولد" كما في المثال (ولد صغير)، وهذا قد جعل معناها يرتبط في الذهن بالمذكر، فأخذت دلالتها تدنو شيئا فشيئا من هذا النوع من المولود،[٧٢] حتى شاع استعمال الناس في الولد الذكر دون الأنثى. وكذلك الحال في كلمة "الزوج"، قد وقع فيها التغير الدلالي بمثل هذا السبب. فالقاعدة النحوية هي التي سبّبت التغير الدلالي في المثالين السابقين.

الرابع: العوامل النفسية

إن التغير الدلالي الذي يتسبّب عن العوامل النفسية التي هي واحد من العوامل غير اللغوية، يحدث في معظم الأحيان بغير قصد ولا شعور من الناطقين باللغة، الذين يُربّون ويُعلَّمون أن يتحفّظوا وئاما وألفة تامتين مع المجتمع اللغوي الذي يعيشون فيه. إن نفوس المتكلّمين وإحساسهم قد تؤثر اللغة التي يستعملونها، مذلّلا السبيل إلى التغير اللغوي لاسيما في الدلالة. ولكل مجتمع حالة نفسية خاصة به تشكّلها عوامل متنوّعة من العقيدة والديانة والثقافة والحضارة. وهذه الحالة النفسية يتردّد صداها في اللغة التي يتكلّم بها ذلك المجتمع. وكثيرا ما تنعكس هذه الحالة في الألفاظ ودلالاتها، وتدعو إلى التطور والتغير فيها. ومن الدوافع التي تعمل وراء هذا هو الحقيقة الاجتماعية التي تسمّى بـ "اللامساس".

---

[٧٠] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ. ص ١٣٨

[٧١] علي بن أحمد الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ص ٢٥٤

[٧٢] محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث. ص ٢٢٠، ينظر أيضا علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة. ص ٣٢٢

أ. اللامساس الذي يدعو إلى حسن التعبير

إن اللامساس (taboo) عنصر جذري من العوامل النفسية العاطفية تدعو إلى التغير اللغوي. وهو "مصطلح يطلق على كلّ ما هو مقدّس أو ملعون، ويحرم لمسه والاقتراب منه لأسباب خفية، سواء أكان ذلك إنسانا أم كلمة أم شيئا آخر".[٧٣] ولكن لا يدعو اللامساس إلى تغيير المعنى بشكل مباشر، بل يحظر بعض الكلمات من الاستعمال والتناول، فينجم عنها ما يسمّى بـ "حسن التعبير" أو "التلطّف" الذي هو السبب المباشر في تغير المعنى. وهذا ما أشار إليه الثعالبي في مقدّمة كتابه "الكناية والتعريض" يبيّن غرضه من تخصيص الكتاب لهذا الموضوع ويعيّن قيمته "هذا الكتاب خفيف الحجم.... في الكنايات عما يُستهجن ذكره ويُستقبح نشره أو يُستحيا من تسميته، أو يُتطيّر منه أو يُترفع أو يُتصوّن عنه، بألفاظ مقبولة تؤدّي إلى المعنى... فيحصل المراد، ويلوح النجاح، مع العدول عمّا ينبو عنه السمع، ولا يأنس به الطبع، إلى ما يقوم مقامه، وينوب منابه، من كلام تأذن له الإذن ولا يحجبه القلب... ".[٧٤]

إن أي مجتمع لا يخلو من الإمساك ببعض القيم والتحفظ على بعض الشيم. فيحرّم موضوعات معينة، ويتجنّب من بعض الكلمات، ويمنع من التعبير عن الأمور المستهجنة بعبارات مكشوفة. هكذا يُرسم قواعدُ ونواميس حتى في اللغة والتعبير. وليس للفرد إلا اتّباع ما وضعوا، ومحاكاة ما رسموا. "إذ ليس من اللّائق أن يتكلّم في أحد المجتمعات عن أفعال معروفة بالفظاظة، أو بأنّها مما يجرح الحياء".[٧٥] والذي يدفع المجتمع اليها هو الحشمة والأدب والكياسة واللياقة، والتفاؤل والتشاؤم، والخوف والفزع إلى غير ذلك ممّا يحُثّ المجتمع على حسن التعبير أو التلطف بخصوصه، طبقا لثقافته ونمط تفكيره وحسه التربوي.

وإذا حُظرتْ كلمة من الاستعمال بعامل اللامساس أبدل الناس تلك "الكلمة الحادة بكلمة أقلّ حدة وأكثر قبولا"،[٧٦] فتندثر كلمة ذات دلالة مكروهة من الاستعمال وتتحمّل كلمة أخرى تلك الدلالة، فيحدث في اللغة تغير دلالي. وهذه العملية من "استبدال الكلمات اللطيفة الخالية من أي مغزى سيء أو

---

(٧٣) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة (تعريب كمال محمد بشير) . ص ١٧٤

(٧٤) الثعالبي، الكناية والتعريض (تحقيق عائشة حسين فريد) . ص ٤

(٧٥) فندريس، اللغة . ص ٢٨٠

(٧٦) أحمد مختار عمر، علم الدلالة . ص ٢٤٠

مخيف بكلمات اللامساس (ويعرف أيضا بالكلمات المحظورة) يُعدّ ضربا من ضروب حسن التعبير".[٧٧] ويعرف حسن التعبير في الدراسات الغربية بمصطلح "Euphemism". وإضافة إلى تعبير "حسن التعبير" قد ترجم هذا المصطلح الغربية في اللغة العربية بعبارات مختلفة. وهو عند الدكتور أحمد مختار عمر "التلطّف"، وعند الدكتور محمد على الخولي "لطف التعبير"، وعند الدكتور كريم زكي "تحسين اللفظ"،[٧٨] ويعرف أيضا بـ "التسميل". وقد أشار إلى هذا اللامساس وحسن التعبير التابع له كثير من اللغويين القدماء في كتبهم تحت مباحث الكناية، واستعملوا مصطلحات عديدة لبيان هذه الظاهرة كالتعريض، والكنايات اللطيفة وتحسين اللفظ وتلطيف المعنى. ومن الأعمال المهمّة بهذا الخصوص ما قام به المبرد وابن فارس والثعالبي.[٧٩]

ويمكننا ملاحظة هذا اللامساس في طوائف معيّنة من الكلمات. كالكلمات المستقبحة التي تتصل بالقذارة والدنس، والكلمات التي يُستحيا من تسميتها كألفاظ العملية الجنسية والتبوّل والتبرّز وأعضاء التناسل، والكلمات التي تعبّر عن فكرة الموت أو الأمراض والأشباح والعالم الروحي إلى غير ذلك. والدوافع في كلها ترجع إلى الحالة النفسية التي شكلتها الحياةُ الاجتماعية، كالكياسة والحشمة والأدب، والتطير والتفاؤل، والخوف والفزع. ونجد في اللغة العربية كثيرا من أمثلة حسن التعبير الناتجة من الكياسة والتأدب خصوصا بعد مجيء الإسلام. ونجد في القرآن أسوة حسنة لذلك حيث "قد كنى عن العملية الجنسية بألفاظ كريمة، هي الستر، والحرث، والإفضاء، والمباشرة، والملامسة، والدخول، والرفث".[٨٠] فكل من هذه الألفاظ بسبب حسن التعبير اكتسبت دلالة جديدة، واستعملت، بالإضافة إلى دلالتها الأصلية، في الدلالة على العملية الجنسية. ومن أمثلة الكلمات اللامساس بسبب القذارة والنجس، كما أورد إبراهيم أنيس، كلمة "البربور" التي كانت تدلّ على المخاط حينما يسيل من الأنف في اللغة العامية، ثمّ أصبحت مبتذلة كريهة،

---

(٧٧) ا ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة (تعريب كمال محمد بشير) . ص ١٧٧

(٧٨) محمد بن سعيد بن إبراهيم ثبيتي، ظاهرة التلطف في الأساليب العربية: دراسة دلالية لتقبل الألفاظ لدى الجماعة اللغوية . ص ٤، ينظر أيضا أحمد مختار عمر، علم الدلالة . ص ٢٤٠

(٧٩) ينظر المبرّد، الكامل في اللغة والأدب . ص ٢/ ٢١٥-٢١٦، ابن فارس، الصاحبي . ص ٢٠٠، الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، الفصل في الكناية عما يُستقبح ذكره بما يستحسن لفظه . ص ٢٧٦. وقد افرد الثعالبي لدراسته كتابا باسم "الكناية والتعريض" كما فعل قاضي الجرجاني في كتابه "المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء".

(٨٠) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ . ص ١٤٢. وتجد تلك الاستعمالات في الآيات القرآنية التالية: سورة البقرة ١٨٧، ٢٢٣،٢٣٥، وسورة النساء ٢١،٤٣،٢٣ وسورة المائدة ٦.

واندثرت من الاستعمال حتى لا يكاد يتناولها في الكلام إلا العامة من الناس. فلمّا حظرت من الاستعمال استعاضوا عنها بكلمة أخرى، وهي كلمة "المخاط".[٨١] ومنها كلمة "المِدَّة" و"الصديد" كلّ منهما يدل على القيح، لكن أصبحت الأولى منهما مبتذلة وانزوت في استعمالها ولكن الثانية ظلت مستعملة يتحفظ على الأدب والحشمة بين الناس.

ونجد في اللغة العربية كثيرا من الألفاظ التي تتعلق بالتبوّل والتبرّز، لكن لا يستعمل بألفاظ صريحة مكشوفة، بل يكنى عنها بعبارات كريمة نبيلة، ذات لياقة واحتشام، ليس فيها ذلك المعنى المباشر. منها كلمة "استنجى". يقولون قد استنجى الرجل، معناه إذا تمسَّح بالأحجار، أو غسل الموضع بالماء، وأصل هذا من النجوة، والنجوة ما ارتفع من الأرض. فكان الرجل إذا أراد قضاء الحاجة، طلب النجوة من الأرض، ليستتر بها.[٨٢] فاستعيض هنا بكلمة ذات دلالة كريمة. وكذلك كلمة "الغائط"، وأصلها المطمئنُّ من الأرض الواسع، وكان الرجل من العرب إذا أراد أن يقضي الحاجة أتى الغائط فقضى حاجته، فقيل لكل من قضى حاجته: قد أتى الغائط، فكني به عن العذرة، وقد تغوط وبال.[٨٣] وتجد هذا في كل من الكلمات: المرحاض، والكنيف، وبيت الراحة، وبيت الأدب، والمستراح، والمبرز، والمراح.

إن الكلمات التي تعبر عن فكرة الموت أو الأمراض والأشباح أو غير ذلك، تخلق في قلوب الناس الخوف والرعب، فينفرون سماعها، ويستبدلون عنها بكلمات أقلّ حدة ووضعا في نفوسهم، فرارا ممّا يبعثه في نفوسهم من تذكّر المصائب والآلام. فهذه الكلمات أكثر الألفاظ عُرضةً للتغيّر، لما تخلُق في القلوب من وقعة نفسية. ولذلك نجد لدلالة الموت كثيرا من الكنايات تقلّ حدّتها في النفوس كالاستعمالات "توفي" و"رحل إلى جوار الله" و"فاضت روحه" و"انتقل إلى رحمة الله" و"استأثر الله به" و"قضى نحبه" و"اختاره الله" وغير ذلك.[٨٤] ومنها تسمية الناس في الأرياف عن الحمّى باسم "المبروكة. وكذلك يتفادون بعض الألفاظ المتشائمة تفاؤلا وتطيّرا، لأن المرء "إذا شاء التعبير عن معنى سيئ، تشاءم من ذكر الكلمة الخاصة

---

[٨١] المرجع السابق. ص ١٤١

[٨٢] ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس. ص ٤٢/١

[٨٣] الجوهري، الصحاح. ص ١١٤٧/٣

[٨٤] للمزيد من الأمثلة ينظر: الثعالبي، الكناية والتعريض (تحقيق عائشة حسين فريد). ص ١٣٩-١٤٠

به، وفرّ منها إلى غيرها، فجميع الكلمات التي تعبر عن الموت والأمراض والمصائب والكوارث، يفرّ منها الإنسان، ويكنى عنها بكلمات حسنة المعنى، قريبة إلى الخير.... وأقرب المعاني إلى كلمات التشاؤم هي أضدادها من كلمات التفاؤل"،[٨٥] فيسمّون اللديغ سليما تطيّرا بسلامته والأعور ممتعا تطيّرا من ذكر العور، كما يكنون عن الأعمى بابن البصير، وعن الفلاة بالمفازة إلى غير ذلك.

ولم يكن اللامساس أو المحظورات اللغوية في حال من الأحوال منحصرا في المجتمعات البدائية، بل ساد في جميع الأمم والأقوام والحضارات، بالرغم من أن ما يدعو إلى حسن التعبير بعامل اللامساس تختلف من أمة إلى أمة، ومن بيئة إلى بيئة، ومن جيل إلى جيل. ولعل معنى يُعتبر بوسم اللامساس عند قوم يكون هو مقبولا عند قوم آخر. ومن الممكن أن يُعتبر مفهوم "الصواب السياسي أخلاقيا" (political correctness) صورةً حديثةً للامساس. هي نوع من حسن التعبير تعّبر عن حسن اختيار المصطلح المؤدَّب الذي لا يثير الفرقة والنزاع وتحاشي جرح شعور الآخرين، خصوصا عند الإشارة إلى فئات عرقية أو ثقافية. مثال لها كلمة "nigger" (الزنجيّ) في الإنجليزية، وليس هذا كلمة ذات كياسة اجتماعية في العصر الحديث. وكذلك يستعمل "ذوو الاحتياجات الخاصة" بدل المعاقين و"المكفوفون" بدل العميان، باعتبار هذه اللياقة الأدبية أو الصواب السياسي.

الخامس: اختلاف طبقات الناس وفنون العلوم

يؤدّي اختلاف طبقات الناس في معظم الأحيان إلى اختلاف لغاتهم وشيمهم اللغوية، كما يدعو تنوّع العلوم والفنون إلى مصطلحات وتعابير يخصّ بكل منها. "وقد تتسع مسافة الخلف بين هذه الفنون فتصبح لغة كل منها أشبه شيء بلغة مستقلة".[٨٦] فكل طبقة من الناس وجميع أصحاب الفنون والعلوم لهم لغتهم الخاصة بهم، يصعب إدراكها على من لا ينتمي إليهم، ويجنحون إلى الخروج بمدلول الكلمات عن معانيها الأصلية، لأنهم يحتاجون "إلى دقة التعبير وسرعته وأنشاء مصطلحات خاصة بصدد الأمور

---

[٨٥] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية. ص ١٨٠

[٨٦] على عبد الواحد والوافي، علم اللغة. ص ١٨٦

التي يكثر ورودها في معاملاتهم وتستأثر بقسط كبير من انتباههم، فيلجئون إلى استخدام مفردات في غير ما وضعت له، أو تخصيصها على بعض معانيها للتعبير عن أمور تتصل بصناعاتهم وأعمالهم أو علومهم وفنونهم،[٨٧]

ونجد آثار الفوارق الطبقية في اللغة التي يتكلّم بها كلّ طبقة. وهذه الفروق اللغوية توجد حتى بين أصحاب اللغة الواحدة. يلجؤون إلى تخصيص دلالات بعض الألفاظ أو تعميمها أو نقلها إلى معان جديدة، طبقا لبيئتهم وصناعتهم بقدر ما يحتاجون إليه في معاملاتهم في الحياة. والذي يربط كل طبقة هو المصالح المشتركة بينهم، كالمهنة والحرفة والتجارة والصحافة والقوات المسلحة والهيئات الأكاديمية والرياضية.

وكذلك الأمر بالنسبة للألفاظ المستعملة في فرع من فروع العلوم أو الفنون، لأن "استخدام الكلمة في فن بمعنى خاص يجردها في هذا الفن من معناها اللغوي، ويقصرها على مدلولها الاصطلاحي".[٨٨] يشتمل هذا مصطلحات الآداب والفلسفة واللسانيات والقانون والاجتماع والفقه والعلوم الإسلامية الأخرى وما إلى ذلك. أما بالنسبة للغة العربية يتفوق العرف الشرعي سائر الأعراف الخاصة بالعلوم والفنون الأخرى في جلب التغيرات الدلالية. والدلالات المختلفة لكلمة "المخرج" وفقا للعلوم، تتمثّل اختلاف اللغة باختلاف الفنون وطبقات الناس. وقد خصصها اصطلاح الفقه إلى "فتحة الإفراز" واصطلاح علم الأصوات إلى " مكان النطق". ودلالتها الأصلية العامة هو كما في قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} (سورة الطلاق:٢). وقد بذل الخوارزمي جلّ كتابه "مفاتيح العلوم" للتناول والبحث عن هذا الموضوع. وقد ذكر فيها المصطلحات والألفاظ المتداولة عند كل طبقة من طبقات الناس كالعلماء واللغويين والفلاسفة وأصحاب الحرف المختلفة كالطب والهندسة وعلم النجوم والموسيقي وغيرها، وما يتواضع عليه أصحاب كل من هذه الطبقات من الكلمات الشائعة في كلامهم بدلالتها الخاصة.[٨٩]

وفي بعض الأحيان يغلب استعمال بعض الألفاظ بإزاء المعاني المختصة بعرف خاصّ، حتى تخترق تلك الدلالة إلى اللغة المشتركة، وتكون الحقيقة اللغوية مهجورةً، ليس في الاصطلاح الخاص فقط، بل في

---

[٨٧] علي عبد الواحد الوافي، اللغة والمجتمع. ص ١٧

[٨٨] على عبد الواحد الوافي، علم اللغة. ص ٣٢١

[٨٩] ينظر محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم، فيه مقالتان يشتمل كل مقالة على فصول عديدة يهتمّ كل منها على حدة بطبقة معينة من طبقات الناس واستعمالاتها اللغوية الخاصة بها واصطلاحاتها التي يكثر دورانها في كلام أصحابها.

اللغة العامة. وهذا ما حدث في شأن الألفاظ الإسلامية، حيث إن دلالتها الجديدة كانت مختصة بعرف الشرع الإسلامي، لكن غلبة استعمالها بإزاء المعاني الشرعية أدّت إلى أن تصير دلالة عامة في اللغة وتنتشر فوق حدود نطاق الشرعي. وكذلك "كثير من كلمات الاصطلاحات المهنية والفنية قد تجد طريقها إلى اللغة المشتركة وتنفذ إليها والعكس بالعكس".[٩٠] ومن هذا الخصوص ما قام به علي عبد الواحد الوافي من تسجيل كثير من الكلمات من لغة البحارة من مصر. وممّا جمعه "ينصلح" بمعنى يهلك، و"القرية" وهي خشبة الشراع الأكبر، و"البومة" وهي الخشبة المربوط فيها القلع، و"المريس" وهو الريح من الجنوب، وغيرها من الألفاظ الكثيرة التي تختصّ بهم.[٩١] فاختلاف طبقات الناس وفنون العلوم يؤدّى إلى تغير اللغات الخاصة بهم، وفي بعض الأحيان ينفذ لغتهم إلى اللغة المشتركة.

ولا شك في أن العوامل المتقدمة متفاوتة في فعلها في مختلف اللغات بحسب طبيعتها وبيئتها وجغرافيتها وحضارتها. وإن بعضها يتداخل في بعض آخر، ويأتي بعض العناصر تحت كثير من هذه العوامل. وتأثير الإسلام لا يكاد يوجد في عوامل التغير غير اللغة العربية للأسباب المذكورة. والباقي يختلف تأثيرها وفعلها باختلاف اللغات. ومهما كان الأمر هذا تصنيف تقريبي لعوامل التغير الدلالي في اللغة العربية وليس بحصري، لأنه من الممكن أن يوجد من العوامل غير هذا في المناطق اللغوية المختلفة مما يلائم بيئتها وطبيعتها.

---

(٩٠) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة. ص ١٥٦

(٩١) للمزيد من الأمثلة ينظر التذييل في: على عبد الواحد الوافي، علم اللغة. ص ١٩١

الفصل الثاني:

مظاهر التغير الدلالي

إن نظام تقسيم التغير الدلالي يبنى على خطتين مهمتين. الأولي منهما هي الخطة المنطقية التي تقوم على العلاقة المنطقية بين المعنين القديم والجديد. والثانية هي الخطة النفسية التي تركّز على العملية النفسية التي أدّت إلى التغير. واستنادا إلى هاتين الخطتين التين هما أوفق الخطط التي وضعت لتقسيم التغيرات الدلالية، قد ذهب اللغويون إلى مذهبين في تقسيم الأحوال التي يظهر فيها التغيرات في المفردات اللغوية. فبعض من العلماء قد ركّزوا انتباههم على العلاقة المنطقية بين المعنين، من كون أحدهما أعمّ أو أخصّ من الآخر، أو تساويهما. فحاولوا التقسيم من تلك الناحية.[١] وفي زعامتهم درمستتر (Darmesteter) وبول (Paul) وميشال بريال وستيفن أولمان وفندريس ورمضان عبد التواب وفايز الداية وأحمد مختار عمر وغيرهم. ويرجع جذور هذا التقسيم إلى أرسطو وتحليله للاستعارات.[٢] والبعض الآخر نظروا إلى العملية النفسية التي دعت إلى التغير، حتى قدّموا تقسيما نفسيا للتغير الدلالي. ومن السابقين إليها فونت (wundt) وغوستاف ستيرن (Gustaf Stern) وغيرهم.[٣]

إنني في هذا الفصل عن مظاهر التغير الدلالي سأركّز على الناحية المنطقية، وسأقسّم التغيرات الدلالية بحسب العلاقة المنطقية بين المعنى القديم والمعنى الحديث. والتقسيم النفسي لم أتناوله في هذا الفصل لأن التقسيم النفسي للتغير الدلالي أقرب إلى أن يكون كل قسم منها عاملا من عوامل التغير الدلالي أكثر من كونها مظاهرَه. وهذا يظهَر لنا ممّا أورده ستيفن أولمان من الأقسام الأربع للتغير الدلالي استنادا إلى الخطّة النفسية: وهي المشابهة بين المدلولين، العلاقة بين المدلولين، المشابهة بين اللفظين، العلاقة بين اللفظين.[٤]

---

[١] وقد أورد عمار قلالة عدة أسباب وتعليلا منطقيا لما أن التقسيم المنطقي هو التقسيم المختار عنده، أنظر التطور الدلالي في مقاييس اللغة لابن فارس. ص ٤٨-٤٩

[2] Ullmann, S. (1957). The Principles of Semantics, p. 202-203

[٣] أنظر ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة. ص ١٦١، و Stern, G. (1931). Meaning and Change of Meaning, p. 165. وقد بيّن فيها بالتفصيل سبعة أنواع للتغير الدلالي يعتمد فيه على الخطة المنطقية للتقسيم.

[٤] المرجع السابق، ص ١٦٣-١٧٣

وكل من هذه الأقسام يعمل كعامل نفسيّ يدعو إلى التغير الدلالي، وقد مرّ الذكر بالتفصيل عن عوامل التغير الدلالي في الفصل الأول من الباب.

وقد استطاع اللغويون في العصر الحديث أن يحصروا التغيرات التي يطرأ على المعاني في أنواع رئيسية تصدق على جميع لغات البشر، وذلك بعد النظر الطويل والبحث العميق عن مثل هذه التغيرات في لغات كثيرة من مختلف أنحاء المعمورة. والتغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى ترجع أحيانا إلى ثلاثة أنواع رئيسية: التعميم والتخصيص والنقل، بالرغم من أنها تتشعّب إلى أنواع أخرى، لكن فرعية. وإنّما اقتصرت على هذا الثلاث، لأن المعنى القديم إما أن يكون أعم من المعنى الجديد، أو أخصّ منه أو مساويا له. فاتفق جميع العلماء في ثلاث إمكانيات، وإن كانوا مختلفين فيما يزيد عليها.

فهناك تعميم عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام، مثل كلمة "القافلة"، خرجت من معناها الخاص أي "الرفقة الراجعة من السفر" إلى "جماعة المسافرين ذاهبة كانت أو راجعة"، وهو عامّ،[٥] وهناك تخصيص في الحالة العكسية أي عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص كما وقع في كلمة "المأتم" وهي في الأصل مجتمع الرجال والنساء في الغم والفرح، ثم خص بها اجتماع النساء للموت،[٦] وهناك نقل عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص،[٧] كانتقال معنى "العقيقة" من الشَّعر الذي يخرج على الولد من بَطْن أمه، إلى ما يُذْبح عند حَلقِ ذلك الشعر.[٨] ونقل الدلالة ينقسم إلى أنواع ثانوية مثل رقي الدلالة وانحطاطها، أو النقل من المعنى الحسي إلى المجرّد والعكس. وسأذكر فيما يلي عن كل واحد منها بمزيد من التفصيل.

---

[٥] ابن قتيبة، أدب الكاتب . ص٢٤

[٦] لسان العرب، مادة "أتم" ج ١٢، ص٣

[٧] فندريس، اللغة . ص ٢٥٦

[٨] السيوطي، المزهر . ص ٣٣٥

المظهر الأول: تعميم الدلالة (Semantic Widening)

إن تعميم الدلالة[٩] يكون "بتوسيع معنى اللفظ ومفهومه، أو نقله من المعنى الخاصّ الدالّ عليه إلى معنى أعمّ وأشمل"،[١٠] وهو عند أحمد مختار عمر "أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل".[١١] وذلك أن يكون لدينا لفظ يدلّ في أصل وضعها اللغوي على معنى معين خاصّ بها، ثمّ تتسع دلالتها، فيشتمل عدّة معان وتكون دلالتها عامة. فبالجملة هو "الانتقال باللفظ من دلالته المعهودة إلى دلالة أعم".[١٢]

إن ممّا يشبه تعميم الدلالة ما نشاهده من الأطفال عندما يطلقون اسم الشيء على كل ما يشابهه لأدنى مشابهة أو علاقة أو مماثلة. فقد يطلق الطفل، على سبيل المثال، اسم "الدجاجة" على كل طائر، وكذلك يدعو كل من لها مماثلة لأمه في الشكل أو القامة أو الثياب أو غير ذلك بلفظ "الأم"، كما يطلق كلمة التفاحة على كل شيء مستديرة التي تشبهها في الشكل كالبرتقالة.[١٣] ولكن هذا لا يعدّ نوعا كاملا من التعميم، لأن الطفل إنّما يلجأ إليه لقلة تجربته اللغوية، وأيضا إنه سيستخدم اللغة بشكل صحيح عندما يبلغ ويستكمل رشده اللغوي.

وإذا طبّقنا نظرية التحليل التكويني (Componential Analysis Theory) لبيان المعنى، يمكننا تفسير تعميم المعنى على أنه نتيجة إسقاط لبعض الملامح التميزية للفظ أي إسقاط بعض المكونات الدلالية

---

[٩] ويسمّى كذلك بتوسيع المعنى أو اتساعه او امتداده أو تعميم الخاص أو توسيع الخاص وغير ذلك من المصطلحات في العربية وكذلك يعرف بـ generalization في الإنجليزية، انظر احمد مختار عمر، علم الدلالة. ص ٢٤٣، محمد سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث. ص ٤٣١، Kadhim, L. A. (2012). The Semantic Change in English and Arabic: A contrastive Study, p. 10

[١٠] محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص. ٢١٨

[١١] أحمد مختار عمر، علم الدلالة. ص ٢٤٣

[١٢] عمار قلالة، التطور الدلالي في مقاييس اللغة لابن فارس. ص ٥٢ (منقولا عن محمد سعد محمد، في علم الدلالة. ص ١٠١)

[١٣] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ. ص ١٥٤-١٥٥، أحمد مختار عمر، علم الدلالة. ص ٢٤٤

له، مثال له كلمة " الوِرْد"، إذا حلّلنا معنَيْها القديم والجديد، وجدنا أنه قد سقط من دلالتها ملمح "الماء" وبقي ملمح "الإتيان".[١٤] ويمكن عرض هذا بعبارة رياضية كما يلي:

- الدلالة قبل التعميم: الوِرد = إتيان + الماء
- الدلالة بعد التعميم: الوِرد = إتيان

فالمكوّنات الدلالية في المعنى القديم اشتملت على "الإتيان" و "الماء"، ولكن المكوّن الدلالي "الماء" أسقطت في الدلالة الجديدة بعد عملية التعميم.

ويعمل وراء هذا المظهر للتغير الدلالي عامل من الميول النفسية التي اندمجت في طباع عامة الناس ومعظمهم من إيثار اليسر، وذلك أنهم "في حياتهم العادية يكتفون بأقل قدر ممكن من دقة الدلالات وتحديدها، ويقنعون في فهم الدلالات بالقدر التقريبي الذي يحقق هدفهم من الكلام والتخاطب"،[١٥] فيخرجون من المعنى الخاص إلى المعنى العام، ثمّ يكثر استعمال ذلك الخاص عامّا، حتى يقرّه أصحاب اللغة فيكون دلالتها يشمل أشياء أكثر ممّا كانت عليه في الوضع الأول. وممّا يدلّ على هذه الظاهرة مثلا، استعمال الناس صفة "لذيذ" للبيان عن النشيد الرخيم. و"اللذيذ" في أصل الوضع صفة للطعام والشراب.

إننا نجد في اللغة العربية كثيرا من أمثلة التعميم مثل كلمة البأس التي كانت في أصل وضعها اللغوية خاصة بالحرب، ثمّ اتسعت دلالتها فصارت كل شدّة بأسا.[١٦] وكذلك كلمة "الخارب"، كما يقول أبو علي القالي: أصل معناها سارق الإبل خاصّة، ثم يستعار فيقَالَ لكل من سرق بعيراً كان أو غيره،[١٧] فمعناها الجديد هو اللصّ مطلقا. ومن هذا النوع التعميم في كلمة "الدفن"، الأصل فيها: دفنَ الميّتَ: واراه، ثم قالوا: دفنَ سِرَّه، إذا كَتمَه.[١٨] يقول القاسم بن سلاّم عمّا حدث لكلمة "الحواريّ" من التعميم لأجل المشابهة: "فلما كان عيسى عليه السلام نصره هؤلاء الحواريون، فكانوا شيعته وأنصاره دون الناس فقيل: فعل به الحواريون كذا / ونصره الحواريون بكذا، جرى هذا على ألسنة الناس حتى صار مثلا لكل

---

(١٤) مجدى إبراهيم محمد إبراهيم، بحوث ودراسات في علم اللغة: الصرف المعاجم الدلالة . ص ٢١١

(١٥) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ . ص ١٥٥

(١٦) السيوطي، المزهر . ص ٣٣٥/١

(١٧) الأمالي . ص ١٥٦/٢، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف . ص ٢٤١

(١٨) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم . ٣٤٩/٩، لسان العرب . ص ١٥٦/١٣

ناصر، فقيل: حواري إذا كان مبالغا في نصرته، تشبيها بأولئك هذا كما بلغنا والله أعلم وهذا كما قلت لك: إنهم يحولون اسم الشيء إلى غيره إذا كان من شبيه".[١٩]

وبتطبيق التحليل التكويني يمكننا بيان هذا التعميم بعبارة رياضية:

- الدلالة قبل التعميم: البأس = الشدّة + الحرب

  الدلالة بعد التعميم: البأس = الشدّة

- الدلالة قبل التعميم: الخارب = السارق + البعير

  الدلالة بعد التعميم: الخارب = السارق

وبهذا العرض الرياضي يتّضح لنا بأن التعميم في الحقيقة يقع بإسقاط بعض المكوّنات الدلالية التي شكّل مجموعُها الدلالة الأصلية لها قبل التعميم. ففي كلّ من الأمثلة المذكورة نجد مَلمحيْنِ الذين يميّزان دلالتها قبل التعميم، وإذا لاحظنا الدلالة بعد التعميم وجدنا ملمحا واحدا لتمييز دلالتها، وهذا التقليل في الملامح التمييزية يذلّل السبيل إلى تعميم مجال الكلمة من حيث دلالتها.

وهذا التعميم يوجد في جميع لغات البشر. ومن أمثلتها في اللغة الإنجليزية كلمة "salary" التي تعني في أصل وضعها اللاتيني حصة الجندي من الملح خاصّة. ثمّ اتسعت الدلالة مرّتين: في الأولى إلى مُرَتَّب الجنديّ سواء كان من الملح أو غيرها، وفي الثانية إلى مرتّب من أي نوع،[٢٠] وهذا الأخير هو دلالتها في الوقت الحاضر.

وممّا يلفت أنظارنا في هذا المقام أن القدماء من اللغويين العرب قد أشاروا إلى هذا النوع من التغير الدلالي في كتبهم، بالرغم من أنهم أطلقوا عليه بمصطلحات غير الذي وجدناه في الدراسات الحديثة. ومن هؤلاء القدماء ابن دريد وأبو نصر الفارابي وابن فارس والثعالبي والسيوطي، حيث إنهم أوردوا في كتبهم البحث عن هذه الظاهرة مع تعاريف مختلفة، وأمثلة عديدة.

---

[١٩] غريب الحديث للقاسم بن سلاّم. ص ١٦/٢

[٢٠] أحمد مختار عمر، علم الدلالة. ص ٢٤٤

وقد عقد ابن دريد بابا باسم "باب الاستعارات" في كتابه المشهور "جمهرة اللغة"، وأورد فيه كثيرا من أمثلة التعميم، وكان سبب هذا التعميم المشابهة أو المجاورة وسمّاها بالاستعارة.[٢١] وهذه المسألة نفسها ما أشار إليه ابن فاس في (باب القول في أصول أسماء قيس عليها وألحق بها غيرها) من كتابه "الصاحبي".[٢٢] وللسيوطي أيضا خدمات جليلة في هذا الصدد، حيث إنه أورد في كتابه "المزهر" فصلا عَنْوَنَه بـ" فيما وضع في الأصل خاصا ثم استعمل عاما" مع إتيان كثير من أمثلتها.[٢٣] وكذلك نجد الإشارة إلى تعميم دلالات الألفاظ العربية في غيرها من كتب العرب القدماء، منها المعاجم وكتب اللغة وكتب الأصول.[٢٤]

المظهر الثاني: تخصيص الدلالة (Semantic Narrowing)

ويقصد بتخصيص الدلالة[٢٥] تضييق مجال معنى الكلمة، أو التحوّل من العام إلى الخاص. وعرّفه أحمد مختار عمر بأنه "تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضييق مجالها".[٢٦] وهذه الظاهرة عكس ما سبق من التعميم. وهو أن تكون لدينا كلمة تدلّ في أصل وضعها اللغوي على معنى عام، ثم تختصّ دلالتها بفرد من أفراد العام أو نوع من أنواع الجنس، كما وقع في كلمة "السبت" التي كانت تعني الدهر، ثمّ اختصت بيوم من أيّام الأسبوع وهو جزء من الدهر. وعرّف التخصيص بعض آخر من اللغويين بأنه تحديد معاني الكلمات وتقليص شمولها.

والعامل النفسي الذي يدعو الناس إلى هذا التخصيص هو "أن إدراك الدلالة الخاصة أيسر من إدراك الدلالة الكلية التي يقلّ التعامل بها في الحياة العامّة وبين جمهور الناس".[٢٧] وإنّما الفلاسفة والعقلاء هم الذين يتعاملون مع المعاني الكليات والألفاظ الدّالة عليها. وهذه الكليات ليس لها وجود خارجي حتى

---

(٢١) جمهرة اللغة. ص ٣/ ١٢٥٥-١٢٥٧

(٢٢) الصاحبي. ص ٥٨

(٢٣) السيوطي، المزهر. ص ١/٣٣٣-٣٣٧

(٢٤) للمزيد عن بحث التعميم في كتب العرب القدماء ينظر عبد القادر سلامي، علم الدلالة في المعجم العربي. ص ٦٣-٦٨

(٢٥) سمّاه أحمد مختار عمر بتضييق المعنى، أنظر علم الدلالة. ص ٢٤٥، ويسمّى كذلك بتخصيص العام، وتقليص الدلالة

(٢٦) علم الدلالة. ص ٢٤٥

(٢٧) عبد القادر سلامي، علم الدلالة في المعجم العربي. ص ٦٨

يلمسها الناس أو يرونها أو يحسونها، بل هي منحصر في الأذهان والعقول. فلا علاقة لعامة الناس بهذه المعاني الكليات، فينحرفون بها إلى الدلالات الخاصة التي يتعايشون معها، إمّا لقلة الحدّة في أذهانهم، وإمّا لتكاسلهم بالتماس الميسور في كلامهم.

وأيٌّ من ظاهريْ التخصيص والتعميم أكثر شيوعا في اللغات وأكبر أهمية في تغير الدلالة؟ إن لغويي العرب على طبقتين في هذه المسألة. فإبراهيم أنيس يذهب إلى "أن تعميم الدلالات أقل شيوعا في اللغات من تخصيصها، وأقل أثرا في تطور الدلالات وتغيرها"،[٢٨] حينما يعدّ أحمد مختار عمر كلا المظهرين على قدم المساواة في الأهمية والشيوع،[٢٩] واتبع أثره الآخرون مثل أحمد محمد قدّور، ونقدوا رأي إبراهيم أنيس نقدا عنيفا.

ومن أمثلة التخصيص كلمة "الحج" لأنها في الأصل قصْدُ الشيء وتجريدك له ثم خُصّت بقَصْدِ بيت الله في المكة المكرّمة.[٣٠] وكلمة "الصوم" كانت تعني الإمساك وكان أصلها عند العرب عاما، ثم تخصصت الكلمة وصارت تعني شعيرة الصوم المعروفة في الإسلام، فأصبحت دلالتها الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات.[٣١] ومثل ذلك كثير من الألفاظ العربية التي استجدت بظهور الإسلام، وتحوّلت من معان لغوية عامّة إلى معان اصطلاحية خاصة عن طريق القصد والتعمّد.

ومنها تطور كلمة "المأتم" حيث انحرفت دلالتها من العموم نحو الخصوص. وفي لسان العرب: المأتم في الأصل: مجتمع الرجال والنساء في الغم والفرح، ثم خُصّ به اجتماع النساء للموت.[٣٢] وكذلك كلمة "الشاغرة"، أصل معناها كما يقال: شغرت الأرض أي خلت من الناس ولم يبق بها أحد يحميها ويضبطها، وهي شاغرة، ويقال بلدة شاغرةٌ برِجْلِها: لم تمتنِعْ من غارة أحدٍ لخلوّها،[٣٣] وأصبحت اليوم خاصة بالوظائف التي لا يشغلها أحد، فيقال: وظيفة شاغرة.[٣٤]

---

[٢٨] دلالة الألفاظ . ص ١٥٤

[٢٩] علم الدلالة . ص ٢٤٣

[٣٠] السيوطي، المزهر . ص ٣٣٢/١

[٣١] حسناء عبد العزيز القنيعير، التطور الدلالي للألفاظ، مقالة تمّ استردادها من موقع جريدة الرياض اليومية

[٣٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة "أتم" . ج ١٢، ص٣

[٣٣] الفيروز آبادي، القاموس المحيط . ص ٤١٧، لسان العرب . ص٤١٧/٤

[٣٤] حسناء عبد العزيز القنيعير، التطور الدلالي للألفاظ

كما مرّ الذكر في بيان تعميم الدلالة من تطبيق نظرية التحليل التكويني، يستطيع لنا تفسير تخصيص الدلالة أيضا بهذه النظرية. إن كان التعميم يقع بإسقاط بعض الملامح التمييزية، فالتخصيص إنما يحدث بإضافة بعض الملامح التمييزية أو المكوّنات الدلالية للكلمة. وتتّضح هذه المسألة بعرض بعض الأمثلة المذكورة بعبارة رياضية كما يلي:

- الدلالة قبل التخصيص: الحج = القصد

الدلالة بعد التخصيص: الحج = القصد + الكعبة المشرفة

- الدلالة قبل التخصيص: المأتم = اجتماع الناس

الدلالة بعد التخصيص: المأتم = اجتماع الناس + الموت

ويستنتج من هذا البيان أن ما يحدث في عملية التخصيص هو إضافة بعض من الملامح الدلالية إلى دلالة الكلمة القديمة، وإذا لاحظنا هذه العبارات الرياضية نفهم أن كلّ دلالة منها مكوّنة قبل التخصيص من ملمح واحد، وبعد التخصيص من ملمحيْنِ. وزيادة المكوّنات الدلالية تدعو إلى تقليص مجال الدلالة، فينجم عنها التخصيص.

ولقد استقطبتْ هذه الظاهرة أيضا اهتمامَ اللغويين العرب القدماء منذ أمد بعيد، حيث احتوى كثير من كتبهم ودراساتهم على التلميحات الإشارات إليها والبحث عنها. من أهمّ تلك الأعمال الجليلة "المزهر" للسيوطي، وقد عقد فيها فصلا باسم "العام المخصوص" وعرّفه بأنه "ما وُضع في الأصل عاما ثم خُصّ في الاستعمال ببعض أفراده"،[٣٥] وأتى فيه بكثير من الأمثلة له. وقد ذكر ابن دريد في "جمهرة اللغة": رث كل شيء: خسيسه، وأكثر ما يستعمل فيما يلبس أو يفترش.[٣٦] وفي قوله هذا إشارة إلى تخصيص الدلالة. وكذلك تنوول هذا الموضوع في "المخصص" لابن سيده، وأتى فيه بكثير من الألفاظ الإسلامية تمثل هذه الظاهرة.

---

[٣٥] السيوطي، المزهر . ص ٣٣٢/١

[٣٦] ابن دريد، جمهرة اللغة ـ ص ٨٢/١

المظهر الثالث: نقل الدلالة (Semantic Transfer)

إن نقل الدلالة[٣٧] هو تحوّل كلمة "من الدلالة على الشيء في مجال ما، إلى الدلالة على شيء آخر في مجال غيره".[٣٨] وتتمّ هذه الظاهرة "عندما يتعادل المعنيان أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص".[٣٩] وهو في الحقيقة أن تكون لدينا كلمة تدلّ على معنى من المعاني في أحد من المجال، ثمّ تتحوّل إلى الدلالة على معنى غيره في مجال آخر، ويرجع الفضل في هذا التحوّل أو الانتقال إلى المشابهة (كما في الاستعارة) أو العلاقة غير المشابهة أو المجاورة (كما في المجاز المرسل من نقل الكلمة من المحل إلى الحال أو من السبب إلى المسبب إلى غير ذلك) بين المعنى الجديد والمعنى القديم، وتارة يتعايش المعنيان جنبا إلى جنب، وتارة أخرى تطغي الدلالة الجديدة عن سابقتها، فتكون القديمة مهجورة ومتخلّية عنها.

وينقسم نقل الدلالة إلى أقسام مختلفة كالنقل من المعنى الحسي إلى المعنى المجرد والعكس، والنقل من المعنى الراقي إلى المعنى المنحطّ والعكس، والنقل من المعنى الأقوى إلى المعنى الأضعف والعكس. وسنأتي بتفصيل النقل الذي تسبب رقي الدلالة وانحطاطها فيما بعد. والنقل من الدلالة المحسوسة إلى الدلالة المجرّدة شائع في اللغات، ولدينا في اللغة العربية آلاف من الأمثلة لها، مثل كلمة " الشك"، أصل دلالتها الوخز بشيء دقيق والغرز، من ذلك قولهم شككته بالرمح، وذلك إذا طعنته فداخل السنان جسمه، وكذلك يقال شككت بين ورقتين، إذا أنت غرزت العود فيهما فجمعتهما. ومن هذه الدلالة الحسية انتقلت الكلمة إلى دلالة مجرّدة، وهي خلاف اليقين. ووجه هذا النقل أن الشاك كأنه شُكّ له الأمران في مِشكٍّ واحدٍ، وهو لا يتيقن واحدا منهما.[٤٠]

والفرق بين هذا النوع من التغير الدلالي وبين سابقيه من التعميم والتخصيص هو "كون المعنى القديم أوسع أو أضيق من المعنى الجديد في النوعين السابقين وكونه مساويا له في النوع الحالي".[٤١] فليس

---

[٣٧] ويعرف بغيرها من المصطلحات في العربية والإنجليزية كانتقال الدلالة، والتحول الدلالي، والتحوّل المجازي والتطور بالمجاز، وتغيير مجال الاستعمال في العربية وsemantic shift وsemantic reversal في الإنجليزية.

[٣٨] عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات . ص ٢٤٢

[٣٩] فندريس، اللغة . ص ٢٥٦

[٤٠] ابن فارس، مقاييس اللغة . ص ٣/ ١٧٣، وانظر أيضا عبد القدر سلامي، علم الدلالة في المعجم العربي . ص ٨١

[٤١] أحمد مختار عمر، علم الدلالة . ص ٢٤٧

بين المعنين في هذا النوع علاقة العموم والخصوص كما لوحظتْ بينهما في النوعين الأولين، بل مجرّد انتقال من معنى إلى آخر، لوجود علاقة أو ملمح مشترك بينهما. ولقد وضّح فندريس فرقا آخر بين انتقال المعنى وبين تخصيصه وتعميمه بأن التخصيص والتعميم يحصل بصورة غير شعورية، بينما يتم انتقال المعنى بصورة قصدية للأغراض الأدبية في الأغلب.

وإنّما يسوّغ نقل الدلالة عن طريقين:

الأوّل: المشابهة (similarity): إن المشابهة بين المدلولين تسهّل السبيل إلى التحوّل من أحدهما إلى الآخر. فإذا كانت المشابهة هي العلاقة التي سوّغت نقل دلالة الكلمة من شيء إلى آخر، فهذا النقل يسمّى بالاستعارة (metaphor). وذلك مثل كلمة "الغفر"، أصلها: الستر والتغطية، لكنها استعملت مجازا في الصفح عن الذنوب، حتى يقال غفر الله ذنوبه: أي صفحه عنها وسترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ.[٤٢] وفي المدلولين تشابه، لأن الصفح عن الذنوب كسترها. ومن أمثلتها "صوت عذب" والعذب يستخدم للدلالة على صفاء الماء، ولكنها استخدم لجمال الصوت للمشابهة بينهما في الجودة والحسن.

والثاني: العلاقة غير المشابهة أو المجاورة (contiguity): إن الذي يتيح النقل لا يلتزم في جميع الأحوال بالمشابهة، بل هناك علاقات غيرها الذي يجوّز النقل من دلالة إلى أخرى، منها السببية والمسببية والجزئية والكلية والحالية والمحلية واعتبار ما كان واعتبار ما سيكون.[٤٣] فاذا كان واحد منها هي العلاقة بين المدلولين الذين استحالت الكلمة من أحدهما إلى الآخر، فيسمّى هذا النقل بالمجاز المرسل (metonymy).[٤٤] ومن أمثلتها كلمة "الدخان"، التي أقر مجمع اللغة المصري استعمالها بمعنى التبغ،[٤٥] وهذا على سبيل المجاز المرسل بعلاقة السببية، لأن استعمال التبغ في العادة يوجب الدخان. ومنها إطلاق كلمة "الشتاء" على المطر بعلاقة المجاورة الزمانية، وكلمة "الغيث" على العشب بعلاقة المسببية.

---

[٤٢] الأزهري، تهذيب اللغة. ص ١١٢/٨، علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة. ص ٣٢١

[٤٣] لمزيد المعلومات عن الاستعارة والمجاز المرسل وأنواعهما والعلاقات المختلفة بين المدلولين ينظر: حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة. ص ١٠٤-١٤٣

[٤٤] ويعرف نقل المعنى عن طريق العلاقات المختلفة المذكورة بأسماء اصطلاحية خاصة لكل علاقة في الإنجليزية مثل synecdoche لإطلاق البعض على الكل والعكس وhyperbole للنقل من الأضعف الى الأقوى وغيرهما

[٤٥] ينظر: أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي، ص ٣٦٩

والمذكور من أن نقل الدلالة إنما يتمّ عن طريق المشابهة أو المجاورة ليس على وجه الحصر، بل هو شأنه في معظم الأحوال. وانتقال الألفاظ من معنى إلى آخر بلا علاقة ظاهرة ولا مشابهة بين المعنيين، كثير في اللغة العربية. وبغير أن نسلّم هذا لا يمكننا تفسير كثير من تلك الأضداد التي تعبر عن دلالات متباينة لا ارتباط بينهما ولا مشابهة. ومنها كلمة "الأرض" تعني الكوكب المعروف، وتعني أيضا "الزكام"، ومنها كلمة "الليث" هي الأسد وهي أيضا " العنكبوت".[٤٦]

وليس البحث عن كل استعارة ومجاز من موضوعات علم الدلالة، بل هو من أبحاث علم البلاغة القديمة، وخاصة في علم البيان منها، ولذلك نجد جميع الدراسات عن المجاز والاستعارة في التراث العربي في كتب الأدب والبلاغة، وكانتا في الحقيقة من وسائل البلاغة وفروع الجماليات. وأمّا علم الدلالة "فإنما هو يخصّ بالدرس تلك الألفاظ التي تحوّلتْ دلالتُها الاستعاريةُ أو المجازيةُ إلى دلالات حقيقية تكون جزءا من الرصيد اللغوي العام الذي لا يبغي به قائله غرضا بلاغيا".[٤٧] وإنما تصل دلالة مجازية في الأصل إلى دلالة حقيقية فيما بعدُ، بسبب كثرة الدوران في الكلام وتقادم العهد عليه. وذلك أن اللفظ ينتقل مثلا من الدلالة الحسية الحقيقية إلى الدلالة المعنوية المجازية. ثم يكثر استعماله في المعنى المجازي حتى يمرّ عليها الزمن الطويل. وبسبب كثرة الاستعمال وشهرة المعنى المجازي تزول عنه هذه الصفة ويصبح استعماله في المعنى الجديد حقيقيا لا مجازيا. وقد سمّى أحمد مختار عمر هذا النوع من المجاز بـ "المجاز الميت" أو "المجاز الحفري".[٤٨] فبالجملة أن ما يُعنى بدرسه في علم الدلالة من قبيل المجاز والاستعارة، إنما هو ما يسمّى بالمجاز الميت، ليس غيره.

والآن نفسّر بعض الأمثلة المذكورة بالعبارة الرياضية:

- الدلالة الأصلية : الشك = الوخز بشيء دقيق والغرز

الدلالة بعد النقل : الشك = خلاف اليقين

العلاقة المسوّغة : المشابهة

---

[٤٦] للمزيد عن هذه الطفرة الدلالية وأسبابها: ينظر جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي . ص ٤٢-٤٥، إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ . ص ١٣٥-١٣٨

[٤٧] عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات . ص ٢٤٣

[٤٨] علم الدلالة . ص ٢٤٢

- الدلالة الأصلية : الدخان = العُثان أي ما ينبعث من النار مسودا متصاعدا

  الدلالة بعد النقل : الدخان= التبغ

  العلاقة المسوّغة : السببية

- الدلالة الأصلية : الشتاء = أوّل فصول السنة

  الدلالة بعد النقل : الشتاء = المطر

  العلاقة المسوّغة : المجاورة الزمانية

وقد تنوولت هذه الظاهرة اللغوية من نقل كلمة من مجال إلى آخر، في أعمال كثير من اللغويين العرب منذ آماد مبكرة. ومنها ما جاء ابن فارس في كتابه "الصاحبي" من بابٍ باسم (باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص على المجاورة والسبب)، يقول فيه: قال علماؤنا: العرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب. وأتى فيها بأمثلة، منها قولهم "التيمم" لمسح الوجه من الصعيد، وإنما التيمم الطلب والقصد. يقال: تيممتك وتأممتك أي تعمدتك.[٤٩] وكذلك نجد مثل هذا في أعمال السيوطي وابن قتيبة والثعالبي وغيرهم.

أ. رقي الدلالة (Semantic Elevation)

إن نقل الدلالة ينقسم إلى أقسام، من أهمها رقي الدلالة[٥٠] وانحطاطها. أما رقي الدلالة "فهو التغيير المتسامي بتغيير معانٍ كانت عادية أو ضعيفة أو وضيعة إلى معان قوية أو شريفة".[٥١] وهو أن يكون لدينا لفظ له دلالة أو معنى منحط أو متواضع، ثمّ تنتقل دلالتها إلى مجال آخر يعلو به شأن ذلك اللفظ، وذلك لأن الدلالة الجديدة ليست وضيعة رذيلة كما كانت من قبل، بل راقية ونبيلة. إن رقي

---

[٤٩] الصاحبي. ص ٥٧

[٥٠] ويسمّى كذلك بالتغير المتسامي أو تسامي الدلالة في العربية، وamelioration في الإنجليزية. أنظر محمود السعران، مقدمة للقارئ العربي. ص ٢٣٠، عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم. ص٥٦

[٥١] حسناء عبد العزيز القنيعير، التطور الدلالي للألفاظ

الدلالة، بالمقارنة مع انحطاطها، أقلّ شيوعا في اللغات.[٥٢] ومن أشهر الأمثلة الموضحة لهذا النوع ما يتعلق بالمستويات الاجتماعية، والفوارق الطبقية.[٥٣]

ومن أمثلتها في اللغة العربية كلمة "الجميل"، كانت تعني في الجاهلية، الشحم المذاب. ومنها قولهم قد جمله وأجمله، أي أذابه واستخرج دهنه. وفي الفروق اللغوية للعسكري: أصل الجميل الودك، واجتمل الرجل إذا طبخ الْعِظَام ليخرج ودكها.[٥٤] ثم ارتقت دلالته إلى الحسن والنظارة ونقاء الوجه وجمال الأخلاق والشمائل. بل تلاشت الدلالة القديمة، حتى لم تعد العرب تستعمل الجميل بالمعنى البدوي القديم.[٥٥] والعلاقة بين المعنى القديم والجديد هو أن الرجل الجميل كأنما يجري في وجهه السمن.

ومن ذلك كلمة "القماش" التي كانت تدلّ على الرديء من كل شيء، ولكنها أصبحت اليوم تدلّ على المنسوجات التي تشمل في ضمنها الحرير ونحوه من الألبسة النفيسة العالية.[٥٦] ومنها انتقال كلمة "بيت" من الدلالة على المسكن المصنوع من الشعر إلى "البيت" الضخم الكبير المتعدد "المساكن" الذي نعهده في المدن.[٥٧] وكانت الكلمة "العفش" تدلّ في أول وضع اللغة على "سقط المتاع"، وفي وقتنا الحاضر أصبحت تُطلق على الغالي النفيس من الأثاث، وغير النفيس، كما يعبّر بها عن جهاز العروس، وأثاثها الثمين الغالي.[٥٨]

ونجد أمثلتها في جميع لغات البشرية. ففي اللغة الإنجليزية وقع هذا الرقي لكلمة "Marshal"، حيث كانت تدلّ في أصالتها على الغلام الذي يتعهد الأفراس،[٥٩] أي خادم الإسطبل، ثمّ نقلت إلى دلالة أرفع وأسمى، وهي المعروفة اليوم بالرتبة العسكرية.[٦٠]

---

(٥٢) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ. ص ١٥٨

(٥٣) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص ٢٣٠

(٥٤) العسكري، الفروق اللغوية. ص ١٩٤

(٥٥) هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. ص ٦٢٥

(٥٦) وقد مرّ الذكر عنها بالتفصيل في الفصل الأول من هذا الباب تحت عنوان تأثير اللغات الأخرى

(٥٧) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص ٢٣٠

(٥٨) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ. ص ١٥٨، حسناء عبد العزيز القنيعير، التطور الدلالي للألفاظ

(٥٩) وكلمة "mare" في الإنجليزية تدلّ على أنثى الخيل

(٦٠) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ص ٢٣٠

ب. انحطاط الدلالة (Semantic Degeneration)

فكما قد ترتقي الدلالة في بعض الألفاظ ويرتفع شأنها، قد تنحطّ في بعض أخرى وتهبط إلى الحضيض. ويعرف هذا النوع من نقل الدلالة بالانحطاط.[٦١] وهذا التغير نحو الانحطاط يصدق على الكلمات التي كانت دلالتها تعد في نظر الجماعة "نبيلة" "رفيعة" "قوية" نسبيا، ثم تحولت هذه الدلالات فصارت دون ذلك مرتبة، أو أصبحت لها ارتباطات تزدريها الجماعة.[٦٢] ويتخلّى اللفظ في عمليّة انحطاط الدلالة عن مرتبة عالية في أذهان الناس إلى مرتبة سافلة فيها. ولا يشترط أن يكون الدلالة الجديدة منحطّا ومبتذلا على الإطلاق، بل يكتفي بالنسبية فيها. قد لا تفيد الكلمة انحدارا في حدّ ذاته، بل بالنسبة إلى دلالتها السابقة. وكذلك لا تعتبر دلالةٌ ما وضيعةً ولا رذيلةً قطّ عند مجتمع، بخلاف مجتمع آخر، يتفرّق معه في الحضارة والثقافة ومستوى الفكر.

وهذا كما تكون دلالة اللفظ ذات شأن وعظمة في حياة المجتمع، ثم تفقد هذه المكانة بسبب الشيوع أو كثرة الاستعمال، أو تغير الظروف السياسية والإدارية والاقتصادية والعادات والتقاليد، كما حدث لكلمة "الحاجب" كانت تعني في الدولة الأندلسية رئيس الوزراء، أما اليوم فتعني الحارس أمام أبواب الإدارة، أو الخادم. ومن أمثلتها كلمة "البهلول" التي كانت استعملت في الشعر الجاهلي القديم بمعنى: العزيز الكريم الجامع لكل خير،[٦٣] ولكن أصابتها اليوم انحطاط، وأصبحت تدل على الرجل الأحمق، المعتوه الذي لا يدرك نتائج أفعاله.[٦٤]

وقد رصد محمود السعران انتظاما في نوع الألفاظ التي يكثر تعرّضها للتغيّر نحو الانحطاط، والذي يصدق ذلك في غالب الأحوال، حيث قال إنه "قد لوحظ أن أكثر الكلمات التي تميل إلى أن تنحطّ

---

[٦١] ويعرف أيضا بالتغير الخافض وانحدار الدلالة في العربية وpejoration في الإنجليزية: ينظر عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم . ص٥٦

[٦٢] محمود سعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي . ص ٢٢٨

[٦٣] لسان العرب . ص ٧٣/١١

[٦٤] هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي . ص ٦٢٥، أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة . ص ١/ ٢٥٦

دلالتها هي على وجه خاص تلك الدائرة حول الجنس وما يتصل به، وحول الزهو الطبقي، وحول ما يثير في الجماعة الكلامية مشاعر كالخجل –كأسماء قطع الملابس الداخلية – والخوف، والذعر إلخ، وحول "الألقاب" وحول ما يثير بطبيعته اشمئزازًا أو نفورا".[٦٥] وقد أورد في كتابه أربعة من المجالات التي يكثر فيها انحطاط دلالة الألفاظ.

فكل حادثة من حوادث التغيّر الدلالي يشملها أحد هذه المظاهر المذكورة، من التعميم والتخصيص والنقل. فهذا التقسيم المنطقي الثلاثي للتغير الدلالي أحسن وأنسب بهذا البحث من حيث الشمول والإحاطة. فأمّا قسمي الرقي والانحطاط فهما نوعان مهمّان من أنواع النقل، فلذا أفردت لهما مبحثيْن خاصّين بهما. ومن الجدير بالذكر في هذا المقام بأن كثيرا من اللغويين في العصر الحديث قدّموا تقسيما آخر للتغير الدلالي، يعتمدون فيه على القصد وعدمه في تغيير معنى الكلمة، لأن القصد والوعي في التغير الدلالي يلعب دورا أكبر منه في التطور الصوتي، بالرغم من أن بعضا من التغيرات الدلالية يحدث لا شعوريا وغير مقصود. فقسّموا التغيرات الدلالية إلى مقصود (Conscious) كالتغيرات التي يقوم بها المجامع اللغوية من التغيير عند الحاجة بوضع مصطلحات جديدة وإحياء ألفاظ قديمة لدلالات جديدة، وغير مقصود أو لا شعوري (Unconscious) كالتطور الذي يحدث بسبب شيوع الفهم الخاطئ لدلالة الألفاظ.[٦٦]

---

[٦٥] علم اللغة مقدمة للقارئ العربي . ص ٢٢٨

[٦٦] ولمزيد المعلومات عن التغير اللغوي المقصود وغير المقصود ينظر: Aitchison, J. (2004), p. 55

الفصل الثالث:

مراحل التغير الدلالي في تاريخ اللغة العربية

لا يمكن القول بأن التغير الدلالي وقعت بتحديد في المرحلة الفلانية أو القرن الفلاني، أو بعد انتقال اللغة من هذا العصر إلى ذلك، وذلك لأن ظاهرة التغير في دلالة الكلمات، كباقي التغيرات في الحياة، واقعة تدريجية والتي تسير غالبا ما ببطء وتدرج وتستغرق وقتا طويلا لا يستطيع الإنسان أن يحسّ به أو يلاحظه بين يوم وليلة. وبالرغم من ذلك أن تتبُّع التغيرات الدلالية في اللغة العربية ورصد هذه الظاهرة عبر التاريخ، يكلّف باحث اللسانيات التاريخية إلى تقسيم تاريخ اللغة العربية إلى أدوار ومراحل من حيث التطور والتغير في كلماتها ومفرداتها، حتى يتسنّى له الاستكشاف عن مزايا كل مرحلة من تلك المراحل، ودورها في جلب التغيرات اللغوية، والبحث في هل كان هناك عوامل مختصة بكل دور منها، والتي أدّت إلى التغير في دلالات المفردات اللغوية.

فإذا تطلعنا إلى تاريخ اللغة العربية عبر التاريخ وجدنا دراسة خاصة لهذه المراحل ذات أهمية عظيمة في تطور اللغة العربية. وقد وقعت بكل مرحلة من هذه المراحل بسبب مختصاتها اللغوية والسياسية والثقافية والدينية والعلمية تغيّرات جمّة في العربية، في دلالتها وفي قواعدها وأصولها. "فقد كان لانتقال العربية من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام، ومن النطاق العربي الضيق التي امتازت به مدنيّتهم في عصر بني أمية إلى الأفق العالمي الواسع الذي تحولوا إليه في عصر بني العباس، كان لهذين الانتقالين أجلّ أثر في نهضة لغتهم ورقي أساليبها واتساعها لمختلف فنون الأدب وشتى مسائل العلوم".[1] وكذلك الأمر بالنسبة إلى التحوّل التامّ في نظام العالم الذي شوهد في عصر تقنية المعلومات الراهن، والذي لا يمثّل فيه الحدود الوطنية منتهى الاتصال والاحتكاك فيما بين الناس من مختلف أنحاء الكرة الأرضية. فشهدت اللغة العربية للتغيّرات الهائلة والتطوّرات الضخمة، في جميع المجالات اللغوية، لاسيّما في المفردات ودلالاتها، حيث تولّدت فيه ألفاظ مستحدثة، كما انبعثت ألفاظ قديمة، كل ذلك تلبيةً لمتطلّبات العصر.

---

[1] علي عبد الواحد الوافي، اللغة والمجتمع. ص ١٣

والبحث عن مراحل اللغة العربية يتناول على العموم النظر في شأنها منذ نشوئها في فصيلة اللغات السامية مع ما مرّ عليها من الظروف المختلفة قبل زمن التاريخ، كتكوّن أفعالها وأسمائها، وحروفها، وتولّد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير إلى غير ذلك مما يمرّ عليها كل لغة إلى أن يكتمل إلى درجة النضج والكمال. ثمّ فيما طرأ عليها من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط العرب بالأمم الأخرى، من الفرس والأتراك وغيرها فاستعاروا من لغاتهم كلمات جديدة وتعبيرات مستحدثة، مع ما يرافق ذلك من تنوع معاني الألفاظ بتنوع الأحوال ومع حدوث صيغ وألفاظ جديدة.

وإنني في هذا الفصل عن مراحل اللغة العربية سأقتصر دراستي على تاريخ ألفاظها وتراكيبها بعد أن بلغت إلى حدّ يبلغ إليها علمنا عن اللغة العربية، وهي المرحلة العربية الفصيحة القديمة التي يتمثّلها أشعار الجاهلية من المعلقات وغيرها. ولا ندخل إلى ما سبقها من المرحلة المسمّاة بـ "المرحلة السامية".[٢] وذلك لأن صلب هذا البحث يدور حول التغير الدلالي في اللغة العربية، وهو أيضا بعد أن صارت لغة ناضجة متكاملة. أما المرحلة السامية فهي دور التكون الذي يبدأ بالزمن الذي انفصلت فيه هذه اللغة عن سائر اللغات السامية وأصبحت لغة خاصة بعد أن كانت عبارة عن لهجات كثيرة. فهذه الفترة التاريخية التي شهدت لعمليّة تكوين اللغة ومقوّماتها من الأسماء والأفعال والحروف وتوليد صيغها المختلفة، دراسة هذه الفترة تخرج عن نطاق هذا البحث. فهذا الفصل سيبيّن المراحلَ المتتابعة التي مرّت على اللغة العربية منذ اكتمال تكوّنها، وانفصالها عن أخواتها الكلدانية، والعبرانية، والفينيقية التي تشترك معها الجذور السامية، ومنذ ارتقائها حتى اكتسبت ما اكتسبت من الألفاظ، وصيغ التعبير، إلى هذا اليوم. وقد قسّمتُ تلك المراحل إلى ثلاثة؛ العربية الفصحى القديمة التي سادت في العصرين الجاهلي والإسلامي، والعربية المولّدة التي تمثّل العصر العباسي وما بعدها من عصور السلاطين والملوك غير العرب، والعربية الفصحى الحديثة التي ظهرت بعد النهضة العلمية في القرن الماضي.

[٢] رضوان منيسي عبد الله، آيات الفتح في القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة. ص ٢٦

مرحلة العربية الفصحى القديمة (Classical Arabic)

وهي المرحلة الأولى التي ينتهي إليها علمنا عن اللغة العربية وأدبها، "وهي المرحلة التي استقرت فيها العربية على خصائص ثابتة، واتخذها مجتمع الجزيرة العربية لغة له، إنها لغة قريش".[٣] وينقسم هذه المرحلة إلى قسمين: العصر الجاهلي والعصر الإسلامي. ولانتقال العرب من بداوة الجاهلية إلى حضارة الإسلام أثر عظيم على لغتهم.

العصر الجاهلي

إن العصر الجاهلي هو الحقبة الزمنية فيما قبل الإسلام. وبالتحديد هو الفترة الأولى بعد أن تكاملت للغة العربية خصائصُها، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي، وهي لا يتجاوز إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية. وقد حدّد الجاحظ هذه الفترة عندما يذكر عن تاريخ الشعر العربي، وهو يقول "فإذا استظهرنا الشعر، وجدنا له – إلى أن جاء الله بالإسلام – خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام".[٤] فهذا العصر، رغمَ تطاولها عند الإطلاق إلى آماد غير متناهية، تقتصر الدراسة عنها في هذا البحث على ما في القرنين قبل الإسلام.

وقد شهد هذا العصر للتطوّرات والتغيرات اللغوية الكثيرة، بالرغم من كون العربية في ذلك الوقت في حِجر أمّها، وأثّرت عوامل كثيرة في جلب هذه التغيرات، لاسيّما تأثير اللغات الأجنبية، مثل الفارسية واليونانية واللاتينية والحبشية وغيرها. وقد اقتبست العربية قبل الإسلام كثيرا من الألفاظ والاشتقاقات من هؤلاء اللغات. ولا عجب أن سرى إلى اللغة على ذلك العهد مزيج من لغات الأمم الأخرى، لأن جزيرة العرب كان مقصد كثير من الناس في مختلف أنحاء العالم، لمكانة مكة والكعبة فيها. "وزاد ذلك الاقتباس خاصة على أثر النهضة التي حدثت في القرنين الأول والثاني قبل الإسلام بنزول الحبشة والفرس في اليمن والحجاز على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن".[٥] وقد استولى الحبشة والفرس بعض مناطق الجزيرة

---

[٣] المرجع السابق. ص ٢٧

[٤] الحيوان. ص ٥٣/١

[٥] جرجي زيدان، العربية كائن حي. ص ١٨

العربية في هذين القرنين، حتى اختلطوا بأهلها واتصلوا بهم في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية، فتناقل اللغات وتبادلت فيما بينهم، وتكاثرت ألفاظ العربية ومشتقاتها، كل ذلك أدّى إلى التطور اللغوي، وخاصة فيما يتعلق بدلالات الألفاظ.

وبتتبع التاريخ اللغوي يمكن القول بأن كثيرا من الألفاظ الأعجمية قد دخلت العربية في هذا العصر الجاهلي، واغتنت بما دخل إليها من المفردات المستعملة عند شعوب كثيرة، ممن كانوا يقصدون مكة حاجين كالهند والفرس والنبط والحبشة والمصريين والإسرائيليين، وأكثر ما يكون ذلك في أسماء العقاقير الطبية، وما تنتج بطونُ الأرض من المعادن، وما يصنع في فارس والمملكة الرومانية والهند الشرقية من المصنوعات، ولم تكن للعرب معرفة به من قبل، أو في أسماء بعض المصطلحات الدينية أو الأدبية. [٦]

وقد أورد الثعالبي كثيرا من الكمات الفارسية التي دخلت إلى العربية، مثل الكوز والسّمّور والخزّ والياقوت والجُلّاب وغيرها.[٧] وكذلك نجد فيها ألفاظا كثيرة، ذوات أصول أجنبية، أخذتها العرب من اليونانية أو اللاتينية كالفردوس، والبطاقة والقنطار، أو من الحبشية كالمشكاة، والهرج. يقول جرجي زيدان عن أصل كلمة "المنبر" في العربية "وهو عند العرب "مكان مرتفع في الجامع أو الكنيسة يقف فيه الخطيب أو الواعظ" وقد شقّه صاحب القاموس من "نبر" أي ارتفع، وفي ذلك الاشتقاق تكلف. وعندنا أنه معرّب "ومبر" في الحبشية أي كرسي أو مجلس أو عرش".[٨] وكذلك الشأن في تأثير العبرانية والسنسكريتية وكل لغة اتصلت العرب مع أصحابها وخالطتهم في أثناء التجارة أو الزيارة.

إن تأثير هذه اللغات الأجنبية أفضى إلى موت كثير من الألفاظ التي كانت العرب تستخدمها من قبل، لأنهم استحالوا بها إلى ألفاظ دخيلة جديدة، وشاعت تلك الألفاظ في استعمالاتهم. وذلك كما استبدلوا "التامورة" بالإبريق، و"المقلى" بالطاجن، و"الحرض" بالأشنان، و"المثعب" بالميزاب، و"المشموم" بالمسك، و"السمسق" بالياسمين، وغيرها. وقد عقد السيوطي بهذا الصدد فصلا خاصّا سمّاه "فصل في المعرب الذي له اسم في لغة العرب" وأورد فيه كثيرا من الأمثلة.[٩]

---

[٦] ينظر: هل اللغة العربية حية، مقالة في مجلة المقتبس أصدرها محمد كرد علي . ج ٥٢، ص ٨

[٧] ينظر: الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية . ص ٢٠٨-٢٠٩

[٨] العربية كائن حي . ص ٢٠

[٩] المزهر في علوم اللغة وأنواعها . ص ٢٢٦/١

وقد لحق الكلمات العربية الأصلية في هذا العصر كثير من التغيرات والتنوّعات. وممّا يشير إلى ذلك ما حدث لكلمة "الشهر"، لأنها في الأصل تدلّ على الاستدارة، ويتضح لنا هذا المعنى إذا بحثنا عن هذه الكلمة في اللغات الأخوات للعربية من العبرانية والسريانية. ثمّ سمّت العربُ القمرَ بهذه الكلمة لاستدارته، ولكن قال ابن الأثير: الشهر: الهلال، سمّي به لشهرته وظهوره، ثمّ أطلقوا تلك الكلمة على الشهر المعروف لأنهم كانوا يوقّتون بالقمر، قال ابن سيده: الشهر: العدد المعروف من الأيام، سمي بذلك لأنه يشهر بالقمر، وفيه علامة ابتدائه وانتهائه.[١٠] وكذلك ما حدث في التركيب "بنى على أهله" من التغير الدلالي لسبب العادة التي كانت العرب عليها. قد مرّ الذكر عنها سالفا بالتفصيل.

العصر الإسلامي

نريد بالعصر الإسلامي في صدد هذا البحث المدّة الزمنية من البعثة النبوية إلى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م. وهو العصر الذي كتبت فيه العلوم الإسلامية، كالتفسير والحديث وسائر العلوم الشرعية. وهي العصر الذي تكونت فيه الدولة العبية وشرعت فيه الفتوحات الإسلامية. إن الإسلام، كما أثر في عادات العرب واعتقاداتهم وآدابهم وحضاراتهم، كذلك له نفوذ عميق في لغتهم. وممّا ريب فيه أن القرآن الكريم لعبت فيه دورا مهمّا، حيث يعدّ ابتداء للغة باهرة وأسلوب بياني معجز يأخذ بمجامع القلوب. وقد "تطوّر بالفصحى من "لغة وثنية" مادية، إلى لغة ذات دين سماوي، يحمل ما لا عهد للفصحى به من قيم".[١١] ومن بقايا هذا التأثير ما نجد في اللغة العربية من الألفاظ التي طرأ عليها في ذلك العصر، من الاصطلاحات الدينية، والفقهية، والعلمية، والفلسفية، والمفردات الإدارية، والسياسية. وقد توسّع ابن فارس في هذا الصدد، وأطال فيه الكلام، حتى عقد في كتابه "الصاحبي" فصلا خاصّا سمّاه "باب الأسباب الإسلامية"، يقول فيه:

"كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم. فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ

---

[١٠] ينظر: لسان العرب. ص ٤٣٢/٤، وتاج العروس. ص ٢٦٣/١٢، وجرجي زيدان، العربية كائن حي. ص ٢٨

[١١] شوقي ضيف، محاضرات معجمية (المحاضرة الثانية عن الفصحى المعاصرة). ص ٢٧

من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت... فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق. ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا...".[١٢]

هكذا نجد في اللغة العربية كثيرا من الألفاظ جاء بها الإسلام، أو غيّر دلالتها إلى معنى جديد أتي به. والمصطلحات الإسلامية أو الشرعية لم تعد تعتبر كلماتٍ خاصة بالإسلام أو علومها، بل شاع استعمالها في اللغة وانتشرت بين متكلّمي العربية، حتى أصبحت من ذخيرة ألفاظ اللغة المشتركة، وتمكّنت معانيها في أذهان الناس، بحيث لا تسرع إلى قلوبهم بسماع تلك المصطلحات إلا دلالتها الإسلامية، في بادئ الأمر. ومن أمثلتها كلمة "الفرج"، كانت تدلّ في الأصل على انفتاح، وبعد مجيء الإسلام، خصص عموم هذا المعنى بالمدلول الفقهي للكلمة، الذي يوضحه أن الصيام هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج، أي يطلق على القبل والدبر.[١٣]

وأكثر ما تعرض للتغير الدلالي في الألفاظ العربية في هذا العصر الإسلامي المصطلحات الدينية، والشرعية، والفقهية، واللغوية. وكانت ألفاظها موجودة، ومألوفة عند العرب من قبل، ولكنها بإزاء معان أخرى، فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني التي أحدثها الإسلام. فانتشار دين الإسلام أدّى إلى تطور لغوي فماتت ألفاظ، وحيت أخرى وتبدلت معاني بعض الألفاظ. وأمثلتها كثيرة، منها ألفاظ الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد والفسق والتوبة والكفارة والتيمم والتقوى والدنيا والآخرة والحلال والحرام، كل منها ظهرت بالمعاني الجديدة بتأثير الإسلام.[١٤] وكذلك أحدث الإسلام تغيّرا كبيرا في أساليب التعبير، ومن الأسلوب الذي أثّر فيها الإسلام قولهم: "أطال الله بقاءك".

وشهد هذا العصر انقلابا سياسيا استحالت فيه العرب من إدارة يتحكم فيها النظام القبلي القائم على وحدة الدم، إلى سياسة يعلو فيها السلطان الإلهي على كل شيء، قائمة على وحدة الأمة، أنشأوا دولتهم على أنقاض دولتي الروم، والفرس، فأخذو منهم ما أخذوا من أمور الدولة، وطبّقوها في الظروف

---

[١٢] ابن فارس، الصاحبي. ص ٤٤-٤٥

[١٣] ينظر: تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة. ص٢٤١

[١٤] ولمزيد البيان عن الألفاظ الإسلامية ينظر: جنان منصور كاظم الجبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النصّ القرآني (رسالة الدكتوراه، جامعة بغداد). ص ١١٣-١٢٢

الإسلامية على ما اقتضاه تمدّنهم، فدوَّنوا فيها الدواوين، ونظّموا الجند، وسنوا القوانين، كل ذلك عديم المثيل في الجاهلية. وبجانب هذا التحوّل الإداري، وقع هناك التطور اللغوي بخصوص كثير من الألفاظ المتعلقة بالإدارة. فاستُبدلت ألفاظ بأخرى، وخلعت دلالات جديدة للألفاظ القديمة. فانتشر في العربية ألفاظ مثل الخلافة، والوزارة، والإمارة، والنقابة، والكتابة، والحجابة، والشرطة، مكان ما استعملوه في الجاهلية من أسماء مناصب كبار الأمراء القرشيين كالسدانة، والسقاية، والرفادة، والقيادة، والمشورة، والعمارة، وغيرها.

كانت كلمة "الخليفة" تدلّ على من يخلف غيره ويقوم مقامه بدون تخصيص، ثمّ خصّصها الإسلام بمن يخلف النبي صلّى الله عليه وسلم، ومن هنا أخذت تؤدّي دلالة السلطان الأعظم.[١٥] و"الخراج" كان يدلّ على الغلة في الجاهلية، وبعد نشأة الدولة الإسلامية صار معناه "ما يؤخذ من أرض الصلح"، يقول الزمخشري: "وكم خراج أرضك، وخراج غلامك أي ما يخرج لك من غلتهما... ثم سمى ما يأخذه السلطان خراجاً باسم الخارج. ويقال: للجزية: الخراج فيقال: أدى خراج أرضه، وأدّى أهل الذمة خراج رؤوسهم".[١٦] رؤوسهم".[١٦] وكذلك "السكّة" كانت تدلّ على الحديد الذي يضرب عليه النقود، ثمّ سمّيت النقود بها.[١٧] وقس على ذلك سائر الكلمات مثل التوقيع، والوظيفة، والحكومة والحجابة، والدولة، وغيرها من الألفاظ الكثير.

وكما غيّر الإسلام في دلالات بعض الألفاظ للتعبير عن معان جديدة، فقد قضى على بعض آخر ممّا له دلالة علي نظم جاهلية، كالمرباع والصرورة والنوافج والنشيطة والفضول، والمكس، والإتاوة، والحلوان، وأنعم صباحًا وأنعم ظلامًا وقولهم للملك أبيت اللعن.[١٨] فمحى الإسلام هذه الألفاظ من

---

[١٥] ينظر: أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. ص ٤٢٧

[١٦] أساس البلاغة. ص ٢٣٧/١

[١٧] جرجي زيدان، العربية كائن حي. ص ٤١

[١٨] ابن فارس، الصاحبي. ص ٥٤، وانظر أيضا: السيوطي، المزهر. ص ٢٣٧/١، علي عبد الواحد الوافي، اللغة والمجتمع. ص ٢٣

العربية بإبادة العادات والتقاليد التي تتعلق بها.[١٩] وبعض من هذه الألفاظ قد أحيي من جديد فيما بعد، وبعض منها في غير معناها الجاهلي. وعلاوة على هذه التغيرات بمقدار كبير، قد اقتُبِس في هذا العصر مبلغٌ كبير من الألفاظ من اللغات الأجنبية، مثل "الديوان" من الفارسية، و"المنجنيق" من اليونانية، و"البلاط" (بمعنى قصر الملك) من اللاتينية.

مرحلة العربية المولّدة (Neo Classical Arabic)

وهي المرحلة التي تمّت فيها الفتوحات الإسلامية، وأرست في بلاد العرب دولة منيعة. والعربية المولّدة هي اللغة التي تنسب إلى هذا العصر الذي نعتبره بدأ بالعصر العباسي الذي استمرّ إلى سقوط بغداد في يد التتار سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وهي اللغة التي نشأت نتيجة لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم والشعوب، في جميع مناحي الحياة من الثقافة والحضارة، والعادة والعائلة، والعلوم والفنون. وبحسب ما يقتضي هذا البحث الذي يدور محورها على الدلالة العربية ـ ليس على آدابها ـ قد ضممتُ في هذه المرحلة، بالإضافة إلى العصر العباسي، الحقبة الزمنية الطويلة في أعقاب استيلاء التتار على بغداد إلى نزول الحملة الفرنسية بمصر سنة ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م. والذي يوحّد هذه الفترة الزمنية بالنسبة إلى اللغة العربية، رغم البعد الشاسع بين نقطتي البدء والنهاية فيها، هو تأثير غير العرب في البلاد العربية، واستيلائهم على مناصب الدولة الرفيعة في كثير من المناطق العربية، ومن ثمّ في لغتهم وآدابهم. فشهدت هذه المرحلة الطويلة سيلانا عظيما من اختراق العناصر الأجنبية إلى اللغة العربية إلى مقدار كبير، لمكانة العجم في شؤون العرب وقضاياهم.

---

[١٩] فالمرباع: ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية، والصرورة: هو الذي يحدث حدثا ويلجأ الى الحرم، أو الذي يدع النكاح تبتلا، والنوافج: وهي الإبل التي تساق في الصّداق، والنشيطة: هي ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة القوم أو ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل الوصول إلى الموضع الذي قصدوه، والفضول: وهو ما فضل من القسمة مما لا تصحّ قسمته على عدد الغزاة كالبعير والسكين ونحوهما، والمكس: الضريبة التي تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية، والإتاوة: إتاوة، وهو الخراج أو الرّشوة، والحلوان: الحلوان: أجرة الدلال والكاهن، ومهر المرأة، أو ما أعطي من نحو رشوة. ينظر: عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، موت الألفاظ العربية، مقالة في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ ص ٣٧٣-٣٧٨

العصر العباسي

إن التغير الذي لحق اللغة العربية في هذا العصر كان نطاقه واسعا جدا. أخذت اللغة فيها تتطوّر شيئا فشيئا. "وقد كان هذا نتيجة الفتوحات السريعة، فتوحات تشبه المعجزات فتحها المسلمون أتباع الرسول. فلم تبق العربية لغة العرب وحدهم، وإنما أصبحت لغة البلدان المفتوحة، وقد كان لمخالطة الشعوب المغلوبة التي بدأت تتكلم اللغة العربية وتلحن في كلامها، أثر في العرب أنفسهم. فقد أهملوا إعراب الكلام، واستعملوا الكلمات بمعان محرفة عن معانيها، واستعاروا من الشعوب المغلوبة، من أهل الشام، ومن الفرس، ومن الأقباط، والبربر، والأسبان والأتراك كثيرا من الألفاظ والعبارات".[٢٠]

وقد حملت اللغة العربية في أكتافه عبئًا ثقيلا في هذا العصر عندما نقلت إليها مختلف العلوم المعروفة في اللغات اليونانية والفارسية والهندية، فاستجابت في هذه الحالة الحرِجَة بوضع ألفاظ جديدة، وخلع دلالات بدعة للألفاظ القديمة، وكلّ ذلك على يد أصحاب العلوم المختصة، عن طريق الاشتقاق أو النحت أو الاصطلاح. فعبّروا بها عن المعاني الفلسفية والعلمية الجديدة التي لم تكن للعرب معرفة بها من قبل. والى هذه الناحية يشير الجاحظ بقوله:

" وهم (المتكلّمون) تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكلّ خلف، وقدوة لكل تابع، ولذلك قالوا العرض والجوهر... وكما وضع الخليل بن أحمد لأوزان القصيد وقصار الأرجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب، وتلك الأوزان بتلك الأسماء... وكما سمى النحويون، فذكروا الحال والظروف وما أشبه ذلك، لأنهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وأبناء البلديين علم العروض والنحو. وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم".[٢١]

فحركة الترجمة وطلوع العلوم الجديدة أدّى إلى إثراء خزانة اللغة بألفاظ كثيرة متنوّعة، وشاع استخدام كثير منها في هذه الأحقاب ليدلّ على شيء من حوائجها أو من مرافق الدول المتعاقبة في هذه

---

[٢٠] رينهارت بيتر آن دُوزِي، تكملة المعاجم العربية (مقدمته). ص ١/ ١٣

[٢١] البيان والتبيين. ص ١/١٣٢

المدّة الزمنية المذكورة التي امتدت إلى أكثر من عشرة قرون. وهو مثل المصطلحات الطبية والكيماوية، والفلسفية، والطبيعية، والرياضية، والفلكية، وما ألحق بذلك من مصطلحات علم المنطق، والكلام، والتصوف، ونحوها. وليست العلوم والفنون فحسب ممّا دعا إلى التغير اللغوي، بل للظروف السياسية والاجتماعية أيضا أثر فيه. وأمثلة هذا النوع كثير لا يسعه إلا المجلّدات. وينفرد الجاحظ، كبير أئمة الأدب العربي الذي عاش في هذه المرحلة (١٦٣ – ٢٥٥ هـ = ٧٨٠ – ٨٦٩ م) باستعمال كثير من الألفاظ الجديدة التي لم يقدم عليها أحد ممن سبقه ولا من عاصره. ومن هذا ما أورد في "البيان والتبيين" من كلمة "الجرار" ليدلّ على عود يعرض في فم الفصيل، أو يشق به لسانه، لئلا يرضع،[٢٢] ولا توجد هذه الدلالة بإزاء تلك الكلمة، لا في المعاجم العربية ولا في كتب الأدب سواه.[٢٣] ومنها ألفاظ "الآيين" بمعنى النظام المتبع، والبِياح ليدلّ على ضرب من السمك، وغيرها من الألفاظ الكثيرة.

ومن أمثلة الألفاظ المستعملة في هذا العصر في المعاني المحرفة عما عرف عليه من قبل، كلمة "الرسم" ليدلّ على ما يُدعى في عصرنا هذا بالبروتوكول. استخدمه القاضي التنوخي (٣٢٧ – ٣٨٤ هـ = ٩٣٩ – ٩٩٤ م) في كتابه "المستجاد من فعلات الأجواد".[٢٤] و"الزلاّل" بمعنى ضرب من السفن النهرية الصغيرة السريعة.[٢٥] و"الوظيفة" ليدلّ على القدر المخصص.[٢٦]

ولدينا كثير من الألفاظ العلمية لها دلالات خاصة بذلك العلم، لم تكن للعرب معرفة بها في الجاهلية من الألفاظ الطبية كالجراحة، والتشريح، والصيدلة، والمراهم، والمجففات، والألفاظ الرياضية والفلسفية والمنطقية. ولا يسع هذا المقام لإيراد كل منها.

---

[٢٢] الجاحظ، البيان والتبيين. ص ١/ ١٨٥

[٢٣] ينظر التذييل: إبراهيم السامرائي، التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية. ص ٧

[٢٤] ينظر: ص ٩/١

[٢٥] الشابشتي، الديارات. ص ١/ ٨

[٢٦] هلال الصابي، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء. ص ١٦، ولمزيد الأمثلة التي جدّ استعمالها في العصر العباسي ينظر: إبراهيم السامرائي، التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية.

عصر التدهور

وهو العصر الذي ولي استيلاء التتار في بغداد وانقضاء دولة العرب. وكان الملك إذ ذاك في العراق وفارس والشام ومصر وغيرها، قد تحوّل إلى السلاطين والأمراء من العجم، وكان فيهم الفرس، والترك، والأكراد، والجركس، والديلم. وقد شهدت اللغة العربية وآدابها في هذا العصر انحطاطا، وذلك لأن الأوضاع الاجتماعية والأحوال السياسية كانت ممتلئة بالاضطراب والفوضى، ما حوّل انتباه العرب ممّا ينبغي أن يصرف إليه. وكذلك كان الأدب مليئا بالسجع والتصنّع والتكلّف، ما أبعدها عن العوام.

وبالرغم من هذه الحقائق الواضحة حدث في اللغة في هذه الفترة، كغيرها، ألفاظ جديدة، أو تنوّعت الألفاظ القديمة للتعبير عن المستحدثات التي طرأت فيها. وأكثرها في الألفاظ الإدارية المتعلقة بالحكومة ونظامها. ومن أمثلة الألفاظ المولّدة في هذا العصر، كلمة "النائب" معنى القائم مقام السلطان، وكلمة "الساقي" بمعنى المتولي مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب، وكلمة "المشرف" بمعنى متولي أمر المطبخ. وإن كان كل من هذه الكلمات موجودة من قبل في العربية، لكن خصوص دلالتها على المعاني المذكورة من خواصّ هذا العصر. وكلمة "العامل" اكتسبت في دولة العجم دلالة غير دلالتها في الدولة العربية السابقة، لأنها في الدولة التركية يراد به منظم الحسابات.[٢٧]

ومن الألفاظ الدخيلة من اللغات الفارسية أو الكردية أو التركية كلمات "الاستادار" (الذي يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه ويمتثل أوامره فيه)، و"الطبردار" (الذي يحمل الطبر)، و"السراخور" (يتحدث عن علف الدواب)، وغيرها من الكلمات الكثيرة.

مرحلة العربية الفصحى الحديثة (Modern Standard Arabic)

تستهلّ هذه المرحلة من أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وبالتحديد من نزول الحملة الفرنسية في أرض مصر سنة ١٧٩٨م. وكانت هذه الحادثة نقطة تحوّل في تاريخ اللغة العربية المعاصرة، حيث إنها فتحت آفاق العالم بكل ما فيه من الآداب المختلفة والثقافات المتنوعة، أمام عتبة اللغة العربية. فأثرت

[٢٧] جرجي زيدان، العربية كائن حي . ص ٦٣

الحضارة الغربية الحديثة تأثيرا كبيرا في العالم العربي، عندما شرعت تنقل مفاهيمها العلمية والفكرية والثقافية، وما الحق بها من المنتجات الصناعية إلى مختلف أنحاء المعمورة. "وكان أداء العالم العربي في ذلك الوقت ضعيفا جدا، نتيجة عزلته عن العالم الخارجي وجمود فكري دام بضعة قرون".[٢٨] فأدّى هذا الاحتكاك إلى نهضة علمية حديثة في العالم العربي، وتابعها دخول أعداد كبيرة من المفاهيم العلمية والحضارية إلى اللغة العربية. وممّا لا شكّ فيه أنه "لم يمر على اللغة العربية عصر أثّر في ألفاظها وتراكيبها تأثير النهضة الأخيرة".[٢٩]

كانت مصر مركز هذه النهضة العلمية في المرحلة المعاصرة، كما كان بغداد بؤرة الآداب العربية في العصر العباسي. ويتميّز العصر الحديث بأن الألفاظ المتغيرة دلاليا، أو المصطلحات المستحدثة، أكثر ما يوجد منها في هذا العصر في أسماء المخترعات التقنية والاكتشافات العلمية، لأن التطورات العلمية السريعة في العصر الحديث أدّت إلى اختراع كثير من الأشياء المستحدثة المستعملة في حياة الإنسان اليومية، فاحتاج كل منها إلى أسماء يدعى بها. فلجأت العرب إلى ألفاظ عربية قديمة وخلعوا عليها هذه الدلالات الجديدة، أو اقتبسوا أسماءها من اللغات الأجنبية التي وردت فيها ذكرها لأوّل مرّة. وإلى جانب ذلك، اندثر من اللغة كثير من المصطلحات القديمة، وقامت مقامها اصطلاحات جديدة، حال الكائنات الحية الخاضعة لناموس الارتقاء. وشأن العرب المعاصرين في نقل العلوم المختلفة من الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات، مثل شأن أصحاب مرحلة العربية المولّدة في نقل علوم ذلك العصر من الفارسية واليونانية واللاتينية، وغيرها. "وكل ما حدث للفصحى من ألوان تطور في العصر العباسي أخذ يحدث لها ما يماثله منذ أوساط القرن الماضي. فقد أخذت تنشأ فيها مصطلحات علمية وألفاظ حضارية لا عداد لها ولا حصر... وأخذ الأدباء يسعون بألفاظها وتراكيبها نحو التبسيط والتيسير".[٣٠]

إن المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية لعبت دورا لا يكاد يُنسى في سد الهوة كبيرة التي ظهرت بين العالم العربي وبين أوروبا، بالنسبة للعلوم الجديدة، في بداية هذه المرحلة. فاجتمع كثير من اللغويين

---

[٢٨] الطاهر ميلة، اللغة العربية وألفاظ الحضارة الحديثة، مقالة في موقع المجلس العالمي للغة العربية

[٢٩] جرجي زيدان، العربية كائن حي - ص ٦٧

[٣٠] شوقي ضيف، محاضرات مجمعية. ص ٢٩، ٣٠

والأدباء، وعزموا على التغلب على هذه المشكلات، من قلة الكلمات الفصيحة للتعبير عن الحقائق الجديدة من جهة، ودخول المفاهيم الحضارية بألفاظها الأجنبية في الاستعمال اليومي من جهة أخرى. فقرّروا على توليد ألفاظ فصيحة، وإحياء المعاجم وإصلاحها. وكان من هذ الخلفية والظروف إنشاء المجامع المختلفة لينسق جهود العلماء واللغويين في هذا الصدد. ومن خدمات هذه المجامع إعداد كثير من المعاجم العلمية العصرية المتنوّعة، تشتمل على كثير من الألفاظ المستجدّة.

بدأت هذه النشاطات اللغوية في القرن التاسع عشر الميلادي، واستمرّت حتى إلى أيامنا الحالية. وتكثّفت منذ النصف الثاني من القرن العشرين، بعد حركة التوليد وإنشاء المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية الأخرى. حتى أصبحت اللغة العربية تساير مقتضيات العصر الحديث. نتيجةً لهذه المجهودات الجبارة، خطت العربية خطوات كبيرة في التكيف مع مستجدات العصر الحديث ومرافق حياته، مقارنة بوضعها قبل القرن التاسع عشر.

فتطوّرت اللغة في هذا العصر، واغتنمت بألفاظ جديدة، منها الدخيل ومنها المولّد، ومنها الألفاظ التجارية والألفاظ العلمية والألفاظ الإدارية. آتي ببعض منها مع دلالتها الجديدة فيما يلي، وما بين القوسين هو لغتها الأصلية: طابور(التركية): الكتيبة، وبندر (الفارسية): مرفأ، جنرال (الفرنسية): قائد، وقومسير(الفرنسية) مندوب، وبوسطة (الإيطالية): البريد، وفاتورة (الإيطالية): الكشف، وكوبون(الفرنسية): قسيمة. وهذه أمثلة قليلة جدّا من آلاف الألفاظ.

وكذلك تغيرت دلالات كثير من الألفاظ في هذا العصر، منها المصطلحات العلمية المتنوعة، والمصطلحات الصحفية، ومنها الألفاظ المعبرة عن أدوات الحضارة وشؤون الحياة العامّة. فبالجملة أن اللغة العربية تحيا في عصرنا الراهن حياة مزهرة ومتطورة، وتعيش مرحلة خصبة من جميع الوجوه. وأمثلة الكلمات التي تغيرت دلالتها في هذا العصر كثير جدا، يتعسّر حصرها. ومنها كلمة "الإمضاء"، وهي في أصل اللغة مصدر من قولهم أمضى الأمر إمضاء إذا أنفذه. ولكن تدور الكلمة في اللغة اليومية المتداولة بمعنى "توقيع الشخص باسمه على ورقة أو أوراق". والعلاقة بين المعنين القديم والجديد أن هذا التوقيع يُعنى به أنه سينفذ ما تحتويه من أمر أو اتفاق.[٣١]

---

[٣١] شوقي ضيف، تيسيرات لغوية. ص ١٦١

وكذلك الأمر في كلمة "الإجازة" التي يتداولها المعاصرون بمعنى العطلة، ولا توجد الكلمة بهذا المعنى في المعاجم القديمة. ولكن نجد فيها "أجاز له الأمر" إذا سوّغه له. ولعلّ المعاصرين أخذوا المعنى الجديد من هذا. لأن العطلة هو تسويغ أيام من العمل، وإعفاء الشخص فيه من مزاولة عمله اليومي.[٣٢] ومنها "التجميد" بمعنى منع حق التصرف فيه، فيقول المعاصرون: تجميد أموال الشركة، وتجميد الأرصدة. وهذا الاستعمال حدث من استعارة التجميد الحقيقي، الذي هو جعل الشيء صلبا، لتجميد الأموال في البنوك.[٣٣] وكذلك نجد في العربية آلاف الألوف من الأمثلة.

فكل عصر من العصور المذكورة، التي مرّت عليه اللغة العربية، شهدت قدرا عظيما من التغيرات الدلالية، ولكل منها تجارب مختلفة من حيث التغيرات الدلالية، "فإذا كان الإسلام ذا التأثير الأكبر في تطور دلالات ألفاظ اللغة العربية في عصورها الزهراء، ومن بعده حراك الترجمة، فإن المجامع اللغوية العربية اليوم بالتعريب بالمجاز لا يوازيها ولا يدانيها مؤّثر".[٣٤] فالعربية ما زالت تتطور، وألفاظها تتحوّر بتعاقب الأجيال وتتابع العصور، كان في كل حقبة أسباب خاصّة وعوامل مخصوصة التي أدت إلى التطوّر والإزهار اللغوي.

---

[٣٢] المرجع السابق. ص ١٦٢

[٣٣] المرجع السابق. ص ١٧١

[٣٤] عمار قلالة، التطور الدلالي في مقاييس اللغة لابن فارس. ص ٤٦

الباب الثالث:

النماذج التطبيقيّة على مختلف مظاهر التغيّر الدلالي

الفصل الأوّل: نماذج تعميم الدلالة

الفصل الثاني: نماذج تخصيص الدلالة

الفصل الثالث: نماذج نقل الدلالة

التوطئة

هذا الباب آتي فيه بطائفة من الألفاظ العربية التي تعرضت للتغير الدلالي في الأحقاب المتتابعة في تاريخ اللغة، وكُتبت لها سيرورة طويلة بتقادم العهد عليها وانتقالها من جيل إلى آخر. والذي استهدفتُ من هذا الباب هو عرض بعض من الأمثلة تكون نماذج لمختلف مظاهر التغير الدلالي التي مرّ ذكرها بالتفصيل في الباب الثاني من الأطروحة. ولا شكّ في أن هذا ليس عرضا كاملا لجميع الألفاظ العربية المتغيّرة دلاليا، لأنه عمل مستحيل أو يقرب إلى الاستحالة. وذلك لأن معظم الألفاظ قد تعرضت لتغير أو آخر في دلالتها خلال سيرها عبر الأزمنة والأمكنة منذ تكوّنها.

رتبت الألفاظ بحسب المظاهر للتغير الدلالي، من التعميم والتخصيص والنقل والرقي والانحطاط. وسأبيّن هناك دلالة كل من هذه الألفاظ تحليلا تكوينيّا مع الإشارة إلى التغيرات في دلالتها من خلال تناقلها عبر التاريخ. فهناك طائفة من الألفاظ قد انتقلت من معنى إلى آخر، كما توجد أيضا طائفة أخرى قد شهدت طفرات دلالية غير مرة واحدة، وتعرّضت للتغيرات العديدة منذ أن بدأ الناس يستعملها. سيأتي ذكر كل من هذه التغيرات في الكلمات المختارة في هذا الباب، بشكل نموذجيّ.

والقاعدة التي اتّبعتها في هذا الباب التطبيقي، أن أختارَ بعضا من الألفاظ العربية التي وقع التغيّر في دلالتها في أي عصر من العصور، فأبيّنَ دلالتها الأصلية مستندا إلى المعاجم العربية القديمة وكتب اللغة كلسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس، ثمّ أنظرَ إلى دلالتها المتغيّرة، معتمدا فيها على كتب اللغة الجديدة والمعاجم الحديثة كمعجم الوسيط ومعجم اللغة العربية المعاصرة، والمورد، والمنجد، وموقع المعاني على الإنترنت، وغيرها. وأوليْتُ اهتماما بالغا ليشتمل الباب نماذج مختلفة لكل مظهر من مظاهر التغير الدلالي. وأمّا المنهج التي انتهجتها في بيان المعنى هو منهج التحليل التكويني (componential analysis)، الذي ينظر إلى معنى الكلمة على أنه مؤلّفٌ من ملامح ومكوّنات دلالية صغرى. فكل تغيّر في الدلالة هو تغير ملمح من هذه الملامح. وهذا المنهج أوفق ببيان المعنى في حالة تعميم الدلالة وتخصيصها من غيرهما.

والمعيار الذي اتبعته في اختيار الكلمة ضمن هذا الباب هو أن تكون الكلمة قد تطوّرت دلالتها الأصلية إلى دلالة أخرى، وتغيّرت مجالها تغيّرا أوسع أو أخصّ أو غيرهما، وأن يكون هذا التغيّر قد استقرّ وشاع في ألسنة الناس وأقلامهم في عصر من العصور، وأن يكون الاستعمال مندرجا في العربية الفصحى.

الفصل الأول:

نماذج تعميم الدلالة

إن تعميم الدلالة أن يكون لدينا لفظ يدلّ في أصل وضعها اللغوي على معنى معين خاصّ به، ثمّ تتسع دلالته. وأتيتُ في هذا الفصل ببعض نماذج هذا المظهر للتغيّر الدلالي، وحاولت أن حلّل معانيها القديمة والحديثة.

- **الوِرْد:**

كانت دلالتها في الوضع الأول إتيان الماء وحده، ثمّ عمّمت دلالتها إلى إتيان كل شيء. يقول ابن دريد: والوِرد: إتيان الماء، تم صار إتيان كل شيء وردا، وكثر حتى سمّوا المحموم موروداً لأن الحمى تأتيه في أوقات الورد.[1] وهذا الانتقال نحو التعميم إنما هو لكثرة استخدام هذا الخاص في معنى عام عن طريق التوسّع، فأزيل مع تقادم العهد خصوص معناه واكتسبت الكلمة العمومَ.[2]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الإتيان + إلى الماء خاصةً

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الإتيان

المكوّن الساقط : الماء

المكوّن المستبقى : الإتيان

- **القافلة:**

أصل هذه الكلمة عند العرب الرفقة الراجعة من السفر، ثم اتسعت دلالتها حتى استعملت في جماعة المسافرين ذاهبة كانت أو راجعة. كما يقول ابن قتيبة: ومن ذلك "القافلة" يذهب الناس إلى أنها الرفقة في السفر، ذاهبة كانت أو راجعة، وليس كذلك، إنما القافلة الراجعة من السفر، يقال: قفلت فهي قافلة، وقفل الجند من مبعثهم، أي: رجعوا، ولا يقال لمن خرج إلى مكة من العراق قافلة

---

[1] جمهرة اللغة، ج ٣ ص ١٢٥٦

[2] علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة ـ ص ٣٢٠

حتى يصدروا.[٣] وقد اتسعت دلالة الكلمة بمرور الزمن، وإن عزا ابن قتيبة وغيره عادة الناس في هذا التعميم إلى الخطأ. ويشير ما اشتملت كلمة "قَفَلَ" من دلالة الرجوع، واشتقاق "القافلة" منها إلى أن أصل دلالتها كانت الجماعة الراجعة لا غير.

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الجماعة + في السفر + الراجعة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الجماعة + في السفر

المكوّن الساقط : الرجوع

المكوّن المستبقى : الجماعة المسافرة

- **خَلفَ:**

أصل "خَلَفَ" في قولهم "خلف الله عليك" أنه يقال لمن هلك له شيء لا يُعتاض منه كالأب أو العمّ أو الأمّ، لكن دلالته تشابهت بدلالة كلمة "أخلف" والتي تستعمل فيما يرجى اعتياضه كالمال والولد. ولشدة المناسبة بين هاتين الكلمتين استعملت كلمة "خلف" في كل ما يعتاض منه وما لا يعتاض منه. يقول الحريري: وكذلك لا يفرقون بين قولهم: خلف الله عليك واخلف الله عليك، والفرق بينهما أن لفظة خلف الله عليك، تقال لمن هلك له من لا يستعيضه، ويكون المعنى: كان الله لك خليفة منه، ولفظة أخلف الله عليك تستعمل فيما يرجى اعتياضه، ويؤمل استخلافه.[٤]

الاستعمال قبل التعميم : لمن هلك له + شيء لا يعتاض منه

الاستعمال بعد التعميم : لمن هلك له + شيء يعتاض منه أو لا يعتاض منه

سبب التعميم : لمشابهة دلالته الأصلية بدلالة "أخلف" في "أخلف الله عليك" فاكتسبت دلالة تلك الكلمة أيضا

---

[٣] أدب الكاتب، ص٢٤، وابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس. ٧٠/٢

[٤] الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص. ص ٢٣٨ وما بعدها

- **اللبن:**

يقول ابن قتيبة: تقول "هو أخوه بلبان أمه" ولا يقال بلبن أمه، إنما اللبن الذي يشرب من ناقة أو شاة أو غيرهما من البهائم.[٥] فنفهم منها أن كلمة اللبن في الأصل كانت خاصة بلبن الناقة والشاة وكل حلوبة، ثم اتسع مدلوله حتى شملت لبن الأم ولبن البهائم.

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الحليب + من البهائم خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الحليب مطلقا

المكوّن الساقط : خصوص البهائم

المكوّن المستبقى : الحليب

- **النُّجْعَة:**

أصل هذا اللفظ وهو طلب الغيث ثم كَثُرَ استعماله في معنى عام، فصار كلُّ طلب انتجاعا.[٦]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الطلب + للغيث

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الطلب مطلقا

المكوّن الساقط : للغيث

المكوّن المستبقى : الطلب

- **المنيحة:**

أصلها أن يعطي الرجلُ الرجلَ الناقة أو الشاة فيشرب لبنها ويجتز وبرها وصوفها، ثم كثر ذلك فصار كل عطية منيحة.[٧] وفي شرح الأنباري للمفضليات: أصل المنيحة الناقة التي يمنحها الرجل صاحبَه ليحتلبها، ثمّ يردّها، ثمّ كثر حتى قيل للهبة منيحة. فالمنيحة كانت تدل في الأصل على الناقة التي تمنح للحلب ثم تستردّ، ثمّ بعد ذلك عمّمت وأطلقت على كل عطية يهبها إنسان لآخر.[٨]

---

[٥] أدب الكاتب ـ ص٤٠٧

[٦] السيوطي، المزهر ـ ص ٣٣٣/١

[٧] ابن دريد، جمهرة اللغة ـ ص ١٢٥٥/٣، وانظر أيضا المزهر، السيوطي ـ ص ٣٣٣/١

[٨] حسن جبل، في علم الدلة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات ـ ص ٢٣٦

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الناقة + تُمنح للبن + ثمّ تسترد

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : العطية أي شيء كان

المكوّن الساقط : الناقة + الاسترداد

المكوّن المستبقى : المنح

- **الدفْنُ:**

استعملت كلمة "الدفن" في بداية الأمر للميت فقط ثم عمّمت دلالتها واستعملت في السرّ وكل ما يكتم غالبا، حتى قيل دَفَن سرَّه إذا كتَمَه.[٩]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الكتم + جسم الميت

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الكتم

المكوّن الساقط : جسم الميت

المكوّن المستبقى : الكتم

- **البأس:**

وهو في الأصل الحرب ثم كَثُر استعماله في كل شدّة حتى قيل: لا بأسَ عليك أي لا خوف عليك،[١٠] حتى عمّت دلالتها. وأساس هذا التعميم أن الحرب موضع مهمّ من مواضع الشدة، لاسيّما عند العرب الذين لا تخلو أيّامهم من الحروب الدامية.

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الشدّة + في الحرب خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الشدة مطلقا

المكوّن الساقط : خصوص الحرب

المكوّن المستبقى : الشدّة

---

[٩] أنظر السيوطي، المزهر. ص ٣٣٤/١

[١٠] السيوطي، المزهر ـ ص ٣٣٥/١

- **الرائد:**

الدلالة الأولى للكلمة هو طالب الكلأ، وهو الأصل، ثم صار كلُّ طالب حاجة رائدا.[١١] فعمّمت دلالة "الرائد" من طالب الكلأ إلى الطالب مطلقا سواء كان كلأ أو غيره من أي حاجة.

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الطالب + للكلأ خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الطالب مطلقا

المكوّن الساقط : للكلأ

المكوّن المستبقى : الطالب

- **النَّيرَب:**

دلالتها الأصلية هو النميمة ثمّ عمّمت حتى أصبحت تدل على الشرّ مطلقا. يقول السيوطي: النيرب أصله النميمة ثم صار كالداهية.[١٢]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الشرّ + النميمة خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الشرّ

المكوّن الساقط : النميمة

المكوّن المستبقى : الشرّ

- **الدردق:**

يدلّ الدردق على الصغار من كل شيء، ولكن في الأصل كانت الكلمة تدلّ على الصغار من الغنم فقط، وبكثرة الاستعمال عمّمت الكلمة. وفي لسان العرب: الدردق الصغير من كل شيء، وأصله الصغار من الغنم.[١٣]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الصغير + من الغنم خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الصغير

---

[١١] السيوطي، المزهر. ص ٣٣٥/١

[١٢] المزهر. ص ٣٣٦/١

[١٣] لسان العرب . ص ٩٦/١٠

المكوّن الساقط : الغنم

المكوّن المستبقى : الصغير

- **الخارب:**

قال القالي في أماليه: الخَارِب: سارق الإبل خاصة ثم يستعار فيقال: لكل من سرَق بعيرا كان أو غيره.[١٤] فعمّمت دلالة الكلمة من سرق الأبل خاصة إلى عموم السرق.

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : السارق + للإبل خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : السارق

المكوّن الساقط : الإبل

المكوّن المستبقى : السارق

- **السمسار:**

وهو في الأصل كما في تاج العروس، المتوسط بين البائع والمشتري[١٥]. ثمّ عمّمت دلالته حتى أصبحت تدل على كلّ شخص يعمل وسيطا بين شخصين آخرين كالمحبّين. يقول الزبيدي: ومن المجاز السمسار بمعنى السفير بين المحبين لتوسطه بينهما.[١٦]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : المتوسط + بين البائع والمشتري

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : المتوسّط

المكوّن الساقط : بين البائع والمشتري

المكوّن المستبقى : المتوسّط

- **السفير:**

---

[١٤] الأمالي. ص ١٥٦/٢

[١٥] تاج العروس. ص ٨٦/١٢

[١٦] تاج العروس. ص ٨٧/١٢،

وهو في الأصل الرسول والمصلح بين القوم.[١٧] وفي حديث عليّ أنه قال لعثمان: إن الناس قد استسفروني بينك وبينهم أي جعلوني سفيرا، وهو الرسول المصلح بين القوم. ويقال: سفرت بين القوم إذا سعيت بينهم في الإصلاح.[١٨] وصارت الكلمة اليوم تعني: الممثل السياسي لدولة في عاصمة دولة أخرى.[١٩]

الدلالة الأصلية:	الرسول المصلح
الدلالة بعد التعميم:	الممثل السياسي

- **الوَرْد:**

تطلق الكلمة على كل زهر مع أن أصل دلالتها هو الإطلاق على الزهر الخاص المعروف (rose). فحدث هناك تعميم في الدلالة.[٢٠]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم	: الزهر + لنبات خاص
مكوّناته الدلالية بعد التعميم	: الزهر
المكوّن الساقط	: خصوص النبات
المكوّن المستبقى	: الزهر

- **عقرَ:**

أصل العقر هو ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم، ومنه الحديث "لا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة"... قيل: كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه: أي قطعوا إحدى قوائمه ثم نحروه.[٢١] وفي تهذيب اللغة: والعقر لا يكون إلا في القوائم. عقره، إذا قطع قائمة من قوائمه.[٢٢] واتسع هذا اللفظ حتى استُعمل في القتل والعضّ والذبح. حتى يقال عقَر الحيوانَ: ذبَحه، وعقَره الكلبُ: عضَّه[٢٣]

---

[١٧] تهذيب اللغة. ص ٢٧٨/١٢

[١٨] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر. ص ٢/ ٣٧٢

[١٩] د. حسناء عبد العزيز القنيعير، مقالة التطور الدلالي للألفاظ، جريدة الرياض

[٢٠] أنظر رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي. ص ٦٤

[٢١] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر. ص ٣/ ٢٧١، ٢٧٢

[٢٢] الأزهري. ص ١/ ١٤٥

[٢٣] معجم اللغة العربية المعاصرة. ص ٢/ ١٥٢٨

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الضرب + في قائمة البعير

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الضرب (القتل والذبح)

المكوّن الساقط : في قائمة البعير

المكوّن المستبقى : الضرب

- **الشعب:**

وهذه الكلمة كانت لها دلالة ضيقة عند العرب في الأيام الجاهلية وما تلاها من العصور، ولكن مدلولها واسع جدا في العصر الراهن، لأن الشعب في الجاهلية جماعة أكبر من القبيلة، ثم دونها القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العشيرة، ثم الذرية، ثم العترة، ثم الأسرة.[٢٤] وهي الآن تدل على الجماهير الكبير من الناس، كما يقال الشعب المصري والشعب الهندي. فوسعت دلالتها وكثر عدد ما شملت الكلمة من الأفراد.[٢٥]

الدلالة الأصلية : جماعة أكبر من القبيلة

الدلالة بعد التعميم : الجماهير

- **الراكب:**

إن العرب استعمل كلمة "الراكب" مع البعير خاصَّة، كما استعملوا كلمة "فارس" خاصة مع الفرس، ولكن تستخدم كلمة "راكب" الآن مع البعير والفرس وغيره، فيقال: راكب الفرس، وراكب القطار، وراكب السيارة وغير ذلك، وهذا عن طريق توسيع المعنى.[٢٦]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : من امتطى (ركب) + البعير

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : من امتطى

المكوّن الساقط : البعير

المكوّن المستبقى : راكب

---

[٢٤] الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية. ص ١٥٦

[٢٥] أنظر تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة. ص ٢٤١

[٢٦] معجم الصواب اللغوي. ص ٣٩٠

- **النهش:**

والنهش في الأصل الأخذ باليد أو بالأضراس، وهذا أجود الأقوال في معناها. والنهس الأخذ بالفم أي التناول بأطراف الأسنان. والعامة جعلت الكل نهشا،[٢٧] حتى شاعت كلمة "النهش" في اللغة للأكل سواء كان باليد أو بالفم.

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الأكل + باليد

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الأكل + باليد أو الفم

المكوّن الساقط : خصوص كون الأكل باليد

المكوّن المستبقى : الأكل

- **الحواريّ:**

الحواريّون في الأصل هم أنصار عيسى عليه السلام، والآن اتسعت دلالة الكلمة حتى تستعمل عن كل ناصر. قال ابن فارس ويقال لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون ... هذا هو الأصل ثم قيل لكل ناصر حواري.[٢٨] ويقول القاسم بن سلام بهذا الصدد: فلما كان عيسى عليه السلام نصره هؤلاء الحواريون فكانوا شيعته وأنصاره دون الناس فقيل: "فعل به الحواريون كذا / ونصره الحواريون بكذا، جرى هذا على ألسنة الناس حتى صار مثلا لكل ناصر فقيل: حواري إذا كان مبالغا في نصرته تشبيها بأولئك، هذا كما بلغنا والله أعلم وهذا كما قلت لك: إنهم يحولون اسم الشيء إلى غيره إذا كان من شبيه".[٢٩]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الناصر + لعيسى عليه السلام

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الناصر

المكوّن الساقط : خصوص عيسى عليه السلام

المكوّن المستبقى : الناصر

---

[٢٧] ابن مكي الصقلي، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان. ص ٢٦٦، عبد القادر سلامي، علم الدلالة في المعجم العربي. ص ٦٦

[٢٨] مقاييس اللغة. ص ١١٦/٢، مادة حور

[٢٩] غريب الحديث للقاسم بن سلام. ص ٢/ ١٦

- **القَرَب:**

أصل القرب طلب الماء خاصة، ثم كثر استعمالها حتى استخدمت في كل طلب. "القرب طلب الماء، ثم قالوا: فلان يقرب حاجته، أي يطلبها".[٣٠]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الطب + الماء خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الطلب

المكوّن الساقط : الماء

المكوّن المستبقى : الطلب

- **أوْجَرَ:**

الوجور: ما يصبّ من الأدوية في الفم،[٣١] فأصل معنى كلمة "أوجر" صبّ الدواء في الفم، ثمّ عمّمت الكلمة، حتى قالوا: أوجرَه الرمْح، إذا طعنه فِي فيهِ. [٣٢]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : إدخال + في الفم + الدواء

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : إدخال + في الفم

المكوّن الساقط : الدواء

المكوّن المستبقى : إدخال في الفم

- **غَرْغَرَ:**

[٣٠] ابن دريد، جمهرة اللغة. ص ٣/ ١٢٥٦، أنظر أيضا هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. ص ٦٢٤

[٣١] أبو إبراهيم الفارابي، معجم ديوان الأدب. ص ٣/ ٢٣٥

[٣٢] جمهرة. ص ٣/ ١٢٥٦

يقول ابن دريد: الغرغرة: أَن يُغَرْغر الإنسان الماء في حلقه ولا يسيغه، ثمَّ كثر ذلك فقَالوا: غرغرَه بالسكين، إذا ذبحه.[٣٣] وكذلك يقال غرغره بالسنان إذا طعنه في حلقه. فتحولت دلالتها من مجال إلى مجال أوسع.

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : عدم إساغة الماء + في الحلق

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الضرب + في الحلق

المكوّن الساقط : عدم إساغة الماء

المكوّن المستبقى : في الحلق

- **بَسَقَ**

يقال بسق النَّبت: إذا ارتفع وتمّ، وكل شيء تم طوله فقد بسق، ومنه بسَقت النخلة وكثر ذلك حتى قالوا: بسَق فلان في قومه إذا علاهم كرَماً[٣٤]. فشملت الكلمة الطول المعنوي بعدما كانت تدل على الطول الحسي. فعمّمت الدلالة وتضمّنت الحسية والتجريدية.

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الطول والعلو + الحسي خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الطول والعلو + الحسي والمجرّد

المكوّن الساقط : الحسيّ خاصة

المكوّن المستبقى : العلوّ

- **اللوح:**

إن كلمة "اللوح" تدلّ في الحقيقة على العظم، يقال رجل عظيم الألواح، إذا كان كبير عظم اليدين والرجلين. وكل عظم يسمّى لوحا. ومنها قول الجعدي:

ولَوْحَيْ ذراعين في بركة إلى جُؤجؤ رهِل المنكب

ولوحي ذراعين يعني عظمي ذراعين

---

[٣٣] جمهرة. ص ٣/ ١٢٥٦

[٣٤] المزهر. ص ١/ ٣٣٦

ومن هنا سمّيت المادّة التي يكتب فيها لوحا، لأنهم كانوا يكتبون في العظام، كعظم الكتف وغير ذلك، فكل عظم كتبوا فيها سمّوه لوحا. وهذا في بداية الأمر. ثمّ قيل لكل ما يكتب فيه من الخشب لوحا، لأنه نحت على تلك الهيئة. فأصل دلالة كلمة "اللوح" كانت على نوع معين من المواد التي يكتب عليها، ثمّ عمّمت على سائر الوسائل الأخرى.[٣٥] علاوة على هذا التوسع في الدلالة نرى في طرف آخر انتقالا دلاليا من الكتابة إلى بناء السفن وأشكال الأخشاب، وإنّما سمّيت ألواح السفينة ألواحا، لأنها نحتت على هيئة الألواح التي يكتب فيها.[٣٦] ومنها قوله تعالى: {وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ} (سورة القمر:١٣).

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : المادة التي يكتب فيها + من العظم خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : المادة التي يكتب فيها مطلقا

المكوّن الساقط : من العظم خاصة

المكوّن المستبقى : المادة التي يكتب فيها

- **الغاب:**

أن لفظ الغاب كان يدلّ على القصب خاصة، ثمّ عمّم بعد ذلك وأطلق على كل ملتفّ. يقول الأنباري في شرح المفضليات لشعر متمّم بن نويرة: أصل الغاب القصب، ثم قيل لكل ملتفّ: غاب.[٣٧] "وأساس ذلك التعميم أن القصب ينبت ملتفا، أي مجتمعا متكافئا، ولذا جاء في اللسان أن الغابة "أجمة القصب". والأجمة هي "الشجر الكثير الملتفّ".[٣٨]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : القصب + الملتفّ

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : كل ملتفّ (ممّا هو شبيه بالقصب)

المكوّن الساقط : القصب

المكوّن المستبقى : الالتفاف

---

[٣٥] أبو حاتم الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية . ص ٣٢٨،٣٢٧

[٣٦] فايز الداية، علم الدلالة العربي . ص ٢٨١

[٣٧] شرح الأنباري للمفضليات . ص ٦٨

[٣٨] حسن جبل، في علم الدلة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات . ص ٢٣٢

- **التعريس:**

وقد شهدت هذه الكلمة انتقالات غير واحدة نحو التعميم، ففي أوّل الأمر كانت تدلّ على النزول في آخر الليل. يقول ابن فارس: التعريس نزول القوم في سفر من آخر الليل، يقعون وقعة ثم يرتحلون.[٣٩] ثمّ بعد ذلك عممت دلالتها وأصبحت تدلّ على النزول في أول الليل بالإضافة إلى دلالتها على النزول في آخر الليل. والى هذا يشير ما جاء في اللسان: والمعرس: الذي يسير نهاره ويعرس أي ينزل أول الليل.[٤٠] ثمّ تحوّلت إلى دلالة أوسع منهما، حتى صارت تدل على النزول مطلقا، وفي أي وقت.[٤١] وهذه الدلالة العامة نرى في كتاب "التوقيف على مهمات التعاريف"، حيث نجد فيه التعريس: نزول المسافر ليستريح ثم يرتحل أي وقت كان من ليل أو نهار.[٤٢]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : النزول + في آخر الليل خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : النزول مطلقا

المكوّن الساقط : خصوص الوقت

المكوّن المستبقى : النزول

- **الذنوب:**

كانت كلمة "الذنوب" تدلّ في الأصل على الدلو، ومنها قول ثعلبة بن عمرو:

خلا أنهم كلما أوردوا يضيح قعبا عليه ذنوب

ثم عممت بكثرة الاستعمال وأطلقت على "النصيب"، وهو من قول الله تعالى: {فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ} (سورة الذاريات: ٥٩) يعني نصيبا. وأساس هذا التعميم أن العرب كانت تستعمل الأذنبة في تقسيم مياه الآبار وغيرها حين تجتمع عليها وتتنافس فيها، أي

---

(٣٩) معجم مقاييس اللغة. ص ٤/ ٢٦٣،٢٦٤

(٤٠) لسان العرب. ص ٦/ ١٣٦

(٤١) حسن جبل، في علم الدلة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات. ص ٢٣٤، ٢٣٥

(٤٢) زين الدين المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف. ص ١٠١

أن الذنوب (الدلو) كان يمثّل حظا أو نصيبا من الماء لآخذه، ثمّ كثر استعمال العرب له في معنى الحظ والنصيب.[٤٣]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الدلو + ينصب (يقسم) به الماء

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : النصيب

المكوّن الساقط : الدلو

المكوّن المستبقى : التنصيب

- **الأسير:**

إن أصل دلالة "الأسير" هو المقيّد بالإسار، حيث إن الأسير مشتق من الإسار، فسمّوا الأسير من كان بالإسار محبوسا. والإسار هو الحبل والقد الذي يشد به الأسير.[٤٤] ثمّ عمّم بعد ذلك حتى أطلق على كل أخيذ وإن يكن مقيّدا. يقول ابن فارس: (أسر) الهمزة والسين والراء أصل واحد، وقياس مطرد، وهو الحبس، وهو الإمساك. من ذلك الأسير، وكانوا يشدونه بالقد وهو الإسار، فسمي كل أخيذ وإن لم يؤسر أسيرا.[٤٥] وأساس هذا أن الكلمة إنما بدأت تنحو منحى العموم بعد اتخاذ العرب المسلمين السجون. فبعد ذلك ظلّ لفظ الأسير يدلّ على كل أخيذ بقيد أو بسجن أو غيرهما.[٤٦]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الأخيذ + المقيّد بالإسار

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الأخيذ مطلقا

المكوّن الساقط : القيد الإسار

المكوّن المستبقى : الأخذ

---

[٤٣] حسن جبل، في علم الدلة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات. ص ٢٣٧، ٢٣٨

[٤٤] ابن الأثير، النهاية. ص ١/ ٤٨

[٤٥] معجم مقاييس اللغة. ص ١/ ١٠٧

[٤٦] عمار قلالة، التطور الدلالي في مقاييس اللغة: ص ٧٧

- **الثُكْلُ:**

أصل الثكل الدلالة على فقدان الأم ولدها. وفي الصحاح: الثُكْلُ: فقدان المرأة ولدها.[٤٧] ثمّ اتسعت دلالتها وأصبحت تدلّ على فقدان أي إنسان من يحبّ.[٤٨]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : فقدن + الأم + ولدها

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : فقدان + الإنسان + حبيبا

المكوّن الساقط : خصوص الأم ولدها

المكوّن المستبقى : فقدان إنسان حبيبه

- **أبدًا:**

والأصل فيه استعماله لنفي المستقبل فقط، كما ذكر النحاة أن "أبدا" ظرف منكّر لتأكيد المستقبل وتأتي في سياق النفي كما في قوله تعالى: {إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا} (المائدة:٢٤)، كما تأتي في سياق الإيجاب كما في قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} (النساء/٥٧)، وإن كان الكثير في النفي. أما الماضي المنتهى زمنه فتأتي معه "قط".[٤٩] ولكن في محدث الكلام عمّمت دلالته حتّى يستعمل في نفي المستقبل والحال والماضي. فيقال مثلا "لم تنجح أبدًا محاولات العلماء". فقد أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة استخدام "أبدًا" مع الماضي استنادًا إلى قول المتنبي:

لم يخلق الرحمن مثل محمد أبدًا وظني أنه لا يخلق[٥٠]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : توكيد النفي + في المستقبل خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : توكيد النفي

المكوّن الساقط : خصوص المستقبل

المكوّن المستبقى : توكيد النفي

---

[٤٧] الصحاح. ص ٤/ ١٦٤٧

[٤٨] عمار قلالة، التطور الدلالي في مقاييس اللغة: ص ٨٠

[٤٩] أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ٥

[٥٠] أحمد مختار عمر، أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتّاب والإذاعيين. ص ١٦٨

- **الجِلْبَاب:**

إن "الجلباب" ثوب واسع تشتمل به المرأة، كما في قوله تعالى: {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ} (الأحزاب: ٥٩)، وكان خاصا بالمرأة. لكن عمّمت دلالتها في محدث الكلام، حتى استعملت في كل ثوب واسع الذي يستر من فوق إلى أسفل، وهو يمثّل ثوب الرجل كالجبة وثوب المرأة كالملحفة. وبإزالة خصوص نسبة المرأة اكتسبت الكلمة اليوم دلالة أوسع.[٥١] وتجد كلا هذين المعنين في معجم اللغة العربية المعاصرة.[٥٢]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : ثوب واسع + تشتمل به المرأة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : ثوب واسع

المكوّن الساقط : خصوص المرأة

المكوّن المستبقى : ثوب واسع

- **الرجيلة:**

الرجيلة في الأصل كانت تدلّ على القوي على السير خاصة، ثمّ عمّمت وأطلقت على ذي القوّة مطلقا، سواء كان في السير أو غيره. وقد جاء في شرح الأنباري للمفضليات في بيان هذه الكلمة في قول ثعلبة بن صعير: "الرجيلة" القوية على المشي خاصة، ثمّ قيل لكل قوي رجيل.[٥٣]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : القوي + على السير خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : القوي مطلقا

المكوّن الساقط : على السير خاصة

المكوّن المستبقى : القوّة

---

[٥١] الدكتور محمد داود، كلمات القرآن عبر الزمن، تمّ استردادها من موقع: www.mohameddawood.com

[٥٢] معجم اللغة العربية المعاصرة. ١/ ٣٨٢

[٥٣] حسن جبل، في علم الدلة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات. ص ٢٣٣، ٢٣٤

- **العجوز:**

لا تطلق كلمة "العجوز" في أصل دلالتها إلا على المرأة الهرمة المسنّة، وقال الليث: العجوز: المرأة الشيخة[٥٤] وفي العصر الراهن يستعمل في المرأة المسنّة والرجل المسنّ أيضا، فاتّسع دلالتها فشمل الكبير في السنّ سواء كان رجلا أو امرأة، وفي التاج العجوز: الشيخ الهرم ... والشيخة الهرمة.[٥٥]

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : كبير السنّ + المرأة خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : كبير السنّ

المكوّن الساقط : خصوص المرأة

المكوّن المستبقى : كبر السنّ

- **راح:**

ومن هذه المادة في العربية كلمة "رواح" يعني العشي، فكانوا يقولون "راح فلان" أي جاء أو ذهب في العشي، أي أن أصل المعنى راجع إلى العشي بغير تقييد بالذهاب أو المجيء مثل قولهم: أصبح وأمسى. ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب في العشي، ثم صارت للدلالة على مطلق الذهاب. حدث كل هذا التنوع بلا قصد ولا تواطؤ.[٥٦] فتحوّلت كلمة "راح" من الذهاب في العشي إلى دلالة أوسع من مطلق الذهاب.

مكوّناته الدلالية قبل التعميم : الذهاب + في العشي خاصة

مكوّناته الدلالية بعد التعميم : الذهاب مطلقا

المكوّن الساقط : خصوص الوقت

المكوّن المستبقى : الذهاب

---

[٥٤] تهذيب اللغة. ص ١/ ٢٢٠

[٥٥] معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ٣٩٦

[٥٦] جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي. ص ٢٨

الفصل الثاني:

نماذج تخصيص الدلالة

يناقش هذا الفصل عن تخصيص الدلالة بعرض النماذج على مختلف أنواعه. يحدث هذا النوع من مظاهر التغير الدلالي في جميع اللغات عندما "يتخصّص ألفاظ كان يستعمل كل منها للدلالة على طبقة عامة من الأشياء، فيدل كل منها على حالة أو حالات خاصة، وهكذا يضيق مجال "الأفراد" الذي كانت تصدق عليه أولا".[1] وقد مرّ تفصيل الذكر عنها في الباب الثاني. فهذا فصل تطبيقي يُعرض فيه النماذج المختلفة لمظهر تخصيص الدلالة، ويُحلّل معانيها مع بيان المكوّنات الدلالية التي تتركّب دلالة الألفاظ منها، فيما قبل التخصيص وفيما بعده، مع المكوّن المغلّب منها عندما يحدث التخصيص.

- **الجُرْسة:**

يتداول المعاصرون كلمة "جرّسه" بمعنى فضحه، واشتقوا منها "الجرسة" اسما للفضيحة. لا يوجد هذا المعنى في المعاجم القديمة، لكن في القاموس المحيط: "التجريس بالقوم التسميع بهم"[2]، كأن المعاصرين انتقلوا بالفعل "جرّس" والاسم "الجُرْسة" من المعنى العام، الذي هو التشهير بالشخص مطلقا، إلى المعنى الخاص الذي هو التسميع والتشهير بفضيحة تنعت الشخص بعيب يخلّ بمروءته. وذلك بطريق المجاز المرسل في استخدام العام في الخاص.[3]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : التشهير بالشخص مطلقا

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : التشهير بالشخص + بالفضيحة خاصةً

المكوّن المغلّب : بالفضيحة

---

[1] محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي . ص ٢٣٠

[2] القاموس المحيط . ص ٥٣٥

[3] شوقي ضيف، تيسيرات لغوية . ص ١٧٠

- **الحج:**

تفيد هذه الكلمة في أصلها الدلالةَ على قصدك الشيء وتجريدك له، ثم خُصّت بقصد بيت الله الحرام، حتى أصبح مدلولها الحقيقي مقصورا على هذه الشعيرة الإسلامية.[٤]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : القصد

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : القصد + للكعبة خاصة

المكوّن المغلّب : الكعبة

- **المدام:**

وهذا اللفظ يدلّ في الأصل على كلّ ما سكن ودام. ثمّ شاع استعمالها في الخمر لدوامها في الدَّنّ، أو لأجل غليانها فيها حتى تسكن، حتى أصبحت دلالته مقصورة على الخمر، بحيث لا تنصرف إلا إليها.[٥] وقال أبو جعفر النحاس في شرح المعلقات: قيل إنما سميت الخمر مدامة لدَوَامها في الدن وقيل لأنه يغلى عليها حتى تسكن لأنه يقال دام: سكن وثبت.[٦]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : كل ما دام وسكن

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : ما دام وسكن + من الخمر خاصة

المكوّن المغلّب : الخمر

- **السَّبْت:**

هذا لفظ يدلّ في الأصل على "الدَّهْر ثم خُصَّ في استعمال اللغة بأحدِ أيام الأُسبوع: وهو فردٌ من أفراد الدهر".[٧]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الدهر مطلقا

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : يوم من أيام الأسبوع

---

[٤] محمد سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث . ص ٤٣١

[٥] علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة ـ ص ٣٢٠

[٦] السيوطي، المزهر ـ ص ٣٣٦/١

[٧] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ ص ٣٣٢/١

المكوّن المغلّب : فرد من أفراد الدهر

- **الصلاة:**

معنى كلمة الصلاة الأصلي هو الدعاء، وقد جاء على هذا المعنى قوله تعالى: {وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} (سورة التوبة:١٠٣). ثم شاع استعمالها في الإسلام للعبادة المعروفة ذات الركوع والسجود، لأنها أحد مظاهر الدعاء. فخصّ معنى الصلاة بعدما ما كان عاما يدل على جميع الأدعية، حتى أصبحت بحيث لا يسرع إلى الذهن عن إطلاقها إلا معناها الخاص.[٨]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الدعاء

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الدعاء + عن طريق عبادة مخصوصة

المكوّن المغلّب : العبادة المخصوصة

- **الإضراب:**

وهو مصدر أضرب، وفي العرف الكفّ عن عمل ما،[٩] وهو دلالتها الأصلية، ولكن له دلالة خاصة في العصر الحديث وهو امتناع العمال عن الاستمرار في العمل احتجاجا.[١٠]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الكفّ + عن العمل

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الكفّ + عن العمل + عن طريق الاحتجاج

المكوّن المغلّب : الاحتجاج

- **المأتم:**

قد تطورت دلالتها من العموم نحو الخصوص. وفي لسان العرب: المأتم في الأصل: مجتمع الرجال والنساء في الغم والفرح، ثم خص به اجتماع النساء للموت، وقيل: هو الشواب منهن لا غير.[١١] وقد لاحظ الأصمعي في شرح الأنباري للمفضليات أن لفظ "المأتم" كان يستعمل في الأصل للدلالة على

---

[٨] علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة ـ ص ٣١٩ وما بعدها

[٩] المعجم الوسيط ـ ص ١/ ٥٣٧

[١٠] محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء ـ ص ١/ ٧٢

[١١] لسان العرب لابن منظور، مادة "أتم" ج ١٢، ص٣

اجتماع الرجال والنساء مطلقا: في المسار أو الأحزان والمصائب. ثمّ غلب الاستعمال اللغوي استخدامه عند الموت.[١٢]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الاجتماع + في المسار أو الأحزان

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الاجتماع + في الأحزان

المكوّن المغلّب : في الأحزان

- **الركض:**

وفي معجم الوسيط: ركض ركضا وركضة عدا مسرعا يقال أتيته ركضا وضرب برجله والطائر أسرع والنجوم والكواكب سارت والخيل ضربت الأرض بحوافرها وشيئا رفسه والدابةَ ضرب جنبيها برجله أو برجليه ليحثها على السير وركض الأرض برجله ضربها في أثناء مشيه.[١٣] فاستعمل هذا اللفظ مع الإنسان والطائر والنجم والكوكب والخيل والدابة. لكن استعملتها العوام فيما بعد مع الخيل والدواب فقط.[١٤] حتى شاع في اللغة اقتصارها مع الدواب.

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : السير والسرعة

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : السير والسرعة + في الدواب خاصة

المكوّن المغلّب : في الدواب خاصة

- **الطرب:**

يقول ابن قتيبة في باب سماه "معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه": ومن ذلك: "الطرب" يذهب الناس إلى أنه في الفرح دون الجزع، وليس كذلك، إنما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور، أو لشدة الجزع.[١٥] وإن عَدّ ابن قتيبة تغيير هذه الكلمة نحو التخصيص من الخطأ أو لحن العامة على عادة بعض العلماء اللغويين العرب القدامى، نستنتج من هذا على أن دلالة هذه الكلمة قد مالت

---

[١٢] عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات. ص ٢٣٩

[١٣] المعجم الوسيط، ص ٣٦٩

[١٤] مجدي إبراهيم. بحوث ودراسات في علم الدلالة الصرف والمعاجم والدلالة، ص ٢٠٢

[١٥] أدب الكاتب، ص ٢٢ وما بعدها

نحو التخصيص بعدما كانت أعمّ، كما كان رأي بعض العلماء يدعُم هذا. يقول الأزهري: قال الليث: الطرب: الشوق. والطرب: ذهاب الحزن وحلول الفرح.[١٦]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : خفة تصيب الإنسان + عند الفرح أو الجزع

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : خفة تصيب الإنسان + عند الفرح

المكوّن المغلّب : عند الفرح

- **الوعد:**

قال ابن السكيت: يقال: وعدته خيرا ووعدته شرا، بإسقاط الألف، فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير: وعدته، وفي الشر: أوعدته.[١٧] ومنه قول القطامى:

ألا عللاني كل حي معلل ولا تعداني الشر والخير مقبل

ففي الأصل كانت الكلمة تستعمل في الخير والشر، وخصصت فيما بعد واستعملت في الخير فقط.

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : أخبر + الخير والشر

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : أخبر + الخير

المكوّن المغلّب : الخير

- **الحرامي:**

يكثر إطلاقه على اللصّ.[١٨] وقد استخدمت كلمة "حرام" في ألف ليلة بمعنى: سرقة أو اختلاس، والنسبة إليها "حراميّ". وأصل كلمة "حرامي" هو فاعل الحرام أو الشيء المحرَّم، وهو في الحقيقة مأخوذ من الحرام، فالحرامي من يفعله سواء كان سرقة أو غيرها من الأمور المحرّمات، ثم تخصّصت دلالتها وشاع إطلاقها على اللص.[١٩]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : من يفعل المحرّم

---

[١٦] تهذيب اللغة، مادة "طرب" ج ١٣، ص٢٢٧

[١٧] اصلاح المنطق، ص ١٦٦

[١٨] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ـ ص ٤٨٢

[١٩] أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي ـ ج ١، ص ٣١٦

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : من يفعل المحرّم + اللصّ خاصة

المكوّن المغلّب : اللصّ

- **الرثُّ:**

وهذا اللفظ يطلق في الأصل على كل خسيس، ولكن شاع استعمالها في الخسيس مما يلبس أو يفرش، حتى قصر دلالتها على الخسيس من اللباس والفراش. وهذا ما يقول ابن دريد: "ورث كل شيء: خسيسه. وأكثر ما يستعمل فيما يلبس أو يفترش".[٢٠] وكثرة الاستعمال هذه هو الذي قصرت دلالتها على اللباس والفراش.

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الخسيس مطلقا

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الخسيس + من اللباس والفراش

المكوّن المغلّب : اللباس والفراش

- **الولد:**

يطلق في الأصل على الأبناء والبنات على حدّ سواء، أي يعمّ الكلمة الذكر والأنثى من الأولاد. ولكنها أصبحت تدنو من الذكور شيئا فشيئا، وذلك بسبب القاعدة النحوية في العربية، لأن كلمة "الولد" يُذكّر في الجمل، مثلا تقول: ولد عاقل. فتذكير كلمة الولد في مثل هذه الجمل قد جعل معنى الكلمة يرتبط بالمذكّر. حتى يستعملها كثير من الناس في الأولاد الذكور فقط.

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الابن والبنت

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الابن

المكوّن المغلّب : الذكور

[٢٠] جمهرة اللغة ـ ص ٨٢/١، أنظر أيضا المزهر، ص ٣٣٢/١

- **السِّبْت:**

إن أصل دلالة كلمة "السبت" هي الجلد المدبوغ بأي وسيلة كان، ثمّ بعد ذلك ضاقت الدلالة وأصبحت تدل على الجلد المدبوغ بالقرظ[٢١] فقط. وفي الغريب المصنف: قال أبو عمر: والسِّبْت كلُّ جلد مدبوغ وقال الأصمعي: هو المدبوغ بالقَرظ خاصة.[٢٢]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الجلد المدبوغ + بأي وسيلة كان

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الجلد المدبوغ + بالقرظ خاصة

المكوّن المغلّب : كونه بالقرظ

- **الرَّضْراض:**

تفيد الرضراض في أصل دلالتها على الحَصَى مطلقا، ثمّ خصصت دلالتها بعد ذلك على الحصى الذي يجرى عليه الماء. وفي المزهر الرضراض الحصى، وأكثر ما يُستعمل في الحصى الذي يَجْرِي عليه الماء.[٢٣] وكثرة استعمال هذه الكلمة العامة في فرد خاصّ، قصرت معناها على ذلك الخاصّ.

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الحصى في أي مكان كان

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الحصى + الذي يجري عليه الماء

المكوّن المغلّب : موضع جري الماء

- **التنزه:**

يقول ابن السكيت: "ومما تضعه العامة في غير موضعه قولهم: خرجنا نتنزه، إذا خرجوا إلى البساتين، وإنما التنزه التباعد عن المياه والأرياف، ومنه قيل فلان يتنزه عن الأقذار، أي يتباعد منها، ومنه قول الهذلي:

أقب طريد بنزه الفلا ... ة لا يرد الماء إلا ائتيابا

---

[٢١] قال شمر: السلمة: شجرة ذات شوك يدبغ بورقها وقشرها، ويسمى ورقها القرظ، لها زهرة صفراء فيها حبة خضراء طيبة الريح تؤكل في الشتاء، وهي في الصيف تخضر: تهذيب اللغة ١٢/ ٣١١

[٢٢] السيوطي، المزهر. ص ١/ ٣٣٢

[٢٣] السيوطي، المزهر . ص ١/ ٣٣٢

"بنزه الفلاة" يعني ما تباعد من الفلاة عن المياه والأرياف".[٢٤]

وإن رأى ابن السكيت أن دلالة الفعل "تنزّه" تتصل بالتباعد عن المياه والأرياف، وليس الخروج إلى البساتين، لكنا نجد في معجم اللغة العربية المعاصرة: "تنزَّه الشَّخصُ: مُطاوع نزَّهَ: خرج للنُّزْهة والتَّرويح عن النَّفس، قام بنزهة "تنزّه مع أولاده/ أصدقائه – خرج إلى البساتين ليتنزَّه. والمتنزه: حديقة، بستان".[٢٥] ويؤيّده قول ابن قتيبة معارضا لابن السكيت، أحد معاصريه "وليس هذا عندي خطأ؛ لأن البساتين في كل مصر وفي كل بلد إنما تكون خارج المصر، فإذا أراد الرجل أن يأتيها فقد أراد أن يتنزه، أي: يتباعد عن المنازل والبيوت، ثم كثر هذا واستعمل حتى صارت النزهة القعود في الخضر والجنان".[٢٦]

ويستنتج ممّا سبق عن أصحاب المعاجم واللغويين فإن الكلمة "تنزّه" قد انتقلت من دلالتها الأصلية التي هو التباعد عن المياه والأرياف إلى دلالة جديدة ضيقة متشابهة للمعنى الأصلي هو الخروج إلى البساتين والحدائق، لأن "التباعد" مشتركة بين الدلالتين.

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : التباعد + عن المياه والأرياف

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : التباعد + عن المياه والأرياف+ إلى البساتين خاصة

المكوّن المغلّب : إلى البساتين

- **الزِّف:**

يقول السيوطي: الزفّ رِيشٌ صغير كالزَّغَب (وهو صغار ريش الطير) وقال بعض أهل اللغة: لا يكون الزِّف إلا للنعام.[٢٧] فعليها قد خصّصت دلالة الكلمة من الريش الصغير مطلقا، إلى ريش صغير للنعامة.

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الريش + الصغير + لأي طير كان

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الريش + الصغير + للنعام

---

[٢٤] إصلاح المنطق ص ٢٠٦

[٢٥] معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، نشر سنة ٢٠٠٨ م، مادة " نزه " ج ٣، ص ٢١٩٧

[٢٦] أدب الكاتب، ص ٣٩/١

[٢٧] المزهر . ص ١/ ٣٣٣

المكوّن المغلّب : النعامة

- **الصوم:**

وكلمة الصوم كانت تعني الإمساك عن الكلام يقال للصَّمْت صوم؛ لأنه إمساك عن الكلام، قال أبو بكر: معناه في اللغة: قد أمسك عن الطعام والشراب؛ وكل من أمسك عن الطعام والشراب أو عن الكلام عند العرب صائم. من ذلك قوله عز وجل: {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا} (مريم: ٢٦)، فمعناه: صمتاً. يقال: خيل صيام: إذا كانت قائمة بغير اعتلاف ولا حركة. قال الشاعر:

خيلٌ صِيامٌ وخيل غيرُ صائمةٍ تحتَ العجاجِ وخيلٌ تعلُكُ اللُّجُما[٢٨]

ثم بعد ذلك، وبالأحرى بعد ظهور الإسلام تخصصت الكلمة وصارت تعني شعيرة الصوم؛ وهي الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات لساعات معلومة في شهر معلوم. ومثل ذلك كثير من الألفاظ التي استجدت عند مجيء الإسلام.[٢٩]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الإمساك + عن الكلام والطعام والشراب

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الإمساك + عن المفطرات في شعيرة الإسلام

المكوّن المغلّب : مفطرات شعيرة الإسلام

- **شاغرة:**

يقال بلدة شاغرة، وشغرت الأرض والبلد أي خلت من الناس ولم يبق بها أحد يحميها ويضبطها. يقال: بلدة شاغرة برِجلها إذا لم تمتنع من غارة أحد، وأصبحت اليوم خاصة بالوظائف التي لا يشغلها أحد، فنقول: وظيفة شاغرة.[٣٠]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الخالية + من الأرض والبلد وغيرهما

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الخالية + خاصة بالوظائف

المكوّن المغلّب : الوظيفة

---

[٢٨] الزاهر في معاني كلمات الناس. ص ١/ ٤٦

[٢٩] د. حسناء عبد العزيز القنيعير، مقالة التطور الدلالي للألفاظ، جريدة الرياض تم استردادها من http://www.alriyadh.com/787064

[٣٠] د. حسناء عبد العزيز القنيعير، مقالة التطور الدلالي للألفاظ، جريدة الرياض

- **الجالية:**

يقال: استُعمِل فلان على الجالية والجالّة وهم أهل الذمة، وإنما لزمهم هذا الاسم لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجلى بعض اليهود من المدينة، وأمر بإجلاء من بقي منهم بجزيرة العرب فأجلاهم عمر بن الخطاب فسُمّوا جالية، ولزمهم هذا الاسم أين حلوا، ثم لزم كل من لزمته الجزية من أهل الكتاب بكل بلد، وإن لم يجلوا عن أوطانهم.[٣١] فالجالية تفيد الدلالة على من لزم عليه الجزية من أهل أهل الكتاب في أي بلد. وقد تخصصت الدلالة اليوم، فصارت الجالية تعني الجماعة من الناس التي تنتمي لجنسية أو بلد معين، وتقيم في غير بلادها، كما نقول الجالية الهندية، أو اليمنية، وغيرهما.[٣٢]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : أهل الذمّة + سواء كانوا في داخل أوطانهم أو خارجها

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الناس + في خارج بلدهم

المكوّن المغلّب : في خارج البلد

- **الفرْج:**

كان أصل دلالة الكلمة هو الانفتاح، ثمّ خصّت بعد الإسلام بانفتاح عورة الرجل والمرأة، ويطلق على القُبل والدُبر أو العضو التناسليّ الخارجيّ لهما، كما في قوله تعالى: {وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ} (الأحزاب: ٣٥).[٣٣] "لقد كان كلمة "فرج" فيما قبل الإسلام تدل على انفتاح، يقول لبيد:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه ... مولى المخالفة خلفُها وأمامُها

ثم جاء الإسلام، فخصص عموم هذا المعنى بالمدلول الفقهي للكلمة، الذي يوضحه أن الصيام هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج".[٣٤]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : انفتاح

---

[٣١] تهذيب اللغة ـ ص ١٠/ ٢٦٢، ١٢٧/١١

[٣٢] د. حسناء عبد العزيز القنيعير، مقالة التطور الدلالي للألفاظ، جريدة الرياض

[٣٣] معجم اللغة العربية المعاصرة ـ ص ٣/ ١٦٨٤

[٣٤] تمام حسّان، مناهج البحث في اللغة ـ ص ٢٤١

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : انفتاح + القبل والدبر خاصة

المكوّن المغلّب : القبل والدبر

- **المؤمن:**

كانت حقيقته اللغوية المصدّق مطلقا. وفي كتاب العين: الإيمان: التّصديق نفسه، وقوله تعالى: {وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا} (سورة يوسف: ١٧)، أي بمُصَدِّق.[٣٥] أما حقيقته الشرعية فهي المصدّق بالله وملائكته وبلقائه ورسله وبالبعث.[٣٦] واشتهرت هذه الكلمة في هذه الدلالة الشرعية حتى تسرع إلى الذهن عند سماعها. فاختصّت الكلمة بالمصدّق بالله وإلخ.

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : المصدّق مطلقا

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : المصدّق + بالله الخ

المكوّن المغلّب : الله وإلخ.

- **الحريم:**

يستعمل هذا اللفظ في محدث الكلام بوصف المرأة. كما يقال: "حريم الرجل: نساؤه ... His wives or Harem".[٣٧] وفي الاستعمال القديم "الحريم: الذي حرم مسه فلا يُدنى منه. وكانت العرب إذا حجّوا ألقوا ما عليهم من ثيابهم فلم يلبسوها في الحرم، ويُسمّى الثوبُ إذا حرم لبسُه الحريم".[٣٨]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الحمى المحرّم

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الحمى المحرّم + النساء خاصة

المكوّن المغلّب : النساء

---

[٣٥] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة أمن ـ ص ٣٨٩/٨

[٣٦] عمار قلالة، التطور الدلالي في مقاييس اللغة لابن فارس ـ ص ٤٣-٤٤

[٣٧] محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء ـ ص ١٧٩

[٣٨] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ـ ج٢، ص ٤٦

- **الإسكاف:**

خص دلالة هذه الكلمة على الخرّاز مع أن أصل دلالتها في لغة العرب الإفادة على كل صانع. يقول ابن مكي الصقلي: ولا يقولون إسكاف إلّا للخرّاز خاصة. وكل صانع عند العرب: إسكاف وأسكوف. قال الشاعر:

وشُعبتَنا ميْسٍ براها إسكاف

أي نجّار، والميس: شجر يعمل منه الرحال[٣٩]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : كل صانع مطلقا

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : صانع + الخرّاز خاصة

المكوّن المغلّب : الخرّاز

- **الساعي:**

هذه الكلمة مأخوذة من "سعى" معناه الأصلي عمل. "والسعي: العمل، قال الله تعالى: {فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} (الإسراء: ١٩)".[٤٠] فأصل دلالة كلمة الساعي هو العامل مطلقا، لكن خصّت دلالتها في الدولة الإسلامية بعامل الصدقات. "الساعي عامل الصدقات وهم السعاة واصل السعي العمل وخص عامل الصدقات بهذا الاسم".[٤١]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : العامل مطلقا

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : العامل + بالصدقات

المكوّن المغلّب : بالصدقات

---

[٣٩] تثقيف اللسان وتلقيح الجنان . ص ١٧٣

[٤٠] ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن . ص ٢٧٥

[٤١] محمّد الأزهري، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي . ص ٩٨

- **الزكاة:**

حقيقة الزكاة الزيادة والنماء، ثم صارت تدل على ذلك الركن الأساس في الإسلام، من الجزء من المال الذي يجب إخراجه على سبيل الصدقة بما جاءت به الشريعة من مقداره ووقته.[٤٢] فاختصّ اللفظ من عموم الإفادة على الزيادة، إلى الدلالة على ركن من أركان الإسلام الذي يوجب إعطاء قدر معين من المال للمستحقين.[٤٣] يقول ابن فارس: وكذلك الزكاة، لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وزاد الشرع ما زاده فيها.[٤٤]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : النماء

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : النماء + للأموال + عن طريق شعيرة في الإسلام

المكوّن المغلّب : شعيرة الإسلام

- **الموسم:**

كان يدل على في أصله على اجتماع الناس في أوقات موسومة، أي مُعْلَمة محدّدة، وذلك كالحجّ والأسواق وغيرها ممّا له وقت معلم. ثم غلّبه الاستعمال اللغوي على اجتماع الناس في الحج خاصة.[٤٥]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الاجتماع + في الأوقات المعْلمة مطلقا

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الاجتماع + في الحجّ خاصة

المكوّن المغلّب : في الحجّ

- **المُبَشِّر:**

المبشّر من بشّر، والمبشّر هو الذي يبشّر (يخبر) القوم بأمر خير أو شرّ.[٤٦] وهذه هي دلالته الأصلية. وفي العصر الراهن قد ضاقت دلالتها، وأصبحت تدلّ في محدث الكلام على المنصّر (missionary). فغلب فيها ملمح البشارة بدين النصرانية.

---

[٤٢] أنظر ابن سيده، المخصص. ٤/ ٥٨

[٤٣] عبد القادر سلالي. علم الدلالة في المعجم العربي. ص ٧٣

[٤٤] الصاحبي. ص ٤٦

[٤٥] عبد الكريم حسن جبل، في علم الدلة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات. ص ٢٤١

[٤٦] لسان العرب. ص٦٢/٤

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الذي يبشّر

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الذي يبشّر (يخبر) + بدين المسيحية

المكوّن المغلّب : بدين المسيحية

- **الجارية:**

أن أصل "الجارية" وصف عام يتناول كل ما يصحّ منه فعل الجري، ولكنها شاعت في بعض أفرادها كالشابة والسفينة والشمس، لكثرة استعمالها فيها، حتى غلبت على اسمها، وصارت تقوم مقامه وتغني غناءه، وذلك باقتراب ملمح الذات وابتعاد ملمح الصفة فيها.[٤٧] ثمّ بعد ذلك نحى نحو الخصوص مرّة أخرى، حتىّ خصصت دلالتها في محدث الكلام على الأمة والخادمة. فالكلمة تحوّلت من كونها صفة عامّة لكل ما يجري إلى الدلالة على الفتاة[٤٨] مطلقا والشمس والنجم والسفينة، ثمّ إلى الأمة والخادمة وهو في الاستعمال العصري.

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : ما يجري

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص الأول : ما يجري + من الماء والسفينة والشمس والشابة

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص الثاني : ما يجري + من الأمة والخادمة

المكوّن المغلّب : الأمة والخادمة

- **الدَّابَّة:**

معناها الأصلي هو كل ما يمشي على الأرض، وفى محدث الكلام خُصِّصَت دلالتُه في: ما يُركب من الحيوان. "الدابّة في اللغة: كل ما يدبّ على الأرض من الحيوان كله فهو دابة، وقد غلب على ما يركب من الحيوان (للمذكر والمؤنث)"[٤٩]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : كل حيوان يدبّ على الأرض

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : كل حيوان + يركب عليها

---

[٤٧] عمار قلالة، التطور الدلالي في مقاييس اللغة لابن فارس. ص ٨٨

[٤٨] وسميت الفتاة جارية لأنها تستجرى في الخدمة. وبيانه أن أهلها يأمرونها بالمسارعة في خدمتهم، والمسارعة من دواعي الجري.

[٤٩] عبد اللطيف عاشور، موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي. ص ١٨١

المكوّن المغلّب : ما يركب

- **المَرْصَدُ:**

المرصد في الأصل مكان الرَّصْدِ والمراقبة عمومًا، ومنه قوله تعالى: {وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} (التوبة: ٥). وفى محدث الكلام خُصِّصَت دلالتُه واستعملت في المكان الذي تُجْرَى فيه الأرصاد الجويَّة والفلكية فقط، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: المرصد مبنى تعين فيه حركات الكواكب وأحوال الطقس وتسجل فيه الزلازل.[٥٠]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : مكان الرصد مطلقا

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : مكان الرصد + في الأمور الجوية والفلكية خاصة

المكوّن المغلّب : أرصاد الجوية والفلكية

- **اقترف:**

أصل الاقتراف أن يكون للسيئات والحسنات، والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا} (الشورى:٢٣). كما أوردت المعاجم "اقترف" بمعنى: اكتسب. وفى محدث الكلام خصّصت دلالته في اكتساب السيئات فقط. وقد أورد المعاجم العصرية "اقترف" بمعنى أذنب وأثم.[٥١]

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : فعل + السيئات والحسنات

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : فعل + السيئات خاصة

المكوّن المغلّب : السيئات

- **القينة:**

تدلّ الكلمة في الأصل على الأمة عامة، مغنية كانت أو غير مغنية، ثمّ بعد ذلك خصصت واستعملت للدلالة على الأمة المغنية خاصة.[٥٢]

---

[٥٠] معجم اللغة العربية المعاصرة. ص ٢/ ٨٩٩

[٥١] آن دوزي، تكملة المعاجم العربية. ص ٨/ ٢٤٠

[٥٢] جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي. ٥٥

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : الأمة مطلقا

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : الأمة + المغنية

المكوّن المغلّب : المغنية

- **الكُمّ:**

يفيد في الأصل الدلالة على كلّ ما يُغطِّى ويغلِّف، ويشمل الثمارَ المغطَّاة، والسّعَف، واللِّيف، وكم القميص والثوب. "وقال شمر: الكمة: كل ظرف غطيت به شيئا وألبسته إياه فصار له كالغلاف. ومن ذلك أكمام الزرع: غلفها التي تخرج منها. وقال الزجاج في قوله: {والنخل ذات الأكمام} (الرحمن: ١١) قال: عنى بالأكمام ما غطى. وكل شجرة تخرج ما هو مكمم فهي ذات أكمام. وأكمام النخلة: ما غطى جمارها من السعف والليف والجذع. وكل ما أخرجته النخلة فالطلعة كمها قشرها. ومن هذا قيل للقلنسوة كمّة، لأنها تغطي الرأس. ومن هذا كمّا القميص لأنهما يغطيان اليدين".[٥٣] وفى محدث الكلام: خُصِّصَت دلالته في رُدْن القميص والثوب (sleeve) فقط.

مكوّناته الدلالية قبل التخصيص : ما يغطي

مكوّناته الدلالية بعد التخصيص : ما يغطي + الكفين خاصة من الرُّدن

المكوّن المغلّب : الردن

[٥٣] تهذيب اللغة. ص ٩/ ٣٤٣

الفصل الثالث:

نماذج نقل الدلالة

وهذا الفصل يتبع ما قبله من الفصلين في هيكله وشكله التطبيقي بعرض نماذج مختلفة، لكن النماذج في هذا الفصل تمثّل نقل الدلالة وتبيّن ذلك النوع من مظاهر التغير الدلالي. ونقل الدلالة أكثر وجودا في اللغة من التعميم والتخصيص، لأنه ليس في نقل الدلالة تقييد بشرط العموم والخصوص بين المعنى القديم والجديد. وانتقال الألفاظ من معنى إلى آخر بلا علاقة ظاهرة بين المعنيين كثير في اللغة العربية. فكل طفرة من معنى إلى آخر ممّا ليس بينهما علاقة العموم والخصوص، يعدّ من نقل الدلالة. "فليس هاهنا تعميم ولا تخصيص، وإنما هو انتقال اللفظ من الدلالة على شيء في مجال ما، إلى الدلالة على شيء آخر في مجال غيره، وذلك لوجود علاقة أو ملمح مشترك بينهما سوّغا هذا الانتقال"[1] ويتمّ هذا الانتقال، على سبيلين: الاستعارة، إذا كانت العلاقة بين المدلولين المشابهة، والمجاز المرسل، إذا كانت العلاقة بينهما شيئا غير المشابهة.

عندما آتي ههنا الألفاظ كنماذج لمختلف أنواع نقل الدلالة، أحلّل معاني كل من تلك الألفاظ قبل النقل وبعدها وأبيّن كيف سُوّغ هذا النقل، وما هو السبيل الذي نهجه اللغويون لتصحيح هذا النقل من الاستعارة والمجاز المرسل.

- **الوظيفة:**

يقول إبراهيم أنيس: الوظيفة معناها القديم أجر العمل.[2] ونجد ذلك في الكتب المعجمية القديمة، كما يقول الأزهري: "وقال الليث: الوظيفة من كل شيء ما يقدر له كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب"[3]، وقد كان الطعام يتمثل أجرة للإنسان ويحلّ العلف والشراب محلّ أجرة للدابة.

---

[1] عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات ـ ص٢٤٢

[2] دلالة الألفاظ ـ ص ١٢٦

[3] تهذيب اللغة ـ ج١٤، ص ٢٨٤، وانظر أيضا مقاييس اللغة ـ ص ١٢٢/٦، وقاموس المحيط ـ ص ٨٦٠، تاج العروس ص ٤٦٤/٢٤

ولكن دلالتها الشائعة في العصر الحديث هو الشغل أو المنصب، كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة من بين معانيها الكثيرة أنها "منصب أو عمل مُسند إلى عامل ليؤدِّيه مع اختصاصات يحدِّدها له القانون".[٤]

وبالحقيقة إن هذا المعنى الحديث نقل ممّا عليه أولا، لأن مادة "وظف" وفقا لابن فارس "كلمة تدل على تقدير شيء".[٥] وفي القديم كان دلالة كلمة "الوظيفة" المقدر من الأجرة، وفي الحديث شاع استعمالها في المقدّر من عمل. وأساس هذا النقل لأن ما يقدّر من الأجرة إنما يقبله صاحبه بعد إكماله ما قدّر له من عمل.

وقد أشار جرجي زيدان إلى ما حدث لهذه الكلمة من التغير الدلالي، حيث يقول: "فإن الأصل في معناها "ما يقدّر من عمل وطعام ورزق، وغير ذلك" ومنها وظف عليه الخراج ونحوه، أي قدّره... فاستعملها كتب الدولة العربية لهذا المعنى مع بعض الانحراف، فقالوا: "وظف الرجل توظيفا: عيّن له في كلّ يوم وظيفة" فالموظّف هو الذي يأخذ الوظيفة أو الراتب، ثمّ توسّعوا في لفظ الوظيفة، فدلّوا بها على المنصب أو الخدمة المعينة.... وتولد في أثناء تحول هذه اللفظة إلى هذا المعنى ألفاظ أخرى تقوم مقامها في معناها الأول كالراتب، والجاري، والماهية...".[٦]

صوب النقل : ما يقدّر من الأجرة >>> ما يقدّر من العمل

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المسببية

- **الغَيْث:**

يقول السيوطي: الغيث المطر ثم صار ما نَبَت بالغيث غيثا.[٧] يقال: أصابنا غيثٌ ورَعَيْنا الغيثَ. فالمعنى الأول للكلمة هو المطر، ثمّ لما كانت المطر هو السبب فيما ينبت على الأرض من العشب سمّي هذا أيضا بالغيث مجازا.

---

[٤] أحمد مختار عمر ـ ص ٢٤٦٤/٣

[٥] معجم مقاييس اللغة ـ ج٦، ص١٢٢

[٦] اللغة العربية كائن حي . ص ٤١، ٤٢

[٧] المزهر . ص ٣٣٤/١، وانظر أيضا ابن دريد، جمهرة اللغة . ص ٣/ ١٢٥٥

صوب النقل : المطر >>> ما نبت بالمطر من العشب

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : السببية

- **النَّدى:**

أصل دلالتها المطر ثم استعمل للدلالة على العُشْب، وفي المزهر: الندى المعروف ثم كثر حتى صار العُشْب ندَى.[٨]

صوب النقل : المطر >>> العشب

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : السببية

- **الشَّنَب:**

وهو في الاستعمال القديم، كما يقول الخليل: " الشّنبُ: ماءٌ ورقة يجري على الثغر"،[٩] "وهو برد الأسنان وعذوبة مذاقتها".[١٠] ولكنها في العصر الحديث يستعمل للشارب، وترك معناه الأصلي. يقول معجم الوسيط: "والمحدثون استعاروا "الشنب" للشارب واستعملوه فيه حَتَّى تناسوا الأَصل".[١١]

صوب النقل : ماء ورقة يجرى على الثغر >>> الشارب

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المجاورة المكانية

- **الكاتِب:**

إن الأصل في دلالة "كتب" هو الحفر في الحجر أو الخشب، لأنهم يستعملونها في أوّل عهدهم بالكتابة، وكانوا يكتبون على الحجارة أو الخشب حفرا أو نحتا. فلمّا صاروا يكتبون بالمداد على الرقوق

---

[٨] السيوطي . ص ٣٣٤/١

[٩] كتاب العين ـ مادة شنب، ج ٦، ص ٢٦٨

[١٠] ابن السكيت، الكنز اللغوي في اللَسَن العربي ـ ص ١٩١، وانظر أيضا جمهرة اللغة ـ ٣٤٥/١، وتهذيب اللغة ـ ٢٦٠/١١، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ـ ١٥٨/١

[١١] معجم الوسيط ـ ص ٤٩٦

أو الأقمشة تحوّل معناها إلى الكتابة المعروفة. وهذا تطوّر في أصل معنى الكتابة. أمّا صيغة اسم الفاعل منها، فقد شهدت أيضا لانتقالات كثيرة. ففي أيّام نزول القرآن كان بعض من الصحابة يكتبون الوحي على أمر الرسول، فكانوا هم المعروفون بالكتبة في تلك الأزمنة. ثمّ بعد ذلك العصر لما تولّى أبوبكر رضي الله عنه استخدم كاتبا يكتب له الكتب إلى العمال والقواد. ولما تولّى عمر رضي الله عنه ودوَّن الدواوين استخدم الكتبة لضبط أسماء الجند وأعطياتهم، فصار الكاتب يدل على الكتابة والحساب. ولما استبد الكتاب وكان صاحب النفوذ وذي السلطان في الدولة المصرية وغيرها، صار الكاتب بمعنى الوزير. وفي العصر الراهن يراد بالكاتب العالم المنشئ.[١٢] وأساس هذا التغير هو التطوّر السياسي في مختلف العصور والدول.

صوب النقل: كاتب الوحي >>> مراقب الحسابات >>> الوزير >>> العالم المنشئ

- **التُرْعَة:**

"الترعة الباب ويقال للموضع يحفِره الماء من جانب النهر ويتفجر منه ترعة وهي فُوّهة الجدول"[١٣] وكان هذا الاستعمال قديما، وفي العصر الجديد إنها يستخدم بمعنى القناة، وهذا هو المعنى الشائع في هذه الأيام.

صوب النقل : فُوّهة الجدول >>> القناة

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : إطلاق الجزء على الكلّ

- **المَلَّة:**

وفي اللسان: ويقال: أطعمنا خبز مَلَّةٍ وأطعمَنا خبزةً مليلا، ولا يقال أطعمنا مَلَّة. وقال أبو عبيد: الملة الحفرة نفسها. الملّ والمِلَّة: الرماد الحار الذي يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج.[١٤] ويقول البطليوسي

---

[١٢] جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي. ص ٤٠

[١٣] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ـ ص ٧٤

[١٤] لسان العرب، مادة "ملل" ج ١١ ص ٦٣٠

في كتابه الاقتضاب في شرح أدب الكاتب بعد تصويب ابن قتيبة للفظة "الملة": وليس يمتنع عندي أن تسمى الخبزة ملّة لأنها تطبخ في الملة كما يسمى الشيء باسم الشيء إذا كان منه بسبب".[١٥] بناء على ما سبق يمكننا القول بأن كلمة "الملة" قد انتقل دلالتها من الحفرة التي يحمى فيها الخبز إلى معنى الخبز نفسه بإطلاق الحال باسم المحل. والعلاقة التي سوغت هذا الانتقال الدلالي، كما يقول الدكتور مجدى إبراهيم: "علاقة المجاز المتمثلة في المجاورة المكانية، فالملة موضع الخبزة، وقد سمي خبز الملة بذلك لأنه يدفن في الرماد الحار حتى ينضج".[١٦]

صوب النقل : الحفرة التي يحمى فيها الخبز >>> الخبز

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المجاورة المكانية

- **الخبص:**

فهو في الاستعمال المعاصر السعي بالفتنة والوقيعة بين الناس. يقال "خبَص الفتّان بينهما: سعى بالفتنة والوقيعة بينهما، نقل كلامًا عن أحدهما يسوء الآخر "خبص بين صديقين – الخَبْص أشدُّ من الكذب".[١٧] ولكن في الاستعمال القديم يدل على مجرّد خلط الشيء بالشيء.[١٨]

صوب النقل : خلط الشيء بالشيء >>> السعي بالفتنة والوقيعة بين الناس

طريق النقل : الاستعارة

- **الراوية:**

قد انتقلت دلالة هذه الكلمة من " البعير" إلى "المزادة" (المِزَادَةُ: وِعاء يُحْمَلُ فيه الماء والزاد في السفر). كما يقول ابن دريد: "والبعير الذي يحمل عليه الماء: الراوية. وكثر ذلك حتى سموا المزادة راوية".[١٩] وأساس هذا النقل هو المجاورة المكانية لأن الماء إنّما يحمل على البعير في المزادة.

---

[١٥] الاقتضاب، ج ٢ ص ٢٧

[١٦] بحوث ودراسات في علم اللغة: الصرف المعاجم الدلالة، ص ٢٢٦

[١٧] حمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ـ ص ٦١٠

[١٨] أنظر ابن فارس، مجمل اللغة ـ ج١، ص٣١١

[١٩] جمهرة اللغة، مادة " ر أوي" ج ١، ص ٢٣٥

صوب النقل : البعير الذي يحمل عليها الماء >>> المزادة

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المجاورة المكانية

- **الظعينة:**

يقول ابن سيده: "والظعينة: الجمل يظعن عليه. والظعينة: الهودج تكون فيه المرأة. وقيل: هو الهودج كانت فيه أو لم تكن. والظعينة: المرأة في الهودج، سميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه. وقيل: سميت بذلك لأنها تظعن مع زوجها كالجليسة. ولا تسمى ظعينة إلا وهي في هودج. وعن ابن السكيت: كل امرأة ظعينة، في هودج أو غيره."[٢٠] يقول السيوطي: "والظَّعينة: أصلها المرأة في الهودج ثم صار البعيرُ ظَعينةً والهودَجُ: ظعينة".[٢١]

صوب النقل : المرأة في الهودج >>> البعير >>> الهودج

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المجاورة المكانية

- **العقيقة:**

أصل دلالة هذه الكلمة هو الشَّعر الذي يخرج على الولد من بَطْن أمه، ثم صار ما يُذْبح عند حَلقِ ذلك الشعر عقيقة[٢٢]، وشاع الاستعمال فيها حتى صار معنىً حقيقيا للكلمة. والعلاقة التي دعت إلى هذا النقل هو المجاورة الزمنية لأن ذبح ذلك الحيوان في العقيقة متزامن لحلق ذلك الشعر.[٢٣]

صوب النقل : الشعر الذي يخرج على الولد عند الولادة >>> الذبيحة تنحر عند حلق ذلك الشعر

طريق النقل : المجاز المرسل

---

[٢٠] المحكم والمحيط الأعظم، مادة " ظعن " ج ٢، ص ٦٧

[٢١] المزهر ـ ص ٣٣٤/١

[٢٢] السيوطي، المزهر ـ ص ٣٣٥

[٢٣] على عبد الواحد الوافي، علم اللغة ـ ص ٣١٦،٣١٧

العلاقة المسوّغة : المجاورة الزمنية

- **الوَتَد:**

وهو بفتح الواو والتاء ما وضع في الأرض، ثم استُخدم اللفظ كمصطلح علمي عند أصحاب علم العروض على ما كان على ثلاثة أحرف، وهذا واحد من الأمثلة للألفاظ تنتقل من الدلالات الحسية إلى الدلالات التجريدية نتيجة تطور العصر وتنوع مصطلحات العلوم. وأمثالها كثير لم آخذها في هذا الفصل. وهذا نموذج لذلك النوع من النقل.

صوب النقل : ما وضع في الأرض >>> مصطلح في علم العروض

- **الغَفْر:**

أصل دلالة هذا اللفظ هو الستر، لكن استعمل مجازا في الصفح عن الذنوب،[٢٤] ومنه الاستغفار. حتى صار المعنى المجازي حقيقة لكثرة الاستعمال فيه.

صوب النقل : الستر >>> الصفح عن الذنوب

طريق النقل : الاستعارة

- **الغَسّالة:**

لم ترد هذه الصيغة في المعاجم القديمة، وهي من مادة غسل، فبالقياس يمكننا أن نعطي لها دلالة "من يغسّل كثيرا" لما كانت على وزن "فعّالة" التي تفيد الكثرة. ولذلك اكتسبت بعد مرور الزمن معنى "امرأة حرفتها غسل الثياب". ولكن الكلمة شاعت استعمالها في العصر الراهن للدلالة على "آلة تغسل الثياب أو الأواني بقوة الكهرباء". وقد أجاز مجمع اللغة المصري قياسية وزن "فَعَّالة" أيضًا في صوغ اسم الآلة؛ اعتمادًا على كثرتها في الاستعمال القديم والحديث، وإن لم ترد الصيغة ضمن الصيغ القياسية القديمة لاسم الآلة. وقد وردت هذه الكلمة اسمًا للآلة في المعاجم الحديثة كالأساسي، والمنجد، والوسيط الذي نص على أنها مجمعية.[٢٥] وهذا النقل من مسببات التطور المتتابع في العالم.

صوب النقل : امرأة حرفتها غسل الثياب >>> آلة تغسل الثياب أو الأواني بقوة الكهرباء

---

[٢٤] على عبد الواحد الوافي، علم اللغة ـ ص ٣٢١

[٢٥] معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ٥٦١

طريق النقل : الاستعارة

- **الوغى:**

"الوغى" هو في الأصل اختلاط الأصوات في المعركة، إلا أنه أخذ مدلولاً آخر يدل على الحرب نفسها عندما تقول ساحات الوغى. يقول السيوطي: "والوَغَى: اختلاطُ الأصوات في الحرب ثم كثُر فصارت الحرب وغى".[٢٦]

صوب النقل : اختلاط الأصوات في الحرب >>> الحرب

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المجاورة المكانية أو الزمنية

- **المجد:**

معناه الأصلي الحقيقي هو امتلاء بطن الدَّابة من العلف، ثم كثر استخدامه مجازا في الامتلاء بالكرم، حتى قالوا: مجد فلان فهو مَاجد: إذا امتلأ كرما.[٢٧] وأصبح المعنى المجازي حقيقة، وزال المعنى الحقيقي إلى الاندثار.

صوب النقل : امتلاء بطن الدابة من العلف >>> الامتلاء بالكرم

طريق النقل : الاستعارة

- **الإعذار:**

الإعذار في الأصل الختان، ثم بعد ذلك نقل دلالتها إلى الطعام عند الختان " أصل الإعذار الختان ثم سمي الطعام للختان إعذارا ".[٢٨]

صوب النقل : الختان >>> الطعام للختان

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المجاورة الزمنية

---

[٢٦] المزهر ـ ص ٣٣٤/١

[٢٧] السيوطي، المزهر ـ ص ٣٣٥/١

[٢٨] المخصص. ص ١/ ٤١٤، أنظر أيضا: جمهرة اللغة. ص ٣/ ١٢٥٦، المزهر للسيوطي ص ٣٣٤/١

- **الأفْن:**

هذا اللفظ يدلّ على قلّة لبن الناقة، وهو المعنى الحقيقي الأول. ثم استخدم مجازا لقلة العقل حتى قالوا: أفن الرجل إذا كان ناقِصَ العقل فهو أفين ومأْفُون.[٢٩]

صوب النقل : قلة لبن الناقة >>> قلة العقل

طريق النقل : الاستعارة

- **الخَطْر:**

الخَطْر ضربُ البعير بذَنَبه جَانبي وركيه ثم صار ما لَصقَ من البَول بالوركين خَطْراً.[٣٠]

صوب النقل : ضرب البعير بذنبه جانبي وركيه >>> ما لصق من البول بالوركين

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المجاورة المكانية

- **القاطرة:**

وهي في الأصل الناقة التي تتقدّم القافلة، وهي الآن يدل على عربة يحرّكها البخار أو الكهرباء تقطر بها عربات السكة الحديدية (locomotive).[٣١]

صوب النقل : الناقة التي تتقدم القافلة >>> locomotive

طريق النقل : الاستعارة

- **الثلاّجة:**

وهذه الكلمة اسم آلة من ثلج، وهي جهاز تبريد يحفظ ما يوضع فيه من أطعمة ونحوها في درجة حرارة منخفضة.[٣٢] وهذا شأن استعمال الكلمة في العصر الحديث. ولم يكن لهذه الصيغة أي وجود في قديم الزمان، ولم يستعمل قطّ لأي دلالة. وصيغة "فعّالة"، وإن لم يرد ضمن الصيغ القياسية لاسم

---

[٢٩] السيوطي، المزهر ـ ص ٣٣٥/١

[٣٠] جمهرة اللغة، ص ـ ١٢٥٦/٣

[٣١] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ـ ص ١٤٨

[٣٢] معجم اللغة العربية المعاصرة ـ ص ٣٢٥/١

الآلة، أجاز مجمع اللغة المصري صوغها لاسم الآلة. والصيغ مثل هذا، التي استجدت في العصر الحديث للدلالة الجديدة، كثيرة في اللغة العربية.

صوب النقل : ------- >>> جهاز التجريد

- **الحِلْس:**

وهو في الأصل ما على ظهر الدابة من الثياب، نقل إلى الفارس الذي يدوم على ظهر الدابة. وفي الجمهرة "الحِلْس: ما طُرِح على ظَهْر الدابة نحو البَرْذَعَة ثم قيل للفارس الذي لا يُفارق ظَهْر دابته حِلْس وقالوا: بنو فلان أحلاس الخيل".[٣٣] وأساس هذا النقل المشابهة بأن هذا الفارس كالبرذعة في كونه على ظهر الدابة في معظم الأحيان.

صوب النقل : ما طرح على ظهر الدابة من الثوب >>> الفارس الذي لا يفارق ظهرها

طريق النقل : الاستعارة.

- **البريد:**

أصل معناها في اللغة العربية الدابة التي تُرتّب على مسافات معينة لنقل الرسائل وتحمل عليها وكذلك كانت تطلق على الرسول الذي يركبها، وعلى المسافة بين كل منزلين أو السكتين من منازل الطريق.[٣٤] وهي كلمة فارسية أصلها "بريده دم" أي محذوف الذّنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها[٣٥]. ولكن الكلمة قد تغير دلالتها في العصر الحديث تبعا للتطور في وسائل المراسلات، وأصبحت تدل على النظام يختص بنقل الرسائل والطرود وتوزيعها[٣٦]

صوب النقل : الدابة المعيّنة لنقل الرسائل >>> النظام يختص بنقل الرسائل

طريق النقل : الاستعارة

---

[٣٣] جمهرة: ١٢٥٧/٣

[٣٤] محمود بن عمرو الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر ـ ص ٩٢/١، وانظر أيضا المعجم الوسيط ـ ص ٤٨/١، ومحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم ـ ص ٨٩، والأزهري، تهذيب اللغة ـ ص ٧٦/١٤، وآن دوزي، تكملة المعاجم العربية ـ ص ٢٧٩/١

[٣٥] المبارك بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ص ١/ ١١٥، أنظر أيضا الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر ـ ص ٦٢/١

[٣٦] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ـ ص ١/ ١٨٥، أنظر أيضا علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة ـ ص ٣٢٤

- **الريشة:**

كانت تطلق على آلة الكتابة أيام كانت تتخذ من ريش الطيور، والآن تحولت دلالتها وأصبحت تطلق على قطعة من المعدن مشكلة في صورة خاصة. يقول علي عبد الواحد الوفي بهذا الصدد: "فكلمة "الريشة" مثلًا "Plume" كانت تطلق على آلة الكتابة أيام أن كانت تتخذ من ريش الطيور، ولكن تغير الآن مدلولها الأصلي تبعًا لتغير المادة المتخذة منها آلة الكتابة، فأصبحت تطلق على قطعة من المعدن مشكلة في صورة خاصة"،[٣٧] وأساس هذا النقل هو أن الشيء نفسه الذي تدل عليه قد تغيرت طبيعته أو عناصره أو وظائفه أو الشئون الاجتماعية المتصلة به.

صوب النقل : آلة الكتابة من الريش >>> قطعة من المعدن مشكلة في صورة خاصة

طريق النقل : الاستعارة

- **القطار:**

هذه الكلمة في الأصل كانت تطلق على عدد من الإبل بعضه خلف بعض على نسق واحد.[٣٨] يقال جاءت الإبل قطارا بالكسر أي مقطورة. واستعمل القطار لكلّ سرب من الكائنات الحية يسير الواحد منها وراء الآخر، حتى قيل قطار النمل. ولكن تغير مدلولها الأصلي وفقا للتطور في وسائل المواصلات. حتى أصبحت الكلمة تدلّ في العصر الحديث على الصف من مركبات السكة الحديدية المربوطة بعضها في بعض والمقطورة بقاطرة.[٣٩] وكل من المدلولات القديمة والحديثة كانت يستخدم في السفر ويجري على نسق واحد كخط طويل. فقد لحظ المعاصرون تشابه الهيئة بين المدلولين فاستعملوا لفظ القطار بنوع من القياس، وهو جائز لا تأباه اللغة فهي في تطور مستمر.

صوب النقل : مجموعة الجمال يسير الواحد منها وراء الآخر >>> مجموعة من مَرْكبات السكة الحديدية تجرها قاطرة

طريق النقل : الاستعارة

---

[٣٧] علم اللغة ـ ص ٣٢٤

[٣٨] المعجم الوسيط ـ ص ٧٤٤/٢، وانظر أيضا زين الدين الرازي، مختار الصحاح ـ ص ٢٥٦

[٣٩] حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل الى معرفة اللغة ـ ص ٩٩، وانظر أيضا علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة ـ ص ٣٢٤

- **الفقه:**

كان يدل على كل شق أو صدع، في شيء من الأشياء المادية، ثم تحولت معناه إلى الفهم الدقيق الذي يحتاج إلى تركيز عقل ونباهة، ثم خصصت معناه إلى الفهم في مجال خاص وصار يطلق على علوم الشريعة.[٤٠]

صوب النقل : الشق أو الصدع >>> الفهم>>> فرع من العلوم الإسلامية

طريق النقل : الاستعارة

- **السماء:**

السماء المعروفة، وهذا هو أصل دلالتها ثم كثر ذلك حتّى سمّي المطر سماء. يقول الثعالبي: "العرب تسمي الشيء باسم غيره إذا كان مجاورا له أو كان منه بسبب كتسميتهم المطر بالسماء لأنه منها ينزل وفي القرآن: {يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} (نوح: ١١) أي المطر".[٤١] فنقلت الكلمة من الدلالة على السماء المعروفة إلى الدلالة على المطر الذي ينزل منها، مع بقاء الدلالة الأولى في الاستعمال.

صوب النقل : السماء المعروفة >>> المطر

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المجاورة المكانية

- **المِدْفع:**

كلمة "المِدفع" كانت تدلّ في الأصل على القوة والشدة، كما في لسان العرب: رجل دِفاع ومِدفع: شديد الدفع. وركن مِدفع: قوي.[٤٢] ولكنها نقلت في العصر الحديث إلى معنى جديد، وهو آلة الحرب

---

[٤٠] زينة قرفة، التطور الدلالي لألفاظ أركان الإسلام. ص ٥٠

[٤١] فقه اللغة وسرّ العربية. ص ٢٢٥

[٤٢] ابن منظور- ص ٨٧/٨

التي تدفع القذيفة بعيدا بقوة انفجار البارود أو غيره من المتفجرات، وهذه هي الدلالة المفادة من كلمة "منجنيق" أو "منجنوق"، ولكن "المدفع" أكثر عروبة من كليهما.[٤٣]

صوب النقل : شديد الدفع >>> آلة الحرب التي تدفع القذائف بعيدا

طريق النقل : الاستعارة

- **السيارة:**

وهي صيغة مبالغة من فعل سار يسير، وتفيد في الأصل الدلالة على القافلة، كما في قوله تعالى: {وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ} (يوسف:١٩) أي جاءت قافلة. وواضح أن السيارة بهذا المعنى اسم جمع يدلّ على مجموع المسافرين في القافلة. وفي العصر الحديث أصبحت الكلمة تدلّ على عربة آلية سريعة السير تستخدم في الركوب أو النقل (الأوتومبيل).[٤٤] وأساس هذا النقل أن كلتا الدلالتين لها علاقة بالسير والسفر.

صوب النقل : القافلة >>> العربة (الأوتومبيل)

طريق النقل : الاستعارة

- **عتيد:**

هذه الكلمة تفيد الدلالة في هذه الأيام على "القوي"، أمّا معناها الأصلي، وهو "حاضر، معدّ، مهيّأ". وفي العين: "عتُد الشيء يعتُد عتادا فهو عتيد: حاضر".[٤٥] وإنّما تطورت دلالتها في أذهان الناس إلى هذا المعنى، كما قال رمضان عبد التواب، وهو بسبب القياس الخاطئ على كلمة "عنيد" الذي يدلّ على "الجبّار" أو "القويّ".[٤٦] أما الدكتور أحمد مختار عمر يصحّح هذا الاستعمال اعتمادا على المعنى العام الذي يدور حوله الجذر، وهو الاستعداد، والتهيؤ، بالإضافة إلى المعاني الجزئية للمادة، فالعتيد، كما جاء في اللسان: الجسيم، وغيرها وكل هذه المعاني تدور حول القوة.[٤٧]

---

[٤٣] أنظر لمزيد التفصيل عن الكلمة: حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل الى معرفة اللغة . ص ٩٩

[٤٤] حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل الى معرفة اللغة . ص ١٠٠

[٤٥] العين . ص ٢/ ٢٩

[٤٦] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه . ص ١١٢

[٤٧] معجم الصواب اللغوي . ص ٥٢٤/١

صوب النقل : الحاضر المهيّأ >>> القويّ

طريق النقل : الاستعارة

- **الجامعة:**

والكلمة في الأصل تستعمل، كما في لسان العرب، صفة للمؤنث واسما، فالصفة مثل قولهم "سورة جامعة" أي جمعت فيها أشياء كثيرة، و"الجامعة" اسما بمعنى الغل أو القيد. وشتان بين هذا الاستخدام والاستخدام الحديث. وهي الآن تدلّ على منظمة دولية مثل الجامعة العربية ومعهدًا أكاديميًّا مثل جامعة القاهرة.[٤٨] يمكننا تصحيح هذا الاستعمال اعتمادا على معنى الصفة منها، لأنها تدلّ على التي تجمع أشياء كثيرة، والجامعة العلمية تجمع فنونا وعلوما متنوّعة.

صوب النقل : التي تجمع أشياء كثيرة >>> معهد أكاديميّ

طريق النقل : الاستعارة

- **الدبّابة:**

نستعمل كلمة "الدبابة" في الوقت الحاضر للدلالة على السيارة المصفحة المعروفة، التي تتحرك بطريقة آلية والتي تهجم على صفوف الأعداء، وترمي منها القذائف (tank)، والدبابة كلمة قديمة، وكانت تدل على آلة قتالية كذلك، ولكن الآلة القديمة كانت "بدائية" بالقياس إلى الدبابة الحديثة، فالدبابة القديمة آلة تتخذ في الحصار كانوا يدخلون في جوفها، ثم تدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها.[٤٩] أحيى المحدثون اللفظ القديم الذي كانت لها دلالة، فانقرضت لسبب ما، وخلعوا عليه دلالة جديدة لتوفّر عنصر المشابهة بينهما.

صوب النقل : آلة قتالية قديمة >>> السيارة المصفحة المعروفة (tank)

طريق النقل : الاستعارة

---

[٤٨] محمد فهمي حجازي، علم اللغة العربية . ص ٣٠٤

[٤٩] محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي . ص ٢٣٤، ٢٣٥

- **إذاعة:**

والأصل أنه مشتق من فعل ذاع بمعنى شاع وانتشر وعرفه الخاص والعام، القريب والبعيد، يقال شاع وذاع وملأ الأسماء، ثمّ نقلت الإذاعة إلى الدلالة على إرسال الصوت على أمواج الأثير ليسمع من أجهزة استقبال في أماكن بعيدة عن مصدر الصوت نفسه. واستعملت في العصر الحديث خاصة في نقل الصوت بالراديو.[٥٠] وإنّما ساغ هذا النقل لأن أصوات راديو يشيع ويذيع الأخبار بين جماهير الناس.

صوب النقل : النشر والشيوع >>> نقل الصوت بالراديو

طريق النقل : الاستعارة

- **التيمم:**

وفي اللسان "وأصله (أي التيمم) التعمد والتوخي، من قولهم تيممتك وتأممتك. قال ابن السكيت: قوله: فتيمموا صعيدا طيبا، أي اقصدوا لصعيد طيب، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم اسما علما لمسح الوجه واليدين بالتراب. ابن سيده: والتيمم التوضؤ بالتراب على البدل، وأصله من الأول لأنه يقصد التراب فيتمسح به".[٥١] فنقلت الكلمة من دلالة القصد إلى دلالة مسح الوجه واليدين بالتراب.

صوب النقل : القصد >>> مسح الوجه واليدين بالتراب

- **أجهش بالبكاء:**

فقد نقلت هذه الكلمة من دلالته الأصلية من التهيّؤ للبكاء إلى دلالة جديدة، أي العلو بالبكاء. وجاءت "أَجْهَشَ" في المعاجم بمعنى هَمَّ بالبكاء وتهيّأ له. ففي التاج: "أجهش بالبكاء: تهيَّأ له"، لكن

---

[٥٠] حسن ظاظا، اللسان والإنسان مدخل الى معرفة اللغة. ص ١٠٠، انظر أيضا: دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ص ١٥٦

[٥١] لسان العرب. ص ١٢/ ٢٣

يستعمل الأن بمعنى علا صوته بالبكاء، ويمكن تخريجها على المجاز المرسل الذي علاقته السببية، لأن التهيؤ يستلزم الفعل عادة.[٥٢]

صوب النقل : التهيّؤ للبكاء >>> علوّ الصوت بالبكاء

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : السببية

- **بات على سريره:**

معنى "بات" الأصلي أظله المبيت، وأجنّه الليل، سواء أنام أم لم ينم. ولكن يستعمل الأن بمعنى "نام". والعلاقة واضحة بين البقاء على السرير وحلول الظلام وبين النوم فيكون الكلام من باب المجاز المرسل الذي علاقته اعتبار ما سيكون.[٥٣]

صوب النقل : حلول الليل على السرير >>> النوم على السرير

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : اعتبار ما سيكون

- **الدخان:**

وهو في الأصل ما يتصاعد عن النار من دقائق الوقود غير المحترقة، ولكن يستعمل في محدث الكلام في معنى التبغ، كما يقال الدخان ضارّ بالصحة، يعنى التبغ، وقد أقر مجمع اللغة المصري استعمالها بهذا المعنى الجديد، وهو من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته المسببية، لأن استعمال التبغ غلبا يحدث الدخان.

صوب النقل : ما يتصاعد عن النار >>> التبغ

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المسببية

---

[٥٢] معجم الصواب اللغوي. ص ١٤/١

[٥٣] معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ١٧٠

- **الطابَق:**

وهو في الأصل "اسم ما يخبز عليه من الحديد، أواسم لما عرض ورق من الآجر".[٥٤] وفي الاستعمال الحديث يدل على دور في البناء كما يقال الطابق العلوي والطابق الأرضي. فنقل من الدلالة على الظرف يطبخ فيه أو الآجرّ الكبير إلى الدلالة على دَوْر في البناء.

وقد اعتمد مجمع اللغة المصري في تصحيح هذا الاستعمال على ما ورد في اللغة من قولهم: هذا الشيء وَفْق هذا وطابَقه، إذا كانت الطبقة مطابقة لما فوقها وما تحتها، فأقر هذا الاستعمال المستحدث بنوع من المجاز المرسل.[٥٥]

صوب النقل: ظرف يطبخ فيه >>> دور في البناء

- **الخَزْنَة:**

ذكرت المعاجم أن الخزانة: مكان الخَزْن. أما كلمة "خَزْنة" فكانت في أصل وضعها تطلق على ما يُخْزَن من النقود، ثم أطلقت على الصندوق الذي تخزن فيه النقود (strong box)، وهذا على سبيل المجاز المرسل بإطلاق اسم الحالّ على المحلّ.[٥٦]

صوب النقل : ما يخزن من النقود >>> الصندوق الذي تخزن فيه النقود

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : إطلاق اسم الحالّ على المحلّ

- **ممنون:**

يطلق الكلمة الآن بمعنى شاكر، يقال أنا ممنون لك أي أنا شاكر لك، وقد ورد الفعل "مَنَّ" في لغة العرب بمعنى "أحسن" أو "أنعم"، وبذلك يكون الشخص المُنْعَم عليه ممنونًا عليه، وهو ما يستلزم

---

[٥٤] ابن درستويه، تصحيح الفصيح وشرحه. ص ٤٧٤

[٥٥] معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ٥٠١

[٥٦] معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ٣٤٩

حدوث الشكر منه. وعلى هذا يكون استخدام اللفظ "ممنون" بمعنى "شاكر" جائزًا بنوع من المجاز المرسل.[٥٧]

صوب النقل : المنْعَم عليه >>> شاكر

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : السببية

- **الرِّمش:**

وهي في الأصل تفيد على الجفن، بينما يستعمل في محدث الكلام للدلالة على الشعر على الجفن. وذكر تاج العروس أن الرِّمش معناه الجفن، وذكرت بعض المعاجم الحديثة كالأساسي أن الرِّمش: الشعر النابت على أطراف الجفون. ولا شك أن إطلاق الجفن على الأهداب مما تسمح به اللغة، لأنه نوع من المجاز المرسل علاقته الكلية والجزئية.[٥٨]

صوب النقل : الجفن >>> الأهداب

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : إطلاق الكلّ على الجزء

- **بُرهة:**

تستعمل اليوم بمعنى الزمن القصير وهي تدل في الأصل على الزمن الطويل، وفي مختار الصحاح: "أتت عليه برهة من الدهر بضم الباء وفتحها أي مدة طويلة من الزمان"[٥٩] فالظاهر أنهم كانوا يقولون "برهة قصيرة" أو "برهة وجيزة" للزمن القصير. ثم استعملوا برهة وحدها لهذا المعنى.[٦٠]

صوب النقل : الزمن الطويل >>> الزمن القصير

---

[٥٧] معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ٧٢٨

[٥٨] معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ٤١١

[٥٩] مختار الصحاح. ص ٣٣/١

[٦٠] جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي. ص ٤٣

- **السبيل:**

ومعناه الأصلي واضح، ثمّ تحوّلت دلالتها ويطلق على حوض ماءٍ مباح للواردين يوقف للشرب منه قربة إلى الله تعالى. جاء في المعاجم: سَبَّل الشيءَ: جَعَلَه مباحًا في سبيل الله. ومن ثم يجوز اشتقاق "سبيل" من هذا الفعل، وتخريج المثال المرفوض على تقدير محذوف: ماءٌ سبيل أو حوض سبيل، بمعنى: مباح في سبيل الله، كما يمكن تخريجه على المجاز المرسل بعلاقة الحالِّية والمحلية، لأن هذا الحوض يُوضع في الطريق العام (السبيل) لخدمة السابلة وقد ورد هذا المعنى في بعض المعاجم الحديثة كمحيط المحيط، والمنجد، وتكملة المعاجم.[٦١]

صوب النقل : الطريق >>> حوض ماء عام

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : إطلاق الحالّ باسم المحلّ

- **الموسوعة:**

تطلق الكلمة في محدث الكلام على الكتاب الذي حوى معارف، والمشهور في مادة (وسع) أن يقال: وسع الكتاب مسائل كثيرة، فالكتاب هو الواسع، والموسوع هو المحتوى أو المضمون؛ ويمكن تصويب إطلاق الموسوعة على الكتاب نفسه عن طريق المجاز المرسل لعلاقة المحلية، أو يكون من باب القلب المعنوي؛ على أنه قد جاء في المصباح: وَسَع الله عليه رزقه، فالرزق موسوع، ويمكن القياس عليه[٦٢]

صوب النقل : المحتوى >>> الكتاب الذي حوى معارف

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : إطلاق المحلّ باسم الحالّ

---

[٦١] معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ٤٣٥

[٦٢] معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ٧٤١

- **الأسل:**

الدلالة الأصلية للكلمة هو "شوك النبات ذي الشوك الطويل"، ثمّ بعد ذلك نقلت إلى دلالة جديدة وهي الرماح.[٦٣] يقول ابن فارس "الهمزة والسين واللام تدل على حدة الشيء وطوله في دقة. وقال الخليل: الأسل الرماح. قال: وسميت بذلك تشبيها لها بأسل النبات. وكل نبت له شوك طويل فشوكه أسل".[٦٤] وأساس هذا النقل هو المشابهة بين الدلالتين.

صوب النقل : شوك النبات ذي الشوك الطويل >>> الرماح

طريق النقل : الاستعارة

- **الهاتف:**

يستعمل في العصر الحديث بمعنى التليفون، وفي الأصل هو مشتق من الفعل "هتف" بمعنى صاح، فالهاتف صائح. يقول الدكتور حسن ظاظا: "والهاتف في الأساطير العربية القديمة نوع من الجنّ يُسمع صوتُه ولا يُرى شخصُه. ومن هنا جاء في ذهن المحدثين وجه الشبه بينه وبين من يتحدّث مع غيره بهذه الآلة فيسمعه ولا يراه".[٦٥]

صوب النقل : الصائح >>> التليفون

طريق النقل : الاستعارة

- **الرَّحيق:**

معناه في المعاجم القديمة: صفوة الخمر، أو الخالص من الشراب، الذي لا غش فيه، وهي دلالته الأصلية. وفى محدث الكلام انتقل معناه إلى خلاصة الزَّهْر، يعني ما تفرزه الأزهار من محلول سكري لاجتذاب الحشرات لكي تقوم بالتلقيح[٦٦] (nectar). وأساس هذا النقل هو المشابهة.

صوب النقل : الخالص من الشراب >>> خلاصة الزهر

---

[٦٣] عمار قلالة، التطور الدلالي في مقاييس اللغة لابن فارس. ص ١١٢

[٦٤] مقاييس اللغة. ص ١/ ١٠٤

[٦٥] اللسان والإنسان مدخل الى معرفة اللغة. ص ١٠٠

[٦٦] معجم اللغة العربية المعاصرة. ص ٢/ ٨٦٩

طريق النقل : الاستعارة

- **المشاعِر:**

وهو جمع كلمة "مشْعَر"، وقد أوردت المعاجم القديمة معنيْها القديمان، من موضع مناسك الحج، والحواس الخمس، ونجد في المعاجم الحديثة "المشعر" بمعنى الحاسّة. وقد حدث تطور دلالي لهذه الكلمة فأصبحت تعني الآن العواطف والأحاسيس، ولا يتقيّد بالحواسّ الخمس، كما يقال أَبْدَى مشاعر الحزن والأسى.

صوب النقل : الحاسّة >>> العواطف والأحاسيس

طريق النقل : الاستعارة

- **العُرف:**

وهو في الأصل يفيد على المعروف، ضدّ المنكر كما في قوله تعالى: {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} (الأعراف:١٩٩)،[٦٧] والتي تستعمل عليه الآن من الدلالة الجديدة هي ما تَعَارَفَ عليه النّاس من مبادئ وقواعد وضوابط. ولعلّ أساسها هو قاعدة أن ما تعارف عليه جماعة كبيرة من الناس من القواعد لا يكون إلاّ معروفا.

صوب النقل : المعروف >>> ما تعارف عليه الناس من القواعد والمبادئ

- **الكَعْب:**

والكَعْب في الأصل العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم.[٦٨] وفي محدث الكلام انتقلت دلالتُه إلى: العَقِب، والجزء المرتفع من الحذاء أو مؤخره.

صوب النقل : العظم الناشز فوق القدم >>> العقب

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : المجاورة المكانية

---

[٦٧] نشوان الحميري، شمس العلوم. ص ٧/ ٤٤٥١

[٦٨] الجوهري، الصحاح. ص ١/ ٢١٣

- **النَفَر:**

وهو في الأصل تفيد على "عدَّة رجال من ثلاثة إلى عشرة".[٦٩] وشاع استعماله حديثًا في معنى الفرد من الرجال، فيقال مثلا قبضتِ الشرطةُ على خمسةَ عشر نفرًا. وقد أورد هذا المعنى في المعجم الوسيط محدثة.

صوب النقل : جماعة إلى عشرة أفراد >>> الفرد

طريق النقل : المجاز المرس

العلاقة المسوّغة : إطلاق الكلّ على الجزء

- **القهوة:**

كانت في الأصل اسم من أسماء الخمر،[٧٠] ثم بعد اصطناع القهوة المعروفة اليوم أطلقت على شراب البُنّ المغْلى (coffee).[٧١] وفي العصر الحديث اتّسع مجال اللفظ إلى حدّ أبعد، حتى استعمل لمكان شُرب القهوة ونحوها (coffeehouse)، حتى يقال مثلا " التقى الأصحاب في القهوة". وقد أقرَّ مجمع اللغة المصري هذا الاستعمال باعتباره مجازًا مرسلاً، علاقته الحالّية، وذكر المجمع أنه يمكن الاستغناء عن الكلمة الأخرى "مَقْهَى"، والتي يدلّ على نفس المعنى المذكور مع كونها اسم مكان قياسي من "قهو"، وذلك لثقلها، وقد سجل عدد من المعاجم الحديثة هذا الاستعمال، ومنه الوسيط والأساسي والبستان.[٧٢]

صوب النقل : اسم الخمر >>> شراب البُنّ >>> مَقْهى

طريق النقل : المجاز المرسل

العلاقة المسوّغة : إطلاق المحلّ باسم الحالّ

---

[٦٩] الصحاح. ص ٢/ ٨٣٣

[٧٠] ابن قتيبة، الجراثيم. ص ٢/ ١٠٩، نشوان الحميري، شمس العلوم. ص ٨/٥٦٥٥

[٧١] جرجي زيدان، اللغة العربية كائن حي. ص ٢٢، ٢٣

[٧٢] ينظر: أحمد مختار عمر، معجم الصواب اللغوي. ص ١/ ٦١٠

نماذج رقي الدلالة

وهذا هو المظهر للتغير الدلالي الذي يتسامى فيه معناه، وتتحوّل فيه الكلمة من دلالة وضيعة إلى دلالة رفيعة نسبيّا. وأمثالها في اللغة قليلة بالنسبة إلى ما سبقه من مظاهر التغير الدلالي. وبالحقيقة إن مظهر رقي الدلالة ومظهر انحطاط الدلالة الآتي يعدّان من أقسام نقل الدلالة. وإني سآتي في هذا الفصل ببعض من نماذج رقي الدلالة. وعندما نحلّل المعاني، علينا أن نفهم أولاً بأن الرقي والانحطاط إنما يلاحظ فقط نسبيا. ولا ينبغي أن تكون دلالة ما وضيعة أو رفيعة في حدّ ذاتها. ولذلك عندما أكتب "الدلالة السافلة" فليس فيها أية إشارة إلى أن المعنى المذكور حذاءه معنى رديء في نفسه.

- **الرسول:**

كانت تعني المرسَل مطلقا، ثم شرُف معناها، ونقل إلى الدلالة على الواحد من رسل الله تعالي.

الدلالة السافلة الأصلية : الذي أرسل مطلقا

الدلالة العالية الجديدة : واحد من رسل الله

- **السُّفرة:**

"والسفرة بالضم: طعام المسافر، المعَدّ للسفر، هذا هو الأصل فيه، ثم أطلق على وعائه، وما يوضع فيه من الأديم، ثم شاع الآن فيما يؤكل عليه".[٧٣] ويقول أحمد مختار: ": ذكرت المعاجم أن كلمة السُّفرة هي الطعام الذي يصنع للمسافر، وأُطلقت على ما يُوضَع فيه الطعام مجازًا، واستعملت حديثًا بمعنى ما يؤكل عليه، وقد استعملها الوسيط بهذا المعنى الحديث ونص على أنها مجمعية".[٧٤]

الدلالة الأصلية : طعام المسافر >>> الأديم الذي يحمل فيه الزاد

الدلالة العالية الجديدة : الخوان الذي يؤكل عليه الطعام

---

[٧٣] تاج العروس ـ مادة سفر، ج١٢، ص ٤٠

[٧٤] معجم الصواب اللغوي ـ ج١، ص ٤٤٤

- **القُماش:**

كانت تدل على معنى وضيع في الآماد المبكرة، وزالت هذه الرذالة مع تعاقب العصور من معناها حتى أصبحت تدلّ على كلّ ما ينسج من الحرير والقطن ونحوهما.[٧٥] وأصل معنى القُماش، "وهو ما على وجه الأرض من فُتات الأشياء، حتى يقال لرذالة الناس: قُماش. والقَمش: الرديء من كل شيء، والجمع قُماش".[٧٦] وهذا بسبب الاحتكاك باللغة الفارسية لأن كلمة "كماش" الفارسيّة تعني نسيج من القطن، فتطوّرت الكاف فيها فأصبحت قافا، وبذلك أصبحت قماش تدل على المنسوجات.[٧٧]

الدلالة السافلة الأصلية : ما على وجه الأرض من فُتات الأشياء

الدلالة العالية الجديدة : المنسوجات من الحرير والقطن

- **العَفْش:**

كلمة العَفْش تفيد في الأصل على رُذال المتاع، وفي وقتنا الحاضر يُطلق على الغالي النفيس من الأثاث، وغير النفيس[٧٨]. فيقال مثلا "نقل عفش منزله" أي ما تجمَّع فيه من الأثاث والأمتعة. وقد أوردت المعاجم الفعل "عَفَشَه" بمعنى "جَمَعه" وفي التاج: "يقولون: هو من العَفشِ النَّفشِ، لرُذالِ المتَاع" وبهذا تصح الكلمة على التطور الدلالي، وقد ذكرها المنجد بهذا المعنى الحديث.[٧٩]

الدلالة السافلة الأصلية : رُذال المتاع

الدلالة العالية الجديدة : الأثاث والأمتعة

- **السُنّة:**

ارتقت دلالة هذه الكلمة من العادة والطريقة والسيرة، إلى طريقة النبيّ صلى الله عليه وسلم كما تتجلَّى في أقواله وأفعاله وما أقرَّه من قول أو فعل.[٨٠]

---

[٧٥] معجم اللغة العربية المعاصرة ـ ص ١٨٥٨/٣. وتجد كلا المعنين من القديم والجديد في المعجم الوسيط ـ ص ٧٥٩/٢

[٧٦] لسان العرب ـ ص ٣٣٨/٦، أنظر أيضا القاموس المحيط ـ ص ٦٠٣،

[٧٧] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ . ص ١٣٨، ١٣٩

[٧٨] حسناء القنيعير، تطور الدلالي للألفاظ ـ صحيفة الرياض اليومية

[٧٩] معجم الصواب اللغوي . ص ١/ ٥٣٩، إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ . ص ١٥٨

[٨٠] الدكتور محمد داود، كلمات القرآن عبر الزمن، تمّ استردادها من موقع: www.mohameddawood.com

الدلالة السافلة الأصلية : العادة والطريقة

الدلالة العالية الأصلية : طريقة النبي محمد صلّى الله عليه وسلّم

- **الجميل:**

كانت الكلمة تعني في الجاهلية "الشحم المذاب"، ومنه قولهم قد جمله يجمله جملا وأجمله: أي أذابه واستخرج دهنه.[٨١] وفي الفروق اللغوية للعسكري: أصل الْجَمِيل الودك واجتمل الرجل إذا طبخ الْعِظَام ليخرج ودكها، وإنما قال رجل جميل لأنه كأنما يجري فيه السمن.[٨٢] ثم بعد ذلك ارتقت دلالته إلى الحسن والنظارة ونقاء الوجه وجمال الأخلاق والشمائل. بل تلاشت الدلالة القديمة، حتى لم تعد العرب تستعمل الجميل بالمعنى البدوي القديم.[٨٣]

الدلالة السافلة الأصلية : الشحم المذاب

الدلالة العالية الجديدة : الحسن ونقي الوجه

- **الفاتن:**

وهي التي كانت تعني الإحراق والفصل والبين الجيد والرديء من الذهب والفضة، وفي اللسان: " فتن: الأزهري وغيرُه: جِماعُ معنى الفتنةِ الابتلاءُ والامتحانُ والاختبارُ، وأصلها مأخوذ من قولك فتنتُ الفضةَ والذهبَ إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد"[٨٤] فارتقت دلالتها إلى معنى أسمي، إذ أصبحت تطلق على كل ما يعجب منه، ويبهر جماله. والرقي نشأ عن ملاءمة بين الحالين، فالأصل ملائم للمستوى الجديد، إذ إن شدة الإعجاب بجمال المرأة يولّد ما يشبه اللهيب أو الاكتواء في نفس الناظر، وهو شعور معنوي في حين كان الأصل روية مادية.[٨٥]

الدلالة السافلة الأصلية : الإحراق والفصل بين الجيد والرديء من الذهب والفضة

الدلالة العالية الجديدة : ما يعجب منه ويبهر جماله

---

[٨١] لسان العرب. ص ١١/ ١٢٧

[٨٢] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية. ص ١/ ١٩٤

[٨٣] هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. ص ٦٢٥

[٨٤] لسان العرب. ص ١٣/ ٣١٧

[٨٥] هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. ص ٦٢٥، ٦٢٦

- **الجنّة:**

وهي في الأصل تفيد الدلالة على كل بستان، ثم نقلت إلى دلالة أسمى وارفع، وهي دار النعيم في الآخرة لما فيه من الجنان (البساتين) الكثيرة. "الجنة في الأصل كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، وسميت الجنة إما لشبهها بالجنة في الأرض وإن كان بينهما بون، وإما لستر نعمتها عنّا المشار إليه بقوله: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} (السجدة:١٧)".[٨٦]

الدلالة السافلة الأصلية : البستان

الدلالة العالية الجديدة : دار النعيم في الآخرة

- **السَّنَة:**

قد انتقلت الكلمة من العام الجدب إلى العام مطلقا. السنة الجدب. يقال: أسنت القوم إذا أجدبوا فهم مسنتون، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم أعني على مضر بالسنة" أي الجدب.[٨٧]

الدلالة السافلة الأصلية : العام الجدب

الدلالة العالية الجديدة : العام

- **الشيخ:**

الشيخ في الأصل "الذي استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب"،[٨٨] يعني الرجل المسنّ، وفي محدث الكلام نقلت منه إلى دلالة راقية، وهي العالم بالدين.[٨٩]

الدلالة السافلة الأصلية : الرجل المسنّ

الدلالة العالية الجديدة : العالم بالدين

---

[٨٦] محمد عميم الإحسان، التعريفات الفقهية. ٧٣

[٨٧] الخطابي، غريب الحديث. ص ١/ ٤١٠

[٨٨] ابن سيده، المحكم. ص ٥/ ٢٤٣

[٨٩] أنظر معناها في المعجم العربية المعاصرة. ص ٢/ ١٢٥٤

نماذج انحطاط الدلالة

وهذا المظهر للتغير الدلالي هو نقل الدلالة إلى معنى منحطّ. ينحدر فيه الدلالة الجديدة بالنسبة إلى ما كان عليها قبل النقل. وقس هنا ما سبق الذكر في رقي الدلالة بخصوص النسبية.

- **النامية:**

وهي في الأصل تدلّ على التي من شأنها النماء والازدياد، لكن حوّلها المعاصرون إلى ما كان في الكلمة " المتخلفة" في قولهم: الدول النامية والشعوب النامية، وهي الأقل تقدما وتطورا.[٩٠] وهذا نقل من دلالة رفيعة إلى دلالة وضيعة سافلة. وانحدار شأن الدلالة في هذه الكلمة ليس على النسبية فقط، كما في غيرها، بل يوجد هذا الانحدار حقيقيا.

الدلالة العالية الأصلية : التي من شأنها النماء والازدياد

الدلالة السافلة الجديدة : المتخلّفة

- **طول اليد:**

كان هذا اللفظ المركّب يدل على الكرم والسخاء، قد قال صلى الله عليه وسلم لنسائه "أسرعكنّ لحوقا بي أطْولكنّ يدا"،[٩١] أي أكثركنّ عطاء. ولكن هذا التركيب في محدث الكلام ذو دلالة وضيعة، وهي اليوم تُطلق على السارق فنقول هذا يده طويلة.[٩٢]

الدلالة العالية الأصلية : كثرة العطاء

الدلالة السافلة الجديدة : السرقة

- **طهارة:**

وقد شاعت هذه الكلمة في الختان. وأصل دلالتها معروفة. يقول دُوزِي: "طهَّر: بمعنى ختن (لين العروس) معنى كثير الاستعمال وقديم بعض القدم. فقد ذُكر في معجم فوك وألكالا ومحيط المحيط

---

[٩٠] إبراهيم السامرائي، العربية تاريخ وتطور . ص ١١

[٩١] أخرجه البخاري ١٣١/٢

[٩٢] حسناء القنيعير، تطور الدلالي للألفاظ ـ صحيفة الرياض اليومية

ومعجم بوشر. ومنذ القرن العاشر استعمله بهذا المعنى كثير من المؤلفين مثل عريب (انظر معجم البيان) ومؤلف رياض النفوس (ص٥١ ق، ٩٩و) والعمراني".[٩٣]

الدلالة العالية الأصلية : التنزّه من الأدناس

الدلالة السافلة الجديدة : الختان

- **البُهلول:**

كلمة "البهلول" كانت تعني في الشعر العربي القديم الرجل الكريم الصفات، ثم انحطّت دلالتها فصارت اليوم تعني الرجل المعتوه الذي لا يدرك نتائج أفعاله.[٩٤] وقد أورد اللَّبابيدي هذه الكلمة ضمن أسماء السيّد وقال: " أما البهلول فالسيد الجَامِع لكل خير".[٩٥]

الدلالة العالية الأصلية : الرجل الكريم الصفات

الدلالة السافلة الجديدة : المعتوه الذي لا يدرك نتائج أفعاله

- **الحاجب:**

كلمة "الحاجب" كانت تعني في الدولة العربية الأندلسية رئيس الوزراء، ثم أصبحت تدل على خادم أو حارس الباب. وهذا هو معناه الشائع في هذه الأيّام، فتطوّرت دلالتها نحو الانحطاط.

الدلالة العالية الأصلية : رئيس الوزراء

الدلالة السافلة الجديدة : حارس الباب

- **النسوان:**

كلمة "النِّسوان" في الأصل جمع للمرأة من غير لفظها؛ وشاعت هذه الدلالة على ألسنة الشعراء قديمًا، كما في قول عمر بن أبي ربيعة:

إنّ قلبي بعدَ الذي نال منها كالمِعَنَّى عن سائر النِّسوانِ

---

[٩٣] تكملة المعاجم العربية، تعريب النعيمي والخياط ـ ج٧، ص٨٤

[٩٤] حسناء القنيعير، تطور الدلالي للألفاظ ـ صحيفة الرياض اليومية

[٩٥] اللطائف في اللغة = معجم أسماء الأشياء . ص ١٤٦

والآن صارت الكلمة مستهجنة، سواء أكان ذلك في المستوى الأدبي للغة، أم في الخطاب العادي في بعض البلاد العربية. وهو مصطلح مبتذل ومَهِين، وقد تتعامل معها بعض النساء على أنها مسبة.[٩٦]

الدلالة العالية الأصلية : جمع المرأة من غير تلميح رذيلة

الدلالة السافلة الجديدة : الفاحشات من النسوة

- **الثور:**

وكان لهذا اللفظ في أساطير العرب جناحان يطير بهما، وكان متعلقا برب القوّة والشجاعة. ثمّ جعلوا اللفظ للسيد مجازا، حتى سميت به أعلامهم مثل: حميد بن ثور الهلالي، وسفيان الثوري، وهو من أصحاب الحديث. أما اليوم فقد اقترن الثور بالمعنى السلبي، فهو علامة الحمق والغباء والبلادة.[٩٧]

الدلالة العالية الأصلية : السيّد

الدلالة السافلة الجديدة : الأحمق الغبي

- **الغائط:**

وهو في الأصل الوادي أو المطمئنّ من الأرض، أو البطن الواسع من الأرض. وفي إصلاح المنطق: "وقولهم: قد أتى الغائط، أصله أن الغائط البطن من الأرض الواسع، وكان الرجل إذا أراد أن يقضي حاجته قيل: قد أتى الغائط"، وعلى المعنى الأصلي ما قال عمرو بن مَعْدِي كَرِب:

وكم من غائِطٍ من دون سلمى قليل الإنس ليس به كتيعُ

وفي هذه الأيّام انحطّت دلالتها ويستعمل في البِراز أي المواد المطرودة من الأمعاء عند التبرُّز.[٩٨]

الدلالة العالية الأصلية : المطمئنّ من الأرض

الدلالة السافلة الجديدة : البِراز

---

[٩٦] حسناء القنيعير، تطور الدلالي للألفاظ ـ صحيفة الرياض اليومية

[٩٧] إبراهيم السامرائي، الدلالة بين السلب والإيجاب . ص ٦٨-٦٩، أنظر أيضا: Lubna Ali Kadhim, The semantic change in English and Arabic: a contrastive study, p. 17

[٩٨] محمد بن سعيد بن إبراهيم الثبيتي، ظاهرة التلطف في الأساليب العربية

- **الإرهاب:**

أصل دلالتها الإخافة، ففي التاج: "والإرهاب بالكسر، الإزعاج والإخافة... والإرهاب أيضا قدع الإبل عن الحوض وذيادها".[٩٩] وهي في العصر الجديد كلمة كثيرة الدوران ولها دلالة خاصة، وهي مجموع أعمال العنف التي تقوم بها منظّمة أو أفراد قصد الإخلال بأمن الدَّولة وتحقيق أهداف سياسيَّة أو خاصَّة أو محاولة قلب نظام الحكم (terrorism).[١٠٠] فنقلت الكلمة من دلالتها الأصلية من تخويف المعتدين ورَدْعهم عن العدوان، إلى معنى جديد، من عمل رذيل رديء مخالف لما عليه أصالةً، وهو الابتداء بالعدوان على الآمنين الذين لم يَعْتَدوا ولم يُفْسِدوا.

الدلالة العالية الأصلية : الإخافة

الدلالة السافلة الجديدة : مجموع من أعمال العنف... الخ

- **التَّعَاطِي:**

انتقلت هذه الكلمة من مُطْلَق الأخذ والتَّنَاوُل إلى دلالة وضيعة. وهي التي يكثر استعمالها فيها في محدث الكلام، من الدلالة على تناول الأشياء المحظورة فقط كالمسكرات والمخدرات. فيقال مثلا "انزجرَ المدمنُ عن تعاطي المسكِرات"

الدلالة العالية الأصلية : الأخذ والتناول

الدلالة السافلة الجديدة : تناول الأشياء المحظورة

وفي الختام...

إن الألفاظ المذكورة في هذا الباب تتمثّل مظاهر مختلفة للتغير الدلالي. وإنّما عرضتُها على سبيل النموذج لآلاف من الأمثلة في كل نوع منها. وقد حاولت أن آتي بالألفاظ من مختلف المراحل للغة العربية المذكورة في الباب الثاني من العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر العباسي وعصر التدهور وعصر الحديث. وبذلت في اختيار الألفاظ قصارى جهدي وحللتها تحليلا يحصُل للقارئ منها الفهم التام عن

---

[٩٩] تاج العروس. ص ٥٤١/٢، مادة رهب

[١٠٠] معجم اللغة العربية المعاصرة. ص ٩٤٩/٢

التغيّر الدلالي في الكلمات، واتجاه تطوّرها، وأنواع يظهر فيها من التعميم والتخصيص والنقل والرقي والانحطاط. وذلك في أسلوب سهل تتّضح له هذه الظاهرة اللغوية بكلّ بساطة. ولا شك إن رصد هذه النماذج المذكورة يجعل طالب اللغة وباحثها على بصيرة من التغير الدلالي بكلّ ما فيها من التفاصيل الجزئية. والمذكور ههنا بعض من المظاهر وقد ذكر اللغويون غيرها من مظاهر التغير الدلالي كالنقل من الدلالة الحسية المادية إلى الدلالة المجردة الذهنية، والنقل بين المحسوسات وغيرها.

الخاتمة

يشير مصطلح التغير الدلالي إلى ظاهرة لغوية عادية يتغيّر فيها دلالة الكلمة خلال فترة قصيرة أو طويلة من الزمن، شأنها شأن بقية ظواهر التغير اللغوي أو الاجتماعي. ويعزى سبب هذا التغير إلى عوامل مختلفة، كلّها يرجع في النهاية إلى عملية استخدام الكلمات من قبل الناطقين بها. فإذا استعمل أفراد المجتمع اللغوي الواحد كلمةً في معنى جديد، وانتشر ذلك بين المجتمع، وتناقله بشكل مستمرّ ومتواصل، يكون التغير الدلالي قد حدث. وبعد استقصاء التغيرات الدلالية المتنوّعة في الألفاظ العربية، يمكن أن يتلخص أن هذه الظاهرة تتجلّى في ثلاثة مظاهر رئيسية، تصدق غالبا على جميع التغيرات الدلالية، وهو: تعميم الدلالة، تخصيص الدلالة، ونقل الدلالة، وأن معظم هذه التغيرات إنّما حدثت خلال مرور اللغة من مرحلة إلى أخرى من مراحل تطور اللغة العربية، وأهمّ المراحل التي تعرّضت اللغة فيها للتغيرات الجمّة هو العصر الإسلامي والعصر العباسي والعصر الحديث.

ويستهدف هذا البحث المتواضع في تحديد التغير الدلالي في الكلمات العربية، بالإضافة إلى تعيين عوامله ومظاهره، واستكشاف أهم مراحل اللغة العربية من ناحية حدوث التغير الدلالي في كلماتها، مع سرد نماذج مختلفة للألفاظ المتغيرة دلالتها عبر هذه المراحل. وقد توصّل هذا البحث إلى جملة من الاستنتاجات المتناثرة في موضوعاتها في الأبواب الثلاثة، وأهمّها ما يلي:

- تتطوّر جميع لغات البشر وتتغيّر بفعل الزمن وأثر المكان، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية تساير مع المجتمع الذي يتخذ تلك اللغة وسيلة للاتصال المتبادل فيما بينه، وهي أيضا كائن حيّ. ولذلك يظهر فيها أخلاق المجتمع وطبائع الكائن الحي وملامحه.
- إن التغير اللغوي كثيرا ما يطرأ على العنصر الدلالي وأن أكثر العناصر قابلية للتغير في اللغات الإنسانية هي دلالات المفردات، والصوت والصرف الذي يتمثّل الصيغة، إذا استقرّا ذات مرّة لا تمسّهما تغيرات تُذكر، واحتمال التغير فيهما خفيف بالنسبة إلى الدلالة.
- إن التغير الدلالي ظاهرة تدريجية تسير ببطء في غالب الأحوال وتصيب الألفاظ بتعاقب الأزمنة وتبدل الحياة الإنسانية. ويستمرّ هذا التغير في كل عصر من العصور ما دامت اللغة مستخدمة بين الناس.

- لا تخلو لغة من لغات البشر المتداولة فيما بين الناس من التعرّض للتغير الدلالي في كلماتها، لكن يختلف مقدار هذا التغير باختلاف اللغات. ويتّضح ذلك بإجراء مقارنة بين العربية والإنجليزية في جانب دلالات ألفاظها منذ نشأتها.
- إن معرفة التغير الدلالي في اللغة العربية تعتمد على الإلمام التام بالحقيقة والمجاز، وأن البحوث اللغوية لدى علماء العرب القدامى تتناول موضوع تغير الدلالة في عداد البحث عن الحقيقة والمجاز.
- وليس من الميسور وضع قواعد عامة مضبوطة لاتجاهات التغير الدلالي، لأن الأمر يختلف اختلافا كبيرا باختلاف البيئات واللغات والشعوب. وإذا لاحظنا نتائج التغير الدلالي وجدنا التغير فرديا ومختلفا في كل عصر ومجتمع، وأيضا لا ينسجم مع قاعدة ولا يخضع لحكم شامل. ولذلك لا يمكن التنبؤ سلفاً عن الطرق التي سيسير التغير الدلالي فيها.
- إن عملية تصنيف عوامل التغيّر الدلالي ممّا يصعب القيام به، حيث إن علماء اللغة المتقنين هم أنفسهم قد سلكوا مسالك متنوّعة، واختلفوا اختلافا كبيرا في تصنيفها وتقسيمها. وهذه العوامل للتغيّر معقدة جدّا بسبب التداخل الحاصل فيما بينها وتشعّبها وتكاثرها. ومنها مالها علاقة مباشرة في جلب التغيرات ومنها ما يذلّل السبيل اليه.
- إن التغير الدلالي يسفر عنها عوامل مختلفة؛ بعض منها من داخل اللغة، بينما يأتي معظمها من خارجها، ممّا يضمّ العوامل الاجتماعية والثقافية والعلمية والنفسية وغيرها. وبعد استقراء التغيرات الكثيرة يستطيع أن يوجز بأن معظمها يرجع عملية استخدام الكلمات من قبل أفراد المجتمع اللغوي الواحد.
- تنقسم عوامل التغير الدلالي إلى خمسة: انتقال اللغة من السلف إلى الخلف، واختلاف طبقات الناس وفنون العلوم، والعوامل الاجتماعية، والعوامل النفسية، والعوامل اللغوية. وهذا تقسيم تقريبي وليس حصريا.
- تستقبل مفردات اللغة دلالات جديدة من جيل لآخر، لأنها خلقت ليتداولها الناس وليتبادلوا بها أفكارهم في حياتهم، وهذا يختلف باختلاف الأجيال. يبتكر الناس في بعض الأحيان المعاني الجديدة بالخطأ أو سوء الفهم، وكثرة الاستعمال تجعل تلك المعاني دلالة "رسميّة" للكلمة.

- لمقوّمات الحياة الاجتماعية، كل ما هو من حضارة المجتمع وثقافتها وعادتها وعقيدتها ودينها وسياستها واتجاهها الفكري وبيئتها الجغرافية، لها أثر بالغ في تغيير دلالات الألفاظ العربية. فكل تغير يصيب المجتمع يتردّد صداها أيضا في اللغة. وقد تكون معاني الكلمات تتغيّر بسبب البيئة، ولكل بيئة لها ألفاظ خاصة يمارسها أبناؤها، قد لا يفهمها الآخرون. وقد تأتي الأديان والعادات المختصة بالدلالات المستجِدّة. كما ترك الإسلام بصماته الواضحة الجلية في كثير من الألفاظ العربية، حتى تغيرت دلالات كثير من الألفاظ.
- وفي كثير من الأحوال تسرّبت التغيرات الدلالية إلى اللغة العربية من لغات أخرى متصلة أو مجاورة لها. ويختلف تأثير اللغات بقدر الاتصال والاحتكاك فيما بينها. فاللغة الفارسية كانت أكثر اللغات تأثيرا في الآماد المبكرة للغة العربية، واحتلّت اللغة الإنجليزية هذه المكانة في العصر الحديث.
- وفي بعض الأحيان تكون اللغة نفسها أو قواعدها تسبّب التغير الدلالي في المفردات اللغوية، وهذا كما تغيرت دلالة كلمة "الولد"بسبب تذكير صيغتها الصرفية.
- لكل مجتمع حالة نفسية خاصة به، شكّلتها الحياة الاجتماعية التي يعيش المجتمع طبقا لها، كالكياسة والحشمة والأدب، والتطير والتفاؤل، والخوف والفزع. وهذه الحالة تؤدّي إلى تغيّر دلالات الألفاظ التي تعرف بـ "اللامساس" (taboo). وهو يدعو إلى "حسن التعبير" أو ما يسمّى بمصطلح (Euphemism) في الدراسات الغربية.
- وكثيرا ما نلاحظ اللامساس في طوائف معيّنة من الكلمات، كالكلمات المستقبحة التي تتصل بالقذارة والدنس، والكلمات التي يُتذمّم من تسميتها صريحا، كألفاظ العملية الجنسية والتبوّل والتبرّز وأعضاء التناسل، والكلمات التي تعبر عن فكرة الموت أو الأمراض والأشباح والعالم الروحي. ومن هذا القبيل في العصر الحديث استعمال "ذوو الاحتياجات الخاصة" بدل المعاقين و"المكفوفون" بدل العميان، باعتبار هذه اللياقة الأدبية.
- اختلاف طبقات الناس وتنوّع فنون العلوم يؤدّي إلى وجود مصطلحات وتعابير تختصّ بكل منها، بحيث يصعب إدراكها على من لا ينتمي إليها. يخرج أصحاب كل طبقة أو فنّ بمدلول الكلمات عن معانيها الأصلية، ويجعلونها مصطلحات خاصة بصدد الأمور التي يكثر ورودها في معاملاتهم. ولذلك

نجد الكلمة الواحدة لها دلالة مختلفة لدى مختلف طبقات الناس وفنون العلوم، كما تدلّ كلمة "المخرج" في المصطلح الفقهي على "فتحة الإفراز"، وفي علم الأصوات على "مكان النطق"، وليست كلتاهما دلالتها الأصلية.

- والتغيرات المختلفة التي تصيب الكلمات من حيث المعنى، بالرغم من تشعبّها إلى أنواع عديدة، ترجع إلى ثلاثة مظاهر رئيسية: التعميم والتخصيص والنقل. وذلك لأن المعنى القديم إما أن يكون أعم من المعنى الجديد، أو أخصّ منه أو مساويا له. أما رقي الدلالة وانحطاطها فقسمان من أقسام نقل الدلالة، يحدثان عندما يكون أحد المعنين أرفع أو أرذل من الآخر.
- مرت اللغة العربية بمراحل كثيرة منذ نشأتها، تأثرت في كل منها بعوامل سياسية واجتماعية وثقافية، ممّا أدّى إلى تغير في دلالات ألفاظها. وأهمّ تلك المراحل خمسة، من حيث التغير في معاني مفرداتها. وهي العصر الجاهلي والعصر الإسلامي واللذان يمثلان العربية الفصحى القديمة، والعصر العباسي وعصر الملوك العجمية واللذان يمثلان العربية المولّدة، والعصر الحديث الذي يمثّل العربية الفصحى الحديثة. وقد وقعت بكل مرحلة من هذه المراحل بسبب مختصاتها اللغوية والسياسية والثقافية والدينية والعلمية تغيّرات جمّة في العربية.
- كان الإسلام ذا التأثير الأكبر في تغيير دلالات ألفاظ العربية في عصورها الزاهرة. ثم بعد ذلك كان حركة الترجمة واحتكاك العرب بالأمم الأخرى ولغاتهم في العصر العباسي والملوك الأخر من أهمّ أسبابه. وكذلك العصر الحديث شهد تغيرا كثيرا بسبب التطوّر العلمي والتكنولوجي.
- وبتطبيق نظرية التحليل التكويني (componential analysis theory) يمكننا تفسير تعميم المعنى على أنه نتيجة إسقاط لبعض المكونات الدلالية للفظ، بينما التخصيص يحدث بإضافة بعضها. أما نقل الدلالة إنّما يسوّغ في معظم الأحوال عن طريقين: الاستعارة، إذا كانت العلاقة بين الدلالتين المشابهة، والمجاز المرسل، إذا كانت العلاقة بينهما المجاورة أو غير المشابهة.

وبعد، فهذا بحث متواضع أقدّمه اليوم، شغلني هذا مدّةً طويلة من الزمن، وأعتقد بأنه يوفّر عونا لكل من الباحثين والأكاديمين وعامة القراء للتعامل مع المشكلات اللغوية التي يواجهونها في مهمّاتهم. وأرجو أن يكون هذا العمل ثروة قيمة للمكتبة العربية، وخدمة حسنة في علم الدلالة. حاولت فيه قدر

المستطاع أن يكون على أحسن وجه ممكن، وبذلت فيه قصارى جهدي، رجاءً إنجازه على أفضل وجه. ولا أدعي أن بلغت الغاية فيه، ولكني أرجو المقاربة والسّداد. فإن وُفّقت فبفضل الله ونعمته، وإن كانت الأخرى، فما أبرّئ نفسي. وأرجو ممّن ينظرون إليه ويقرؤونه القيام بالتصحيح والتصويب. وعلى الله التكلان، ومنه العون والتوفيق، وله الحمد أولا وأخيرا.

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

إبراهيم أصبان. (٢٨ أغسطس, ٢٠١٤). عربية القرآن الكريم. تم الاسترداد من الإحياء: http://www.alquran.ma/Article.aspx?C=5680

إبراهيم السامرائي. (١٩٨٦). التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية. عمان، الأردن: دار الفرقان.

إبراهيم السامرائي. (١٩٩٣). الدلالة بين السلب والإيجاب. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٦٨-٦٩.

إبراهيم السامرائي. (١٩٩٣). العربية تاريخ وتطور. بيروت: مكتبة المعارف.

إبراهيم أنيس. (١٩٦٥). في اللهجات العربية (الإصدار الثالث). القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

إبراهيم أنيس. (١٩٨٤). دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو المصرية.

ابن درستويه. (١٩٩٨). تصحيح الفصيح وشرحه. (محمد بدوي المختون، المحقّق) القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

ابن قتيبة. (٢٠٠٩). أدب الكاتب. (محمد الدالي، المحقّق) بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن قتيبة. (بلا تاريخ). تأويل مشكل القرآن. (إبراهيم شمس الدين، المحقّق) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن مكي الصقلي. (١٩٩٠). تثقيف اللسان وتلقيح الجنان. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو البقاء الحنفي. (بلا تاريخ). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. (عدنان درويش، و محمد المصري، المحقّقون) بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو علي القالي. (١٩٢٦). الأمالي (الإصدار الثاني). (محمد عبد الجواد الأصمعي، المحقّقون) دار الكتب المصرية.

أحمد بن فارس. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة. دار الفكر.

أحمد بن فارس. (١٩٨٦). مجمل اللغة (الإصدار الثاني). بيروت: مؤسسة الرسالة.

أحمد بن محمد الفيومي. (بلا تاريخ). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.

أحمد بن مصطفى اللَّبَابِيدي. (بلا تاريخ). اللطائف في اللغة = معجم أسماء الأشياء. القاهرة: دار الفضيلة.

أحمد عبد التواب الفيومي. (٢٠١٠). علم الدلالة اللغوية دراسة تطبيقية على القرآن الكريم. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث – الجزيرة للنشر والتوزيع.

أحمد مختار عمر. (١٩٩٨). علم الدلالة (الإصدار الخامس). القاهرة: عالم الكتب.

أحمد مختار عمر. (٢٠٠٨). معجم الصواب اللغوي. القاهرة: عالم الكتب.

أحمد مختار عمر. (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.

إسحاق بن إبراهيم الفارابي. (٢٠٠٣). معجم ديوان الأدب. (أحمد مختار عمر، المحقّق) القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر.

إسماعيل بن حماد الجوهري. (١٩٨٧). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. (أحمد عبد الغفور عطار، المحقق) بيروت: دار العلم للملايين.

الحسن بن عبد الله العسكري. (بلا تاريخ). الفروق اللغوية. (محمد إبراهيم سليم، المحقّق) القاهرة: دار العلم والثقافة.

الخطابي. (١٩٨٢). غريب الحديث. (عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، المحقّق) دمشق: دار الفكر.

الخليل بن أحمد الفراهيدي. (بلا تاريخ). كتاب العين. (مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، المحققون) بيروت: دار ومكتبة الهلال.

الدكتور محمد داود. (بلا تاريخ). كلمات القرآن عبر الزمن. تاريخ الاسترداد ٣٠ أغسطس, ٢٠١٤، من الموقع الرسمي للدكتور محمد داود: http://www.mohameddawood.com/

الشريف الجرجاني. (١٩٨٣). كتاب التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية.

الطاهر ميلة. (٢٣ يوليو, ٢٠٠٨). اللغة العربية وألفاظ الحضارة الحديثة. تاريخ الاسترداد ٢٩ مايو, ٢٠١٥، من المجلس العالمي للغة العربية: http://www.cil-a.org/index.php?s=books&cat=3&id=31

القاسم بن علي الحريري. (١٩٩٨). درة الغواص في أوهام الخواص. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

القاضي التنوخي. (بلا تاريخ). المستجاد من فعلات الأجواد.

المبارك بن الأثير. (١٩٧٩). النهاية في غريب الحديث والأثر. (طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المحققون) بيروت: المكتبة العلمية.

الهلال بن المحسن الصابي. (بلا تاريخ). تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء. (عبد الستار أحمد فراج، المحقّق)

تاج الدين عبدالوهاب ابن السبكي. (٢٠٠٨). شرح الجلال شمس الدين محمد بن أحمد المحلي على متن جمع الجوامع.

تمام حسّان. (١٩٩٠). مناهج البحث في اللغة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

جرجي زيدان. (٢٠١٢). اللغة العربية كائن حي. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (١٩٩٣). لسان العرب. بيروت: دا صادر.

جنان منصور كاظم الجبوري. (٢٠٠٩). التطور الدلالي للألفاظ في النصّ القرآني. أطروحة دكتوراه غير مطبوعة، جامعة بغداد.

جوزيف فندريس. (١٩٥٠). اللغة. (عبد الحميد الدواخلى، و محمد القصاص، المترجمون) القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

حاتم صالح الضامن. (١٩٨٩). علم اللغة. بغداد: بيت الحكمة، جامعة بغداد.

حامد عوني. (بلا تاريخ). المنهاج الواضح للبلاغة. المكتبة الأزهرية للتراث.

حسن بن محمد بن محمود العطار. (بلا تاريخ). حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع. دار الكتب العلمية.

حسن ظاظا. (١٩٩٠). اللسان والإنسان مدخل الى معرفة اللغة (الإصدار الثاني). دمشق وبيروت: دار القلم والدار الشامية.

حسناء عبدالعزيز القنيعير. (٢٥ نوفمبر, ٢٠١٢). التطور الدلالي للألفاظ. تم الاسترداد من النسخة الإلكترونية من صحيفة الرياض اليومية: http://www.alriyadh.com/787064

رضوان منيسي عبد الله. (٢٠٠٧). آيات الفتح في القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة. القاهرة: دار النشر للجامعات.

رمضان عبد التواب. (١٩٩٧). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (الإصدار الثالث). القاهرة: مكتبة الخانجي.

رمضان عبد التواب. (٢٠٠٠). لحن العامة والتطور اللغوي. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.

رمضان عبد التواب. (بلا تاريخ). التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه. القاهرة: مكتبة الخانجي.

روحي البعلبكي. (٢٠٠٤). المورد قاموس عربي ـ انكليزي (الإصدار ١٨). بيروت: دار العلم للملايين.

رينهارت بيتر آن دُوزِي. (١٩٨٠). تكملة المعاجم العربية. (محمَّد سَليم النعَيمي، و جمال الخياط، المترجمون) بغداد: دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام.

زين الدين الرازي. (١٩٩٩). مختار الصحاح (الإصدار الخامس). بيروت، صيدا: المكتبة العصرية، الدار النموذجية.

زين الدين المناوي. (١٩٩٠). التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة: عالم الكتب.

زينة قرفة. (بلا تاريخ). التطور الدلالي لألفاظ أركان الإسلام في القرآن الكريم. أطروحة الماجستير غير مطبوعة، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.

سالم سليمان الخماش. (٢٠٠٧). المعجم وعلم الدلالة. جدة، مملكة العربية السعودية: جامعة الملك عبد العزيز.

ستيفن أولمان. (١٩٧٥). دور الكلمة في اللغة. (كمال محمد بشير، المترجمون) النيرة: مكتبة الشباب.

شوقي ضيف. (١٩٩٠). تيسيرات لغوية. القاهرة: دار المعارف.

شوقي ضيف. (١٩٩٨). محاضرات مجمعية. القاهرة: مركز الحاسب الآلي، مجمع اللغة العربية.

شوقي ضيف. (٢٠٠٠). كتاب سلسلة تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي (الإصدار الثاني والعشرون). القاهرة: دار المعارف.

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. (١٩٨٧). تصحيح التصحيف وتحرير التحريف. (السيد الشرقاوي، المحقّق) القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد الرزاق بن فراج الصاعدي. (١٩٩٧). موت الألفاظ في العربية. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٣٤٩-٤٦٨.

عبد السلام مسدي. (١٩٨٦). اللسانيات وأسسها المعرفية. باب الخضراء: الدار التونسية للنشر.

عبد الكريم محمد حسن جبل. (١٩٩٧). في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

عبد اللطيف عاشور. (بلا تاريخ). موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي. القاهرة.

عبد الملك بن محمد الثعالبي. (١٩٩٨). الكناية والتعريض. (عائشة حسين فريد، المحققة) القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الملك بن محمد الثعالبي. (٢٠٠٢). فقه اللغة وسر العربية. (عبد الرزاق المهدي، المحقّق) بيروت: إحياء التراث العربي.

علي بن اسماعيل ابن سيده. (٢٠٠٠). المحكم والمحيط الأعظم. (عبد الحميد هنداوي، المحقّق) بيروت: دار الكتب العلمية.

علي بن محمد الشابشتي. (بلا تاريخ). الديارات.

علي عبد الواحد الوافي. (١٩٨٣). اللغة والمجتمع (الإصدار الرابع). جدة: شركة مكتبات عكاظ.

علي عبد الواحد الوافي. (٢٠٠٤). علم الدلالة (الإصدار التاسع). القاهرة: نهضة مصر.

عمار قلالة. (٢٠١٤). التطور الدلالي في مقاييس اللغة لابن فارس. أطروحة الماجستير غير مطبوعة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.

عمرو بن بحر الجاحظ. (٢٠٠٢). البيان والتبيين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

عودة خليل أبو عودة. (١٩٨٥). التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية مقارنة. الأردن –الزرقاء: مكتبة المنار.

فرانك روبرت بالمر. (١٩٨٥). علم الدلالة. (مجيد الماشطة، المترجم) بغداد: الجامعة المستنصرية.

ماريو باي. (١٩٩٨). أسس علم اللغة (الإصدار الثامن). (أحمد مختار عمر، المترجم) القاهرة: عالم الكتب.

مجد الدين الفيروزابادي. (٢٠٠٥). القاموس المحيط (الإصدار الثامن). (محمد نعيم العرقسُوسي، المحقق) بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

مجدى إبراهيم محمد إبراهيم. (٢٠٠٤). بحوث ودراسات في علم اللغة: الصرف المعاجم الدلالة. الاسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

مجمع اللغة العربية. (بلا تاريخ). المعجم الوسيط. القاهرة: دار الدعوة.

محمد الخوارزمي. (بلا تاريخ). مفاتيح العلوم (الإصدار الثاني). (إبراهيم الأبياري، المحقق) دار الكتاب العربي.

محمد المبارك. (١٩٦٤). فقه اللغة وخصائص العربية (الإصدار الثاني). دمشق: دار الفكر.

محمد باخير الحاج عبد الله. (٢٠١١). عوامل التغير الدلالي في اللغة العربية بين القديم والحديث. التجديد، ١٧١-٢٠٢.

محمد بن أحمد بن الأزهري. (٢٠٠١). تهذيب اللغة. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

محمد بن أحمد بن الأزهري. (بلا تاريخ). الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي. (مسعد عبد الحميد السعدني، المحقق) دار الطلائع.

محمد بن الحسن ابن دريد. (١٩٨٧). جمهرة اللغة. بيروت: دار العلم للملايين.

محمد بن القاسم بن الأنباري. (١٩٩٢). الزاهر في معاني كلمات الناس. (حاتم صالح الضامن، المحقق) بيروت: مؤسسة الرسالة.

محمد بن سعيد بن إبراهيم ثبيتي. (٢٠٠٠). ظاهرة التلطف في الأساليب العربية: دراسة دلالية لتقبل الألفاظ لدى الجماعة اللغوية. مجلة جامعة أم القرى.

محمد بن يزيد المبرد. (١٩٩٧). الكامل في اللغة والأدب (الإصدار الثالث). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحقق) القاهرة: دار الفكر العربي.

محمد رواس قلعجي، و حامد صادق قنيبي. (١٩٨٨). معجم لغة الفقهاء (الإصدار الثاني). دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد سليمان ياقوت. (٢٠٠٢). معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

محمد علي السَّراج. (١٩٨٣). اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل. دمشق: دار الفكر.

محمد عميم الإحسان. (٢٠٠٣). التعريفات الفقهية. بيروت: دار الكتب العلمية.

محمّد كرد علي. (١ يونيو, ١٩١٠). هل اللغة العربي حية. مجلة المقتبس، الصفحات ٦-١٢.

محمد محمد داود. (٢٠٠١). العربية وعلم اللغة الحديث. القاهرة: دار غريب.

محمود السعران. (١٩٩٧). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (الإصدار الثاني). القاهرة: دار الفكر العربي.

محمود بن عمرو الزمخشري. (١٩٩٨). أساس البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.

محمود بن عمرو الزمخشري. (بلا تاريخ). الفائق في غريب الحديث والأثر (الإصدار الثاني). لبنان: دار المعرفة.

محمود فهمي الحجازي. (١٩٩٦). علم اللغة العربية. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

مرتضى الزبيدي. (بلا تاريخ). تاج العروس من جواهر القاموس. دارالهداية.

معجم عربي عربي. (٢ فبراير, ٢٠١٥). تم الاسترداد من المعاني: http://www.almaany.com/

منقور عبد الجليل. (٢٠٠١). علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي. دمشق: إتحاد كتاب العرب.

هادي نهر. (٢٠٠٧). علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. إربد: دار الأمل.

يعقوب بن إسحاق ابن السكيت. (٢٠٠٢). إصلاح المنطق. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

يعقوب بن إسحاق ابن السكيت. (بلا تاريخ). الكنز اللغوي في اللَسَن العربي. (أوغست هفنر، المحقق) القاهرة: مكتبة المتنبي.

المصادر الإنجليزية:

Aitchison, J. (2004). *Language Change: Progress or Decay?* (3rd ed.). Cambridge: Cambridge University Press.

Bickerton, D. (1973, September). The Nature of a Creole Continuum. *Language, 49*(3), 640-669.

Bloomfield, L. (1933). *Language.* New York: Henry Holt and Company.

Breal, M. (1900). *Semantics: Studies in the Science of Meaning.* New York: Henry Holt & Company.

Cymbalista, P., & Kleparski, G. A. (2007). Towards a cognitive approach to extralinguistic motivation of diachronic semantic change. *Studia Anglica Resoviensia 4*, 61-87.

Fortson IV, B. W. (2003). An Approach to Semantic Change. In R. D. Brian D. Joseph, *The Handbook of Historical Linguistics* (pp. 648-666). Oxford, UK: Blackwell.

Geeraerts, D. (1998). Hundred years of lexical semantics. *Atas do 1º Encontro Internacional de lingüística Cognitiva*, 123-154.

Grygiel, M. (2005). The methodology of analysing semantic change in historical perspective. *Studia Anglica Resoviensia 3*, 25-47.

Harper, D. (2015, March 4). *semantics*. Retrieved from Online Etymology Dictionary: http://www.etymonline.com/index.php?term=semantics

Hockett, C. F. (1970). *A Course in Modern Linguistics.* New Delhi: Oxford & IBH Publishing.

Hurford, J. R., Heasley, B., & Smith, M. B. (2007). *Semantics: A Coursebook* (2nd ed.). New York: Cambridge University Press.

Izutsu, T. (2002). *Ethico-Religious Concepts In The Quran.* Canada: McGill-Queen's University Press.

Jespersen, O. (1922). *Language: Its Nature, Development and Origin.* London: George Allen & Unwin.

Kadhim, L. A. (2012). The Semantic Change in English and Arabic: A contrastive Study. *Journal of Al-Qadisiya University*, 7-23.

Keller, R. (1994). *On language change The invisible hand in language.* (B. Nerlich, Trans.) London: Routledge.

Kreidler, C. W. (1998). *Introducing English Semantics.* London: Routledge.

Löbner, S. (2013). *Understanding Semantics* (2nd ed.). London: Routledge.

Lyons, J. (1977). *Semantics.* London: Cambridge University Press.

Odgen, C. K., & Richards, I. A. (1946). *The Meaning of Meaning: A Study of the Influence of Language upon Thought and of the Science of Symbolism.* New York: Harcourt, Brace & World.

Riemer, N. (2010). *Introducing semantics.* Cambridge University Press.

Saeed, J. I. (2003). *Semantics* (2nd ed.). Oxford: Blackwell.

Stern, G. (1931). *Meaning and Change of Meaning with Special Reference to the English Language.* Bloomington: Indiana University Press.

Ullmann, S. (1957). *The Principles of Semantics.* Oxford: Basil Blackwell.

Ullmann, S. (1962). *Semantics: an introduction to the science of meaning.* Oxford: Blackwell.

Ullmann, S. (1963). Semantic Universals. In J. H. Greenberg (Ed.), *Universals of Language* (pp. 172-207). Cambridge: The M.I.T Press.

SEMANTIC CHANGE IN ARABIC WORDS: A DIACHRONIC STUDY

Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University
in partial fulfilment of the requirements
for the award of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

By

Muhammad Rafi M

Under the Supervision of

Dr. Ubaidur Rahman Tayyeb

Centre of Arabic and African studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi, 110067, India

2015